جامعة القاهرة - فرع الخرطوم
كلية الآداب
قسم التاريخ

أبو عبيد البكري

حياته وآثاره العلمية التاريخية

(٤١٣ هـ ٤٩٦ هـ)

رسالة أعدها

حيدر خوجلي محمد حسن
لنيل درجة الماجستير في الآداب

باشراف

الأستاذ الدكتور مصطفى محمد مسعد
أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة

دار المصطفى للنشر والطبع
٨ شارع الفرقان بمنشية الصدر قسم الزيتون

١٣٩٥ هـ
١٩٧٥ م

H/182

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر:

وقبل أن أضع قلمي أتوجه بالشكر الى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور مصطفى محمد مسعد. فقد رعى هذا البحث بالتوجيه وردني الى ما يجب أن يأخذ به الدارسون أنفسهم من المنهج العلمي، فما ادخر وسعًا ولا منع نصحًا.

وأتقدم بالشكر خالصًا الى الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين والأستاذ الدكتور ابراهيم طرخان، فقد كان لدراساتهم عن "البكري" أبلغ الأثر في هذا البحث وأعيد لهما الشكر... لتفضلهما بقبول مناقشته.

وأخيرًا كلمة مودة وتقدير للأخ الأستاذ عبد الله يوسف الغنيم بجامعة الكويت، فقد يسر لي الحصول على كثير من مصادر الدراسة. رعى الله وفاءه

والحمد لله رب العالمين

ولهو الموفق والمعين،

حيدر

أبو عبيد البكري ، أحد علماء القرن الخامس الهجري بالاندلس ، تردد ذكر اسمه في كثير من ميادين المعرفة ، ذكره علماء اللغة زعيما لمدرسة الشراح بالاندلس[1] وهو في رأي المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال مؤرخ وجغرافي كذلك[2] .

ولقد عكف بعض الباحثين على دراسة الجوانب اللغوية والجغرافية في آثار البكري العلمية ، وحسبان الوقت لدراسة الجوانب التاريخية من هذه الآثار العلمية التي تزخر بالمعلومات التاريخية المبعثرة في ثنايا مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة كذلك. ويعتبر أبو عبيد البكري مثالا للمدرسة الاندلسية التي جمع اعضاؤها بين دراسة التاريخ ودراسة الجغرافية ، وهم الذين يقول عنهم الاستاذ حسين مؤنس: " انه ما من مؤرخ عندهم الا ويمكن اعتباره جغرافيا وما من جغرافي الا وهو مؤرخ في نفس الوقت" [3] .

---

(١) مطلق الحركة اللغوية في الاندلس ص ٣٢٦ بيروت ١٩٦٧.

(٢) ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ص ٢ ـ القاهرة ١٩٥٦.

(٣) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ص ٩٧ مدريد ١٩٦٧.

ونظرا لمكانة البكرى بين المؤرخين العرب ، وأهمية كتاباته فى هذا الميدان الفسيح ، فقد اخترته موضوعا لهذا البحث المتواضع للكشف عن آثاره التاريخية وتطلب الامر تقسيم البحث الى سبعة فصول :

الفصل الاول : يتناول التعريف بالبكرى مع الاشارة الى أحوال بلاد الاندلس قبيل العصر الذى عاش فيه ، وهو العصر المعروف باسم " عصر ملوك الطوائف " ، كما يتناول الحديث عن البكريين فى الاندلس وعلاقتهم بقبيلة بكر بن وائل ، والحديث عن زعماء البكريين وصراعهم مع بنى عباد أمراء أشبيلية ، وطرد البكريين من اماراتهم والتجائهم الى قرطبة ، ثم انتقالهم منها الى المرية ، وينتهى بذكر أثر هذه الاحداث جميعا على البكرى نفسه .

الفصل الثانى : يتناول البحث فى تعدد المراكز العلمية فى عصر ملوك الطوائف وأثره فى نضج ثقافة البكرى ، وأثر ظروف العصر فى تكوين شخصية البكرى العلمية ، وذكر شيوخه والتعريف بآثاره العلمية المختلفة المطبوع منها والمخطوط مع التنبيه الى مخطوطات " كتاب المسالك والممالك " ، وما يحتويه من مادة تاريخية وردت فيها جميعا ، وذكر المصادر التى اعتمد عليها البكرى فى تسجيل مادته التاريخية ، واستخلاص هذه المادة التاريخية من جميع مؤلفاته مع التركيز على القسم الخاص بأوربة والمغرب كنموذج تطبيقى لآثاره التاريخية .

الفصل الثالث : وتناول الحديث عن تحديد مصطلح افريقية والمغرب عند البكرى ، وطريقة ترتيبه لدول المغرب الاسلامى ، مع تصنيف الدول التى ذكرها الى دول عاصرها ، مثل دولة غانة ، ودولة المرابطين ، ودول حفظ لنا تاريخها من الضياع مثل دولتى برغواطة ودولة بنى المدرار .

وامكن استخلاص بعض النصوص عن النوع الاول من الدول التى توضح مدى دقة معلوماته ، مع الاشارة الى المصادر التى اعتمد عليها ، والتنبيه الى أهمية ما أورده البكرى من معلومات تاريخية جديدة عن دولة غانة التى توضح مدى قدم عهدها بالاسلام ، والحديث عن تاريخ الاسرة المالكة فيها ، ووصف احوال البلاد ، وذلك فضلا عن شرح طريقة البكرى فى الربط بين الجغرافية والتاريخ ، وتعرضه للحديث عن أصل المرابطين وتاريخهم .

الفصل الرابع : ويتعرض للحديث عن مدى وفرة المادة التاريخية عن المغرب ومقارنة ما جاء فى كتاب البكرى عن دولة برغواطة بروايات ابن الخطيب وابن عذارى ، وتحليل نصوصه عن دولة برغواطة ، ومراحل تاريخها ، مع الاشارة الى المصادر التى اعتمد عليها فى التاريخ لدولة برغواطة ، وموقف القبائل منها ، وأثر ذلك فى سقوطها .

وهنا ينوهى أيضا الاشارة الى دور البكرى فى حفظ تاريخ دولة بنى المدرار وقيمة المقدمة الجغرافية التى كتبها البكرى فى الكشف عن طبيعة دولتهم ، وتأسيس

حاضرة ملكهم سجلماسة ، وتاريخ بني المدرار عامة حتى سنة ٣٤٧هـ.

اما الفصل الخامس : فيتتبع مؤلفات البكري للكشف عن منهجه في التأليف، وبيان مراحل تطوره ، والمؤلفات التي أخضعها لمنهجه ،كما يقدم نموذجا للدراسات التاريخية التي تناولها البكري باعتبارها مرحلة النضج في التأليف عنده ، وتتبع مظاهر الكتابة التاريخية مع تقديم دراسة تطبيقية لمنهجه في الكتابة عن دولة الادارسة .

ويتناول الفصل السادس : مناقشة آراء البكري في دراسة نشأة المدن الاسلامية واختيار نماذج منها تأسيس مدينة فاس ومناقشة اقوال المستشرق بروفنسال .

هذا فضلا عن تتبع مادة البكري للفتح العربي للمدن ، والمصادر التي اعتمد عليها ، ودراسة ما ينسب الى معاوية بن خديج من روايات خاصة بأساليب الفتح ، والتنبيه الى ميل رواية البكري عن الفتح الى سرد القصص والاساطير.

اما الفصل السابع : فهو محاولة لدراسة ممالك السودان عند البكري كما يشتمل هذا الفصل على تحقيق بعض النصوص التي أوردها البكري عن ممالك السودان وذلك بالاعتماد على مخطوط محمد المنوني اقدم المخطوطات ، ومخطوط مكتبة نور عثمانية ، ومخطوط مكتبة لاله لي ، مع التنبيه الى أن مادة البكري عن هذه الممالك لا تخلو من الاعتماد على بعض الاساطير والقصص الخرافية.

وإذا عرفنا أننا ندرس شخصية رجل من اصحاب الموسوعات صاحب نشاط فكرى متنوع لاستخلاص الحقائق التاريخية المبعثرة فى ثنايا دراساته اللغوية والجغرافية الى جانب مؤلفاته التى لا تزال مخطوطة وموزعة بين مكتبات العالم فقد اضطر الطالب الى القيام برحلة الى اسبانيا للاطلاع على الميسور منها فى مكتبة الاسكوريال ، والاكاديمية التاريخية بمدريد والمعهد الاسلامى ، وذلك فضلا عما أمده به المخلصون من العلماء من مخطوطات لم يتيسر له السفر الى اماكنها ، وهذا يمكن تصور مدى الصعوبات التى واجهت الدارس .

وختاما اضرع الى الله سبحانه وتعالى أن تجىء هذه المحاولة المتواضعة سراجا يضىء الطريق للبحث عن الحقيقة وأن يكون هذا الجهد قد كشف عن جانب من جوانب البكرى المؤرخ .

الفصل الأول

الفصل الاول

نشأة البكري وعصره

التعريف بالبكري ـ الاندلس قبيل البكري ـ عصر القوة وسيادة قرطبة ـ سقوط الخلافة الاموية سنة ٤٢٢ هـ ـ استقلال الامراء بالنواحي واعلان حكم الطوائف ـ ظهور البكريين وقيام امارتهم ـ صلتهم بقبيلة بكر بن وائل ـ تاريخ قبيلة بكر في الجزيرة العربية ـ هجرة بكر بن وائل للاندلس ـ أيوب أول زعماء البكريين ـ أثره في تأسيس امارة البكريين ـ أبو زيد البكري ثاني أمراء البكريين ـ ولاية أبي مصعب عبد العزيز البكري والصراع مع بني عباد ـ دخول البكريين في حلف دفاعي مع قرطبة ـ التجاء البكريين الى قرطبة ـ أسرة البكري في قرطبة ـ انتقال البكري الى المرية ـ تأثر البكري باحداث العصر.

تروى المصادر التاريخية روايات متعددة ومختلفة بشأن نسب أبي عبيد البكري (١)

---

(١) يروى ابن بشكوال (الصلة : جـ١ ص٢٧٧ القاهرة ١٩٦٦) ان اسمه عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري أما الفتح بن خاقان (قلائد العقيان ص ١٩١ ـ القاهرة ١٣٠٢ هـ) فقد سماه ابا عبيد الله البكري وقيل انه عبد الله بن عبد العزيز بن أبي مصعب أبو عبيد البكري (انظر : السيوطي بغية الوعاة جـ٢ ص ٢٨٥ القاهرة ١٩٦٤).

والتفسير المعقول لما ورد من اختلاف في نسب أبي عبيد البكري ، مرجعه ميل بعض المؤلفين الى اختصار سلسلة النسب بحذف او اسقاط عدد من الاسماء الواردة فيها وميل فريق آخر الى التشهير بالالقاب والكنى ، مما أدى الى ظهور النسب وكأنه مختلف فيه ، والراجح بعد الدراسة المقارنة لجميع هذه الروايات : أن الاسم المتواتر على ألسنة المؤلفين هو: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري [1] .

اما عن مولد أبي عبيد البكري فالاختلاف حوله كثير أيضا ، ولعل مرجع ذلك سكوت المصادر القديمة عن تحديد مكان ميلاده ، فلم تذكر شيئا عنه [2] وقد أدى هذا السكوت من جانب الذين ترجموا للبكري الى تخبط من جاء بعدهم من المؤلفين فذكروا اماكن مختلفة لميلاده من بينها جزيرة شلطيش [3] وقرطبة [4] ومرسية [5] والراجح أنه ولد في ابذه حيث كانت تحكم اسرته ، وذلك قبل ضمها الى اشبيلية سنة ٤٤٣هـ .

---

(١) ابن الابار : الحلة السيراء جـ٢ ص ١٨١ القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) ابن بشكوال : نفس المصدر جـ١ ص٢٧٧ . وابن خاقان ـ نفس المصدر ص ١٩١ وابن الابار ـ نفس المصدر جـ٢ ص ١٨١ .

(٣) الزركلي ـ الاعلام جـ٤ ص٢٣٣ بيروت ١٩٦٩ .

(٤) بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ص٣٠٩ ترجمة حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٥ .

(٥) احمد عيسى : تاريخ البيمارستانات عند العرب ، ص٢٨٢ ، القاهرة ١٩٤٤ .

ولم تسجل المصادر القديمة تاريخ ميلاد البكرى لان تاريخ الميلاد امر يهتم الاسرة فحسب ففى عهده لا يوجد ما يلفت نظر الاخرين الى الاهتمام به ولهذا جاء اختلاف الباحثين انحد ثين حوله فمن قول انه ولد سنة ٤٣٢هـ[١] وقول آخر انه ولد سنة ٤٠٥هـ[٢] ونميل الى ترجيح الرأى الذى يجعل ميلاده فى سنة ٤١٣هـ وذلك لاستناده الى دليل يقوية من ابن حيان[٣] .

وبالرغم من كثرة الاتفاق بين المصادر حول تحديد وفيات اعلام العلماء بمختلف المكانة التى يكتسبونها فان هذه المصادر اختلفت حول تحديد تاريخ وفاة البكرى . برغم الشهرة التى نالها فذهب البعض الى انه توفى فى سنة ٤٨٧هـ.[٤] وعلى هذا الرأى أغلب الباحثين وذكر الضبى انه توفى سنة ٤٩٦هـ[٥] .

ومن الضرورى هنا : أن نلقى ضوءا على العصر الذى عاش فيه أبو عبيد البكرى ، حتى تتضح لنا الصورة عنه كاملة . والمعروف ان الحكومة الاسلامية فى الاندلس قبل

---

(١) بالنثيا ، تاريخ الموجز ص ٣٠٩ .

(٢) البكرى : جغرافية الاندلس واوربا ـ مقدمة الحجى ص ٢٩ بيروت ١٩٦٨م .

(٣) الدينم : ابو عبيد البكرى الجغرافى الضبى ـ رسالة ماجستير ص ٦ .

(٤) ابن بشكوال : الصلة جـ ١ ص ٣٢٧ . والسيوطى : بغية الوعاة جـ ٢ ص ٢٨٥ .

(٥) بغية الملتمس فى تاريخ رجال اهل الاندلس ص ٣٣٣ . مدريد ١٨٨٤م .

القرن الخامس الهجرى مارست من الاساليب السياسية الرشيدة ، ما مكنها من المحافظة على وحدة البلاد وتماسكها ، وذلك حين ولى أزمة الحكم بها ثلاثة من الحكام الاقياء هم (عبد الرحمن الناصر ، ت ٣٥٠هـ) ثم (الحكم المستنصر ، ت ٣٦٦هـ) ، اما الثالث فمن غير البيت الاموى ، فهو كبير الوزراء (محمد بن أبى عمر ت ٣٩٢هـ) وغدت بلاد الاندلس نتيجة لهذا التماسك القوى فى عهد عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر قبلة انظار العالم وقتذاك ، فوفدت اليها الوفود قاصدة رسل الملوك والامراء المعاصرين . وقد وصف ابن حيان تلك الوفود فى عهد الناصر بقوله : " ارتبش أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس ، وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ، ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى ، فانه هاداه ووفد فى مواده عنه وكان وصول ارساله فى صفر سنة ٣٣٨هـ " (١) .

فقد تمكن عبد الرحمن الناصر من أخضاع اقاليم الاندلس الاسلامية الخارجة على سلطانه ، والزامها الطاعة . اما الممالك النصرانية (٢) فى الشمال فقد نجح فى

---

(١) المقرى : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس جـ ١ ص ٣٤٣ ، بيروت ١٩٦٨ .

(٢) يتكون نصارى الشمال فى القرن الحادى عشر من خمس ممالك مسيحية يحكمها =

استمالة بعضها وكسب صداقتها ، وأرغم البعض الآخر على احترامه واللجوء اليه فيما يشجر بينها من خلاف.

وبعد وفاة الناصر سنة ٣٥٠ هـ خلفه ابنه الحاكم المستنصر ولم يكن أقل من أبيه كفاءة في ادارة دفة البلاد والمحافظة على وحدتها وما يسيرته ولم تنقطع الوفود التي كانت تفد الى قرطبة طالبة ود أبيه من قبل ، فاستمرت أيضا في أيام الحكم المستنصر ومن بين الذين وفدوا عليه " اذفونش " ملك الجلالقة [1] الذي جاء مستجيرا فاحتفل

= اولاد سانشو الملقب بالملك الكبير فبعد وفاته اصبح ولده فرديناند ملك قشتاله ملكا على ليون وجليقية واستوريش وما اليها وحكم اخوته بقية ممالك الشمال النصراني فحكم غرسية بن سانشو نافارا من غرب البرنية الى مصب الايبرو وحكم رامبرو بن سانشو ارغون او الثغر الاعلى وحكم كونزالو ولاية سوبرابي في اواسط البرنية وحكم ريموند برنجارا الاول امارة كونتية شرق البرنية.

يوسف اشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ص ٩ـ١٠.

(١) الجلالقة جنس من الافرنج وهم سكان جليقية " غاليسيا الاسبانية " وتمتد من نهر دويره جنوبا حتى الساحل الشمالي لشبه الجزيرة الايبيرية ومن الساحل الغربي حتى قشتالة : عبد الرحمن الحجي ـ جغرافية الاندلس واوربا ص ١٧١ـ١٧٢.

بوفاده ، ووعده ، بالنصر على عدوه ، وعاقده ، على موالاة الاسلام [1] .

ولما توفى الحكم سنة ٣٦٦هـ خلفه ابنه هشام ، وكان هشام هذا صغيرا مناهزا الحلم ، وقد عين الحكم المستنصر المنصور بن أبى عامر وزيرا لابنه هشام ، وخوله من خطة القضاء الى منصب الحجابة ، وفوض اليه أموره [2] ، ولكن المنصور بن أبى عامر استبد بالامر ، وحجب هشاما ومنع الوزراء من مقابلته ، وعلى الرغم من أن المنصور بن أبى عامر كفل للدولة هيبة ، باجزال العطاء للجند ، ورفع مراتب العلماء والقضاء على الضلالات والبدع ، مستخدما ملكاته وشجاعته ودرايته بالحروب ، فانه استبد بالامر واستلب من كبار رجال الدولة سلطانهم لنفسه ، فجرد القائمين على أمور الدولة من مناصبهم ، وأنزلهم من مراتبهم ، وكانت نيته القضاء على النابهين والاقوياء من الرجال ، وفقد من بقى فى الدولة تبادل الثقة مع الاخرين ، فقد كان يستعين ببعضهم فى القضاء على البعض الآخر حتى فرق جميعهم [3] .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، وديوان المبتدأ والخبر : جـ ٤ ص ١٤٥ .

(٢) ابن خلدون : نفس المصدر ـ جـ٤ ص ١٤٧ .

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق .

وأدت السياسة التي اتبعها المنصور بن أبي عامر بالقضاء على المعارضة الداخلية ، وضرب الفرسان والابطال وأصحاب الرأي الى ازدياد خطر الدول النصرانية في الشمال بازدياد رغبتهم في الانتقام من المسلمين .

ويتضح من سير الاحداث أن زوال القوة المتفردة الممثلة في شخصية المنصور ابن أبي عامر قد تركت ضعفا في جسم الدولة ، فلم تعد هناك شخصية جديرة بتولي أمور الدولة والمحافظة على وحدة الاندلس ، والمعروف أن المنصور بن أبي عامر كان عهد قبل وفاته سنة ٣٩٢هـ ، الى ابنه عبد الملك بتولي منصب الحجابة وبذا غدا منصب الحجابة وراثيا .

واذا كانت أمور البلاد في عهد عبد الملك سارت بقوة الدفع سيرا هادئا ، فان ذلك لم يلبث أن تبدل بقرطبة ، وآذن شمس الدولة بالافول . ذلك أن اخاه عبد الرحمن الذي عرف بشنجول طمع في منصب الحجابة ، غير ان الناس كرهوا ولايته وتمنوا الخلاص منه ، ثم طمع شنجول في الخلافة وأرغم الخليفة هشام المؤيد أن يقره على ولاية العهد بأن يكتب له عهدا بالتنازل عن الخلافة ، واستطاع أن يحصل على ذلك العهد من هشام المؤيد أعلم ملأ من الناس[1] ، ولم يرض الامويون

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٤ ص ١٤٨ـ١٤٩ .

والقرشيون بهذا العهد ثاروا في قرطبة ، وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بالخلافة ولقب بلقب المهدي ، وأشاع أن هشاما قد مات ، فانفض جند عبد الرحمن بن المنصور عنه ، واحتزوا رأسه وبايعوا المهدي بقرطبة ، وبذلك انتهت الدولة العامرية [1] .

ولكن الاموين انشقوا على أنفسهم عندما ثار فريق منهم على المهدي بزعامة سليمان المستعين ، وكان معظم انصاره من البربر الذين بايعوه بظاهر قرطبة [2] وانتهز نصارى الشمال الفرصة وزادوا نيران الفتنة اشتعالا ، فأمدوا المستعين بالمساعدة وكانت هذه سابقة خطيرة تدخل فيها نصارى الشمال في أحوال الاندلس ونشبت معركة انتصر فيها سليمان المستعين ، وقتل فيها ما يقرب من عشرين الفا ، وهلك من الناس عالم كثير ، ودخل المستعين قرطبة .

أما محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي فقد لجأ الى طليطلة [3] وعرفت هذه المرحلة في التاريخ بالفتنة البربرية سنة ٣٩٩هـ - ٤٠٢هـ ، وأحدثت في البلاد خرابا يصوره لنا البكري بقوله : " عقب الفتنة التي كانت على رأس أربعمائة من الهجرة عفت آثار هذه القرى ، وغيرت رسوم ذلك العمران ، فصار أكثرها خلاء يندب بساكنيه ،

---

(١) و(٢) و(٣) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٤ ص ١٥٠ .

وبابا يفض مصريه وكذلك حكم الله فى كل جديد أن يليه ، وفى كل آهل أن يخليه " [1] . ولجأ محمد بن هشام المهدى الذى لحق بطليطلة الى نصارى الشمال يستنصرهم ضد خصمه المستعين ، فتمكن من هزيمته ومن معه من البربر ، وملك قرطبة [2] ، وارتحل المستعين الى الجزيرة الخضراء [3] ، فلاحقه المهدى بمساعدة نصارى الشمال ، فكروا عليهم وحلت الهزيمة بالمهدى وتبعه المستعين الى قرطبة ، وهنا أغرى المستعين أهل القصر وحاجبه المدبر بالمهدى وأقنعهم بانه سبب الفتنة ، فانقلبوا على المهدى وقتلوه وجددت البيعة لهشام المؤيد ، بيد أن المستعين والبربر ظلوا يحاصرون قرطبة حتى " هدمت المرافق وضاقت أحوال أهل قرطبة وجهدهم الحصار " [4] ، فعاد المستعين الى الاستعانة بالنصارى وكتب لهم يدعوهم لنصرته ، فاقتحم البربر قصر الخليفة سنة ٣٠٤هـ ، وقتلوا هشاما المؤيد ، واستقر الامر فى قرطبة واستتب الامر للمستعين حتى جاء على بن حمود من ولد ادريس بن عبد الله العلوى فاجتمع حوله البربر وقتلوا المستعين ، واستمر الحكم فى بنى حمود نحو سبع سنين [5] .

---

(١) البكرى : مخطوط الرباط ق ٢٢٠ رقم ٤٨٨ .
(٢) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٤ ص ١٥١ .
(٣) المقرى : المصدر السابق جـ١ ص ٢٧٩ .
(٤) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٤ ص ١٥١ .
(٥) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٤ ص ١٥٢ .

وقامت محاولات متكررة لارجاع الخلافة الاموية فلما تطلع أهل قرطبة دعوة الحموديين زحف اليهم قاسم بن حمود في جمع من البربر فهزمهم أهل قرطبة وردوا الامر لبني أمية ، واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخا المهدي سنة ٤١٤هـ ، ولقبوه بالمستظهر ، غير أن محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر ثار على المستظهر بعد شهرين من خلافته وقتله بالمستظهر واستقل بأمر قرطبة ، ولقب بالمستكفي ومحمد هذا هو ستة عشر ، هو الذي حكم المستكفي عاد الامر لبني حمود مرة أخرى ، وتولى الامر يحيى بن علي بن حمود وهو المعتلي ، وثار القرطبيون على المعتلي بن حمود سنة ٤١٧هـ وخلعوه ، وغادر بنو حمود قرطبة الى مالقة فقتلت القرطبيون بالحامية البربرية بزعامة ابو الحزم بن محمد بن جهور وبويع هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، ولقب بالمعتمد بالله وتنفس عابدين نسيم الخلافة لم يحسن فيها السيرة فخلعه الجند وفر الى الاردة في سنة ٤٢٢هـ [1] ، وانتهت بذلك الدولة الاموية .

وهكذا نرى من خلال تتبع حوادث الفتنة الكبرى أن ضعف الخليفة هشام الثاني واستبداد آل عامر بمختلف أمور الدولة ساعد على اثارة الفتن وتعاقب الخلفاء في ثلاثة عشر عاما توفي تسعة خلفاء [2] وهذا فعل الامويين في استبداد الخلافة الاموية ظهر التفكك الذي أصاب الاندلس " فانتزى الامر في رؤساء الدولة من العرب والموالي والبربر واقتسموا الاندلس ممالك ودولا ، ولقبوا بألقاب الخلفاء " [3] وقد عرف هذا العهد في تاريخ الاندلس بتاريخ ملوك الطوائف فقام بنو جهور بالامر في قرطبة وبنو عباد في اشبيلية ، وبنو الافطس في

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٢ .
(٢) خالد الصوفي : تاريخ العرب في اسبانيا جمهورية بني جهور : ص ٢٢ دمشق ١٩٥٩
(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٥ .

بطليوس وبنو زيري في غرناطة ، وبنو ذي النون في طليطلة ، وبنو هود في سرقسطة ، والبكريون في شلطيش وولبه ، وهؤلاء هم الذين ينتمي اليهم أبو عبيد البكري .

وبعد ان كانت الاندلس تمثل في النصف الثاني من القرن الرابع ذروة المجد السياسي المتمثل في وحدتها التي كفلها لها الخلفاء النابهون والاقوياء من حكامها امست بعد ذهابهم في تفكك وضياع لم يجد من يحافظ على وحدتها ، فقضت عليها الفتن واستقل كل وال بولايته وأصبحت قرطبة التي كانت تمثل واسطة العقد لعدد من دويلاتها تقام على رأسها بنو جهور ، ويكشف لنا ابن الخطيب الصورة الغريبة التي انتهت الى ضياع الاندلس وتفرقها بقوله : " وذهب اهل الاندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق الى حيث لم يذهب كثير من أهل الاقطاع مع امتيازها بالمحل القريب والخطة المجاورة لبلاد الصليب ، ليس لاحدهم في الخلافة ارث ، ولا في الامامة مكتسب ، انقطعوا الاقطار ، وانتسموا المدائن الكبار وجمعوا الصالات والاحشار ، وعددوا الجنود وقدموا القضاء وانتحلوا الالقاب "(١)

وينبغي هنا أن نقف وقفة قصيرة مع دويلة من دول الطوائف لا لاهميتها السياسية فحسب بل لصلة العالم الاندلسي أبي عبيد البكري الذي نحن بصدد الحديث عنه بهذه الدويلة لنكشف عن تاريخ البكريين في تلك الامارة ، لقد سهمت الاسرة الى وحدة الاندلس وتماسكها في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، ثم انحدارها الى حالة من الفوضى والاضطراب والتفرق ، حيث انفرد في كل مقاطعة حاكم اعلن استقلاله بها وقامت عدة مدن تنافس قرطبة وتعلن استقلالها ومن بين الذين اعلنوا استقلالهم في عهد الطوائف جماعة البكريين الذين ينتسبون الى قبيلة بكر بن وائل (٢) وهنا ينبغي أن نتتبع تاريخ هذه القبيلة منذ كانت في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي حتى وقت ارتحالها للاندلس وتكوينها لامارة البكريين في ولبه (٣) .

---

(١) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ١٤٤ تحقيق بروفنسال بيروت ١٩٥٦م .
(٢) المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ٣٧١ تحقيق بروفنسال بيروت ١٩٦٨ .
(٣) تقع مدينة ولبه على ساحل البحر المحيط الى الغرب من اشبيلية ، كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي جـ ١ ص ٣٧٥ .

كانت ديار بكر بن وائل تمتد من البهامة الى الجزيرة ، وفى سواد العراق والابلة [1] ، وتاريخ هذه القبيلة يشهد لها بالشهرة والقوة ، وانها من القبائل التى تكثر من الاشتراك فى الحروب وتحب التوسع ، فقد عرف التاريخ عددا من الأيام لهذه القبيلة فى العصر الجاهلى ، فمن أيامها المشهورة يوم ذى أحال ، يوم الصفار ، يوم سلمان ، يوم الهبير ، وفى أيام وقعت بينها وبين قبائل تميم ، مما يدل على ميلها الى التوسع من غزوها لخوزستان الفارسية سنة ٣٣٠هـ [2] واستمرت حروب هذه القبيلة فى أيام الجاهلية والاسلام ، وشاركت فى يوم ذى قار ضد الفرس [3] كما ساندت المهلب بن أبى صفرة فى حربه ضد الخوارج ، يتضح من وقائع قبيلة بكر بن وائل كثرة عدد أفرادها ، وأنها قبيلة ذات طابع جرىء ومیل للتوسع والانتشار وهذا يفسر لنا ، واقع وصولها للاندلس بعد أن أول فتح من هذه القبيلة وصل الى الاندلس فى الحملة الاولى التى اعدها موسى بن نصير لفتح هذه البلاد بقيادة طارق ابن زياد ، ومما يزيد هذا الاحتمال ترجيحا : أن موسى بن نصير نفسه من قبيلة

---

(١) كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : جـ١ ص ٩٣ـ٩٤ بيروت ، ١٨٦٩م .

(٢) كحالة : المرجع السابق جـ١ ص ٩٤ .

(٣) ابن رشيق : العمدة ، جـ١ ص ١٦٩ القاهرة ١٩٥٢م .

بكر بن وائل [١] . ولم ترد واحدة بمقدرة أفراد قبيلته في الحروب . والمشاركة في حملة طارق على الاندلس . ولما تم للمسلمين فتح الاندلس وسمعوا بوفرة خيراتها اندفعوا يهاجرون اليها . فيشير المقري الى هجرة القبائل العربية الى الاندلس بقوله : " فاعلم انه لما استقر الاسلام بالاندلس وتمام فتحها . صرف أهل الشام وغيرهم من الغرب همهم الى الحلول بها . فنزل بها من جراثيم العرب وساداتهم جماعة أوردوها أعقابهم الى أن كان من أمرهم ما كان " [٢] . ومن بين تلك القبائل التي استقرت بالاندلس قبيلة بكر بن وائل . يقول المقري : ومنهم من ينتسب الى بكر بن وائل كالبكريين اصحاب أوبه وشلطيش الذين منهم ابو عبيد البكري صاحب التصانيف " [٣] . وأخذت قبيلة بكر بن وائل وغيرها من القبائل العربية في الانتشار في المناطق الخصبة في الاندلس . وترك المناطق الجبلية للبربر [٤] . واختارت قبيلة

---

(١) ابن الشباط : وصف الاندلس ص ١٣١ . تحديد . تحقيق احمد مختار العبادي .

(٢) المقري ـ نفس المصدر السابق جـ١ ص ٢٧١ .

(٣) المقري ـ نفس المصدر السابق جـ١ ص ٢٧٤ .

(٤) سالم : العرب الكبير ٥ ص ٢٨١ .

بكر بن وائل ان تستقر فى أشبيلية عاصمة الاندلس الاسلامية وقتذاك[1] لخصب اراضيها ، وانتشرت فى جهاتها المختلفة ، وشاركها فى سكنى هذا الاقليم مجموعة من القبائل العربية التى سكنت كبرى مدنه مثل قرطبة وطليطلة وبين هذه القبائل : هوازن ، وأسد ، وإياد بن نزار ، ومراد ، وخولان[2] .

ومن الضرورى هنا أن نعرف لجهود قبيلة بكر بن وائل فى تأسيس امارتها فى الاندلس . والواضح ان البكريين حين اعتزموا الاستقلال بالاقليم الذى استقروا به فى الاندلس ، اختاروا زعيما توسعله مكانته لنيل شرف قيادتهم فى هذا الاقليم ، إذ ذلك الزعيم فهو محمد بن أيوب بن عمرو البكرى وكان لوالده أيوب مكانة كبيرة وشرفا قديما فى قومه ، فيذكر المؤرخون أنه شغل ارفع المناصب وهو منصب القضاء فى بلدة لبلة ووصفوه بصفاة الفضل والعفة كما ذكروا انه كان يمتاز بشدة الاحكام حتى كانت وفاته فى رمضان سنة ٣٩٨هـ ، حيث دفن بمقبرة الربض وذكره الناس بالخير والثناء الجميل[3] . وقد ساعدت شهرة هذا الرجل على اتصال اسرته باحدى امارات غرب الاندلس المكونة من ولبة لوقصها الحصين بين جبال

---

(١) مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٣٤ القاهرة ١٩٥٩ .

(٢) مؤنس : المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٣) ابن بشكوال : الصلة ، جـ١ ص ١١٧ .

صفة بالسلامة[1] وجزيرة شلطيش الواقعة تجاه ولبه في المحيط ، في مصب نهر أودبلة وهي ميناء ومرسى للسفن ومركز صناعي كذلك .

وعقب الفتنة استقل بهما محمد بن أيوب البكري فقام بأعباء الامارة ولما انتهت فترة حكمه خلفه ابنه أبو مصعب بن عبد العزيز البكري والد أبي عبيد البكري ، وفي عهده توثقت العلاقات بين البكريين وبين بني عباد ، وهي علاقات تقوم أساسا على احترام حسن الجوار ، وهي بهادئ وضع لبنتها الاولى القاضي أبو الوليد اسماعيل بن عباد أمير أشبيلية ، فقد استطاع بفضل رجاحة عقله أن يكسب ود زعماء غرب الاندلس ، ويوطد علاقته بهم ، حتى غدا من أبرز أمراء غرب الاندلس بيد أن هذه العلاقات الطيبة لم يلبث أن طرأ عليها ما أفسدها — وذلك حين خلفه ابنه المعتضد ، فلم يبد منه ما يدل على الحرص على استمرار حسن العلاقات بينه وبين جيرانه ، فيقال انه كان كثير الشكوك حقودا ، طابع حياته الظلم وسفك الدماء[2] ، واشتهرت عنه هذه الصفات لما عرف عنه من كثرة القبض على

---

(١) الحميري : الروض المعطار صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٥ .

(٢) دوزي : ملوك الطوائف ، ص ٩٥ .

أعدائه ، يخطفهم كما يخطف الطائر [١] ، ولم يقتصر كيده على الاعداء فحسب بل شمل اصدقاءه كذلك نقد غدر بوزيره حبيب [٢] ووثب على وزيره وند يمه أبي عامر [٣] ولم ينج من قتل علماء الحديث ، فقض على أبي حفص عمر بن الحسين الهوذني [٤] وجل تلك صفاته لا ينتظر منه ان يحفظ للبكريين وأمراء غرب الاندلس استمرار حسن العلاقات مع بني عباد .

مع أن المعتضد بن عباد قد ورث عن أبيه مملكة اشبيلية التي كانت تتصف بالاستقرار وحسن العلاقة بالجيران : فانها كانت تعاني من مشكلة واحدة ، وهي انها مملكة صغيرة [٥] ، ومن ثم اتجهت اطماع المعتضد الى الاستيلاء على امارة البكريين وبقية امارات غرب الاندلس لتوسيع نطاق سلطانه وزيادة نفوذه في أشبيلية ، وأخذ المعتضد بن عباد يتحين الفرص المناسبة للانقضاض على امارات

---

(١) المقري ـ المصدر السابق جـ٢ ص ٤٦ ، ابن خاقان : المصدر السابق ص ١١ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ٢ ص ١١ .

(٣) المقري ـ المصدر السابق جـ٢ ص ٣١٢ .

(٤) ابن بسام : المصدر السابق جـ٢ ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٥) صلاح خالص : اشبيلية في القرن الخامس الهجري ، ص ١٢٦ .

غرب الاندلس حتى وافت الفرصة لذلك حين تعرضت قرطبة لتهديد بنى ذى النون أمراء طليطلة بغزوها بعد تحالفهم مع القشتاليين للاطاحة بمحمد بن جهور أمير قرطبة [1] . وكان بين الجهاورة فى قرطبة وبين بنى عباد فى اشبيلية منافسة منشؤها ادعاء القرطبيين سيادة قرطبة على جميع الاندلس على حين أنه كان لبنى عباد ادعاءات أخرى هى أن امارات غرب الاندلس ، بما فيها امارة البكريين تتسع جميعا لاشبيلية اما البكريون فيتمسكون باستقلال امارتهم عن أشبيلية . واتضحت هذه الاتجاهات جميعا حين أمسى بنو جهور فى قرطبة فى مواجهة بنى ذى النون حكام طليطلة وحلفائهم القشتاليين ، فلم يقووا على الوقوف منفردين ضد أعدائهم ، وهنا اضطرت حكومة قرطبة الى اعلان تنازلها عن السيادة على الاندلس كلها ، واعترفت قرطبة باستقلال جيرانها وخصومها بنى عباد ، ووجهت قرطبة الدعوة الى امارات الاندلس للتحالف معها على صد غزو طليطلة ، وبادر البكريون وأمراء غرب الاندلس فى اعلان انضمامهم الى الحلف للوقوف امام زحف طليطلة ، ولكن بنى عباد لم يرضهم انضمام البكريين الى الحلف على أساس انهم مستقلون ، على حين انهم يستظلون بسيادتهم غير أن البكريين وأمراء غرب الاندلس لم يهتموا

---

(١) يوسف اشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين جـ ١ ص ٤٩ ، القاهرة ١٩٤٠ ، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر .

كثيرا بموقفهم حقد وحسدا على الماضي قديما بما اعتزموا من جهاد لنصرة قرطبة ، فأوفدوا عبد العزيز اليحصبي صاحب لبلة ، فعقد باسمهم مع امراء قرطبة وغيرهم محالفة يتعهد الجميع بمقتضاها أن يتعاونوا على الدفاع عن أنفسهم [1] وشمل هذا الحلف أمارات قرطبة وطليطلة وطليطلة وبقية امارات غرب الاندلس . خرج الامراء المتحالفون للدفاع عن قرطبة ، وفي الوقت الذي تلتحم فيه الجيوش المتحالفة مع طليطلة ، يلجأ المعتضد بن عباد الى استعمال المكر والدهاء ، وتظاهر بالوقوف الى جانب قرطبة فيشترك مع الجيوش المتحالفة بكتيبة صغيرة من جيشه تقدر بـ ٥٠٠ جندي ويحتفظ ببقية جيشه بعيدا عن المعركة ثم استغل فرصة انشغال الجيوش المتحالفة في الحرب ضد طليطلة وانقض عليها امارات غرب الاندلس ، وبدأ بغزو امارة لبلة التي كانت مشغولة بالدفاع عن قرطبة ، فاستولى عليها وكتب اميرها نصر الدولة فتح بن خلف الى المعتضد طالبا السماح له بالخروج الى المنفى [1] ، فأعطاه المعتضد حرسا أوصله الى قرطبة ومنى بها الى أن توفي سنة ٤٤٦هـ ، واتجه المعتضد بعد القضاء على لبلة الى الاستيلاء على امارة البكريين في وبلة وشلطيش ولما احس عبد العزيز البكري بأطماع المعتضد في التوسع بادر

---

(١) يوسف اشباخ : المرجع السابق ج ١ ص ٥٥٠

(٢) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ص ٢٤٠ ـ الطبعة الاولى القاهرة ١٩٦٠ .

يهنئه بانتصاره على لبلة ، ولما كانت التهنئة وحدها لا تكفي اطماع أطماع المعتضد فانه تنازل عن قسم من امارته وهو القسم الخاص بلبلة ، وطلب اليه السماح للبكريين بالبقاء في القسم الآخر من الامارة وهو جزيرة شلطيش ، وتظاهر المعتضد بالرضا والموافقة على طلب عبد العزيز البكري ، وكتب المعتضد بن عباد الى عبد العزيز البكري مع الموافقة التي أرسلها اليه رغبته في لقائه ، وهنا أدرك عبد العزيز البكري خيانة المعتضد له ومكره به فبادر بمغادرة ولبة والالتجاء الى شلطيش حتى لا يقع في فخاخ المعتضد ، ولما وصل المعتضد الى ولبة لم يجد بها عبد العزيز البكري استولى عليها وأمن الناس على أموالهم وأنفسهم وجعل ولاية المدينة الى ابنه الناصر الذي عرف فيما بعد بالمعتضد على الله ثم حاصر المعتضد جزيرة شلطيش وقطع عنها جميع الامدادات لارغام البكري على التخلي عنها وفق شروط معينة وتنازل له عن شلطيش وسمح له بالالتجاء الى قرطبة وسافر البكري الهناك سرا [1] خوفا من مكر المعتضد وخيانته [2] .

---

(١) كبر : دائرة المعارف الاسلامية ، حـ٤ ص ٤٨ ، الترجمة العربية .

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ص ٣٢٣ ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

ويقابل الدارس لتاريخ البكريين ظاهرة التجائهم مع امراء غرب الاندلس ، الى قرطبة ، فجميعهم سقطت اماراتهم فى يد بنى عباد : تجدهم يطلبون الالتجاء الى قرطبة ، ويرجع ذلك فى الغالب الى الحلف القائم بين تلك الامارات من ناحية وبين حكومة قرطبة من ناحية اخرى للدفاع عن قرطبة ضد جيوش طليطلة وقشتالة فقد أحدث ذلك الحلف تطورا فى العلاقات بين تلك الامارات وبين قرطبة ، مما دفع بحكام امارات غرب الاندلس لطلب الالتجاء الى قرطبة ، عندما استولى بنو عباد على اماراتهم ، ومن أسباب التجاء أمراء غرب الاندلس الى قرطبة ، ما عرف عن حاكمها ابى الحزم بن جهوره من الاشخاص الاقوياء النابهين ، الذين يمكن أن تتحقق على أيديهم الحماية لهؤلاء الامراء اللاجئين ، ولم يلبث ابو الحزم أن أصبح هيئا للجماعة ، وزعيم المدينة الحقيقى (١) .

ومما شجع البكريين على اختيار قرطبة ملجأ لهم تيقنهم من اضطراب العلاقات بينها وبين اشبيلية ، ذلك أن مقامهم فى امارة تربطها باشبيلية صلات

---

(١) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ص ٢١ ، القاهرة ١٩٦٠م .

طيبة قد يعرضهم لخطر المعتضد بن عباد صاحب أشبيلية .

اما قرطبة فالمعروف أن لها مواقف معادية لاطماع بنى عباد اذ عارضت الاعتراف بخلافة هشام المؤيد المزعومة التى دعا اليها بنو عباد ، وهو موقف كفيل بحماية الامراء الفارين من ظلم المعتضد وجوره ، وقد صحب أبو عبيد البكرى والده عبد العزيز الى قرطبة ، وكان عمره وقتذاك أى سنة ٤٤٣هـ حوالى خمس وعشرين سنة [1] ويصف المؤرخون ابا عبيد البكرى ساعة قدومه مع أبيه الى قرطبة بانه فتى بذ الاقران جمالا ونبلا وأدبا [2] ومكث أبو عبيد البكرى فى قرطبة مدة حتى وفاة أبيه سنة ٤٥٦هـ ، ثم انتقل منها الى المرية للالتحاق بخدمة أميرها محمد بن معن السعادى فقد انتشرت اخبار هذا الامير وما يتمتع به من صفات طيبة ، ولابد أن البكرى سمع بكرمه واجزاله العطاء للعلماء والشعراء [3] ، فشد اليه الرحال وأكرم محمد بن معن وفادته ، وبالغ فى حسن استقباله [4] .

---

(١) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١١٥ .

(٢) اورد هذا الخبر نقلا عن ابن حيان . انظر مؤنس المرجع السابق ص ١١٣

(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الخاص بالاندلس ص ٩٠ - تحقيق احمد مختار العبادى ـ الدار البيضاء ١٩٦٤ .

(٤) Deslane M. Description De Lafrique septentrionale p. 11.

ولما اشتد خطر نصارى الشمال على بلاد الاندلس، واضطرت الامـــارات الاندلسية الى ارسال وفودها الى الامير المرابطي يوسف بن تاشفين [1] لمعاونتها على صد هذا الخطر الداهم، كان البكري على رأس سفارة المرية مثلا لمحمد بـن معن الصمادحي [2]، ولعل البكري اكتسب من هذه السفارة لقب " وزير " وهو لقب تطلقه عليه بعض المصادر العربية [3]. والتقى البكري في هذه السفارة بالمعتمد بن عباد، ونشأت بينه وبين بني عباد علاقة حسنة، أنسته العداوة التي غرسهـــا المعتضد في نفوس امراء غرب الاندلس، ونالت سفارة المرية وسفارة بني عباد اعجاب الامير المرابطي الذي شكر للمعتمد ومحمد بن معن اهتمامهما بامر الاندلـــس، عندما استولى نصارى الشمال على طليطلة من المسلمين واغتروا بذلك حتى قـــال

---

(١) انضم يوسف بن تاشفين مع قومه من المرابطين بعد وعثاء في جهادهم بالاندلس حين لبى دعوة امراء الاندلس في الدفاع عنها ضد خطر نصارى الشمال وكانـــت لقصة جهادهم في الاندلس آثار كثيرة يمكن الرجوع اليها في المراجع والمصادر التي اولتها الاهتمام. انظر في هذا الموضوع الحلل الموشية لمؤلف مجهـــول الاسم. والمقري في نفح الطيب جـ٢ وكذلك حسن محمود : في قيام دولـــة المرابطين ص ٢٦٩.

(٢) كور: دائرة المعارف الاسلامية جـ٤ ص ٤٨. الترجمة العربية.

(٣) النجي : بقية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ص٣٣٢. مدريد ١٨٨٤م.

احدهم : " انما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما في أول امركم ، وقد نصرنا الان عليكم بردا ءتكم فارحلوا الى عدوتكم واتركوا لنا بلادنا ، ولن نرجع عنكم او يحكم الله بيننا وبينكم " (١) . وهنا كان دور المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية ودور البكري يمثل سفارة المرية جريئا ، فقد طلبا من أمير المرابطين يوسف بن تاشفين في صراحة النصرة ، والاستغاثة (٢) ، وظل البكري مرتجيا بامارة المرية ، وأميرها محمد بن معن الصمادحي حتى استولى المرابطون على امارة المرية ، وهزموا زعيمها محمد بن معن ، فارتحل البكري عنها الى اشبيلية وهناك اتصل بالمعتمد بن عباد بعد قضاء المرابطين على دولة بني عباد في اشبيلية توجه البكري الى قرطبة وتوفي بها سنة ٤٩٦هـ (٣) .

وقد تأثر أبو عبيد البكري بالفتنة البربرية التي حدثت سنة ٤٠٠ هـ ، وسوف نكرر ذكر النص السابق، اذ فيه يعترف البكري بآثار الفتنة التي امتدت حتى ايامه وحديثه عنها يصور مدى تأثره بها ، فيذكر أن : " الفتنة التي كانت على رأس

---

(١) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب ، جـ٣ ص ٢٨٢ طبعة بيروت .

(٢) عنان : دول الطوائف ص ١٦٨ .

(٣) الشيخ : الجغرافي الصربي أبو عبيد البكري ، ص ٩ ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٣م .

أربعمائة من الهجرة واستمرت الى وقتنا هذا ، وهو سنة ستين وأربعمائة من الهجرة ، هفت آثار هذه القرى وغيرت رسوم ذلك العمران ، فصار اكثرها خلاء يندب ساكنيه يبابا يندب محبوبه ، وكذلك حكم الله في كل جديد أن يعقبه في كل آصال أن يخلقه " (١) .

هذه الصورة المتنافرة هي ما خلفته الفتنة في نفس البكري ، وكان لها عدة آثار عليه :

أولها : انكبابه على شرب الخمر ، فقد اشتهر بشربه لها ، فقد وصفه ابن خاقان بقوله : " انه رحمه الله كان مباكرا للراح لا يصحو من خمارها ، ولا يمحو رسم ادمانه من مدارها ، ولا يريح الا على تعاطيها ، ولا يستريح الا لمعاطيها فقد اتخذ ادمانها هجيرى " (٢) .

ومن آثار الفتنة على البكري أيضا : الاستهتار بالدين ، فنجد في شعره ما يدل على دعوته واستخفافه واستحلاله لشرب الخمر في رمضان ، وأبياته تدل على

---

(١) البكري : المسالك والممالك ـ مخطوط الرباط رقم ٤٨٨ ق ٢٢٠ .

(٢) ابن خاقان : قلائد العقيان ص ١٩٩ . القاهرة ١٢٨٣ .

ذلك ، حيث يقول :

خليلي اني قد طربت الى الكـــأس
وقمت الى شرب المنضج والآس
فقوما بنا نلهو ونسترق اللعـــــا
ونسرق هذا اليوم سرا من الناس
فان تطلقوا كنا نصارى ترهبـــــوا
وان غلظوا هدنا اليهم من الرأس
فليس علينا في التململ ساعـــــة
وان وقعت في عقب شعبان من ماس

وهناك الاستاذ حسين مؤنس في ادمان البكري الخمر ، ويرى أن من يقـــوم على تأليف هذا القدر الكبير من الكتب لا يمكن ان يكون مدمنا ولكنه كان يشـــرب الخمر متأثرا بضياع ملك أبيه يهدو ومن شعره انه كان يشرب الخمر أحيانا .

ويتضح من هذا العرض السريع لحياة البكري تأثره بأحداث عصره فحياته كمـــا يقول الاستاذ مؤنس صورة من مأساة العصر المضطرب ، فهو كغيره من علماء تلـــك الفترة الذين فاجأتهم الفتنة الكبرى في منتصف شبابهم ، فاذا الدنيا تنقلب مـــن

حولهم ، وتصبح آمالهم وتفرضها الظروف القاسية عليهم طريقا غير التى أرادوا ، وتجرفهم الحوادث فتصبح حياتهم حياة متصلة وقلقا دائما (١) .

ومن مظاهر تأثر البكرى بأحداث تلك الفترة ان اصبحت حياته قائمة على التجوال المستمر من امارة الى اخرى وذلك منذ أن فقدت أسرته الاستقرار بعد سقوط امارة البكريين ، فقد كان العلماء فى فترة الاستقرار بقرطبة يتجهون اليها من كل صوب(١) ولكنهم أخذوا فى فترة التفكك فى التجوال من مكان الى آخر للاحتماء بهيبة الامراء ، وتجوال البكرى بين لبلة وشلطيش وقرطبة والمرية وأشبيلية صورة لما كان يعانيه وامثاله من العلماء وغيرهم من رجال الفكر فى الاندلس فى هذه الحقبة المضطربة من تاريخها .

---

(١) مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١٠٩ ـ مدريد ١٩٦٧م

(١) ابن الخطيب: اعمال الاعلام ص ١٤٥ .

من كتاب مسالك الطرائف لمحمد بن عناد

قرطبة قبلة العلماء قبيل عصر البكرى ـ تعدد المراكز العلمية في عصر ملوك الطوائف وأثره في تنوع ثقافة البكرى ـ مساهمة عصر ملوك الطوائف في استكمال شخصية البكرى العلمية ـ شيخ البكرى ، أبو علي القالي ، أبو حيان المؤرخ ، أبو عمر ابن عبد البر ، أبو العباس المذرى ـ آثار البكرى العلمية ـ مؤلفاته المطبوعة في الادب وعلوم اللغة ـ مؤلفاته المفقودة ـ مؤلفاته في الجغرافية والتاريخ ـ استخلاص المادة التاريخية من مخطوطات المسالك والممالك .

جرى علماء الاندلس على الاتجاه نحو قرطبة خلال المدة السابقة لعصر ملوك الطوائف ، بسبب مركزها الحضاري ، وما تحوى من مدارس وجامعات وحدائق وجسور وقصور وغير ذلك من مظاهر العمران [1] ، فقد كانت على قول ابن الخطيب

---

(١) ابن الخطيب: اعمال الاعلام ص١٤٦ . تحقيق بروفنسال بيروت ١٩٥٦م .

" محل للامارة ومستقر الخلافة ، كثربها العلم والعلماء ، واستقر فيهـــا الفضلاء والنبلاء ، وصارت دار هجرة للعلم ومكان رحلة لاولى الفهم " [1] . غـير انها لم تنفرد بهذه المكانة العلمية فى عصر أبى عبيد البكرى فقد نافسها علـى تلك المكانة عدد من المدن الأندلسية فى عصر ملوك الطوائف ، وتعددت المراكـز العلمية فى كثير من المدن مثل أشبيلية وسرقسطة ودانية وولبـــه وغيرهـــا .

واختلفت ميول أمراء الطوائف ، فغلبت الصبغة الادبية على أمراء بنى عبـاد فى أشبيليـة ، واشتهر بنو ذى النون فى طليطلـة وبنو هود فى سرقسطـــه بالميل الى العلم ، على حين مال العامريون فى دانيـة الى جمع أكبر عدد مـن العلماء من ذوى التخصصـات المختلفة [2] . وكان لتعدد المراكز العلمية فـى الاندلس أثره فى حياة أبى عبيد البكرى العلميـة ، فقد اضطرته الظروف الـى

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٥ـ١٤٦ .

(٢) البكرى : التنبيه على أوهام أبى على فى اماليـه ، ص ١٥ ، القاهـرة ١٩٥٤م .

الى التجول فى تلك المراكز ، فمرة نراه فى قرطبة مع الجهابرة ، ومرة أخرى فى المرية مع بنى صمادح ، وتارة فى اشبيلية ، مع بنى عباد . وفى خلال تجواله بتلك المراكز ، يلتقى بعدد من العلماء ممن اختلفت نشاطاتهم العلمية ، وتنوعت ميولهم الادبية ، ففى امارة البكريين مهد البكرى الاول تلقى علوم اللغة والأدب ، وفى قرطبة التقى بأبى حيان المؤرخ (١) ، وفى المرية قابل الحذرى الجغرافى وابن عبد البر المحدث الفقيه (٢) ، فأخذ عنهما شيئا مما تخصصا فيه ، فتشكلت شخصية البكرى ، وتنوعت معارفه حتى أمسى من أصحاب الموسوعات .

والمعروف أن البكرى كتب مصنفاته العلمية فى وقت تكتنفه الفوضى يشتد فيه الباحثون العمل الشمر ، وقد أدهشت مؤلفاته الدارسين ، فأرجعوا الفضل فى

---

(١) ابن خير : فهرسة ابن خير ص٢٣٢ مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) الغنيم : الجغرافى المصرى أبو عبيد البكرى ، ص٣٢ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٣ .

ظهور انتاجه العلمي الى عصر الخلافة ولا سيما عهد عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر ، ذلك أن مؤلفات البكري في نظرهم ماهي الا نتاج للاعمال التي وضع أصولها وعمل على رعايتها الخلفاء ، فهي ليست من نتاج هذا الوضع المرسوم بالتوتر والحيرة النفسية (١) .

ومع تأييدنا لهذا الرأي في الاشادة بدور الخلافة في خلق شخصية البكري العلمية ، فان ذلك لا يمنعنا من الاشادة كذلك بفضل عصر ملوك الطوائف في استكمال شخصية البكري العلمية ، اذ بلغ عصر ملوك الطوائف من الناحية العلمية والادبية ذروة التقدم ، فهو امتداد لعصر الخلافة (٢) .

وبالرغم من صورة الاضطهاد التي واجهها ابو عبيد البكري بعد فقد أسرته لبيت الشرف والامارة ، فقد اعتزم تعويض المجد المسلوب مستعينا على ذلك بنبوغه في ميدان العلم والمعرفة . فاشتهر البكري وذاع صيته في أرجاء الاندلس واستدعاه

---

(١) البكري : جغرافية الاندلس واوروبا ـ مقدمة الناشر ص ٣١ـ٣٢ .

(٢) احمد امين ، ظهر الاسلام ص ١٥٦ـ١٥٧ .

أمراء الطوائف الى بلاطهم ، وتردد على عدد من المراكز العلمية ، ولقى من الامراء التشجيع ، فدفعه ذلك للعمل والانتاج فى ميادين المعرفة المختلفة .

شيوخ البكرى :

دخل البكرى كما اسلفنا فى ميادين متعددة من المعرفة ، وأصبح له نشاط فكرى متنوع يدخل بعضه فى ميدان اللغة والادب ، والبعض الآخر فى ميدانى الجغرافية والتاريخ ، وقد امتد ذلك النشاط الى دراسة الطب والنبات[1] ويرجع هذا التنوع - فيما يبدو - اختلاف تخصص الاساتذة الذين أخذ عنهم أبو عبيد البكرى ، فنجد من بينهم المؤرخ والجغرافى واللغوى والمحدث .

وعلى الرغم من كثرة الشيوخ الذين تتلمذ عليهم البكرى ، وروى عنهم ، وجلس فى مجالسهم ، فان تأثره بهؤلاء العلماء لم يكن على مقياس واحد بل تفاوت هذا التأثر عمقا أو سطحية من أستاذ الى آخر . لذلك سوف نقصر الحديث هنا على

---

(١) ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ص ٥١٠ ، طبعة بيروت .

التعريف بأولئك الشيوخ الذين استجابت لهم نفسية البكرى ، فمضى يهتدى بهم ، ويسير على سننهم ، ويسجل اعجابه ببعضهم فى مؤلفاته ، وقد قصرنا الحديث هنا على أربعة من أهم شيوخه الذين كان لهم أثر عظيم فى تكوين شخصية البكرى الموسوعية .

وأول هؤلاء الشيوخ هو اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان المعروف بأبى على القالى [1] المولود سنة ٢٨٨ هـ ، فى مناز جرد من ديار بكر [2] وبدأت الصلة بين أبى عبيد البكرى المغربى وأبى على القالى المشرقى خلال رحلة القالى الى المغرب ، فقد أوردت المصادر وصول القالى الى الاندلس بعد أن سبقته اليها شهرته العلمية ، فاستقبل لدى وصوله للاندلس استقبالا يتلاءم مع تلك الشهرة فالحكم المستنصر يطلب من أحد ولاته [3] " أن يجىء مع أبى على الى قرطبة فيتلقاه فى وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض

---

(١) الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، القاهرة ١٩٥٤م .

(٢) القفطى : انباه الرواة على انباه النحاة : جـ ١ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٧ ـ القاهرة ١٩٥٠ ، السيوطى : بغية الوعاة ص ١٩٨ .

(٣) ذكر المقرى فى نفح الطيب ان هذا الوالى يدعى ابن رماحس ٤ / ١٥٠ بيروت ١٩٦٨ .

أهل الكوة نكرة لابن على ، ففضل وسار معه نحو قرطبة فى مركب نهيل " (١) .

وفى الاندلس مذل القالى جهودا مضنية كانت كسبا مثقافيا للبلاد التى استضافته ، وكان من نتيجة تلك الجهود أن " استفاد الناس منه وولوا طيبة واخذوا عنه حجة فيما نقله ، وكانت كتبه على غاية التقييد والضبط والاتقان " (٢) .

ومن بين الذين أعجبوا بالقالى وتتلمذوا على مؤلفاته «أبو عبيد البكرى» فقد سجل البكرى اعجابه بالقالى فى كتاب التنبيه بقوله : " وأبو على القالى رحمه الله من الحفظ وسعة العلم والنبل ومن الثقة فى الضبط والنقل بالمحل الذى لا يجهل " (٣) ، وقد عكف ابو عبيد البكرى على دراسة مؤلفات القالى ، فشرح تلك المؤلفات ، فأوضح لنا مؤلفه المعروف " بسمط اللآلى فى شرح الامالى " كما ألف كتابه الثانى " التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه " ولا شك فى أن مؤلفات القالى ساعدت البكرى كثيرا فى الالمام بأخبار العرب وأيامهم ، وذلك

---

(١) المقرى : نفح الطيب جـ٤ ص ١٥٠ .

(٢) الحميدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس ص ١٥٥ القاهرة ١٩٥٢ .

(٣) البكرى : التنبيه على اوهام ابى على فى اماليه ص ١٥ القاهرة ١٩٥٤م .

بالرغم من غلبة السمة اللغوية على تلك المؤلفات لانها جمعت حصيلة من الاخبار وضحها القالى حين شرح طبيعة المادة الواردة فى مؤلفه بقوله : " وأودعته فنونا من الاخبار ، على أننى لم أذكر فيها .. من الخبر الا انتحله " (١) .

وقد اعتبر الدارسون أن البكرى من ثمرات ذلك الغراس الذى غرسه أبو على القالى فى بلاد الاندلس . فهو على قولهم قد تخرج بكتب أبى على القالى التى ألفها ثم حملها معه من المشرق ، واستطاع بثقافته أن يشرحها ويستدرك عليها وتلك منزلة عالية فى الاحاطة باللغة والشعر والتاريخ والانساب (٢) .

وهذا الالمام بالاخبار جعل البكرى من أبرز الاخباريين ، فمدحه العلماء بأنه " كان من أهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بمعانى الاشعار والغريب والانساب والاخبار متقنا لما قيده ضابطا لما كتبه " (٣) وأصبحت معلومات القالى التى أخذها البكرى عدة له اعتمد عليها فى الكشف عن تاريخ العرب وأخبارهم ، حينما تحدث عن

---

(١) القالى : الامالى ، ص٣ . القاهرة ٥٣/١٩٥٤م .

(٢) البكرى : معجم ما استعجم حـ١ انظر المقدمة . تحقيق مصطفى السقا .

(٣) ابن بشكوال : الصلة . حـ١ ص ٢٧٧ . القاهرة ١٩٦٦م .

تاريخ جزيرة العرب وأخبار العرب العاربة وقبائلهم ومذاهب العرب ومعبوداتهم [1].

وشيخ البكرى الثانى هو أبو حيان المؤرخ ، التقى به البكرى فى مركز آخر من مراكز الاندلس العلمية بعد رحيله من امارته الى قرطبة ، واسمه أبو مروان حيان ابن خلف بن حسون بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مولى الامير عبد الرحمن ابن معاوية بن عبد الملك بن مروان وقد اختبر أبو حيان معلومات البكرى وتأكد من ذكائه حين ظهرت له الخلفية العلمية التى اكتسبها البكرى من دراسة كتب القالى فوصف أبو حيان قدوم والده الى قرطبة وأظهر اعجابه بابنه البكرى فهو على قلته : " رجلا عاقلا عفيفا أديبا الى زيادة طيبة ببيت السرو والشرف وابن له بذ الاقران جمالا وبهاء وسرورا وأدبا ، يكنى أبا عبيد " [2] ويؤكد لنا أحد نصوص ابن خير فى فهرسه ، أن البكرى تتلمذ على أبى حيان المؤرخ ، وأخذ عنه ، فقد ذكر ابن خير

---

(١) البكري : مخطوط توبقابو سراى ق ٦٥ ، وبمدها ـ استنبول رقم ٣٠٣٤ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ص ٩٧ـ٩٨ .

السند الذى روى به كتاب اصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت بقوله : " وقرأته أيضا على الشيخ الوزير أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى ، قال حدثنى بـــه الشيخ أبو مروان حيان بن خلف بن حيان " (١) .

وقد اشار ابن بشكوال الى تتلمذ البكرى على أبى حيان (٢) وأن صلته بأبـــى حيان خلقت منه مؤرخا يهتم بالدراسات التاريخية ، ويعتنى بتاريخ الدول . ولهذا يكون أبو حيان قد أسهم فى بناء شخصية أبى عبيد البكرى المؤرخ (٣) . وقد اشتهر أبو حيان بكتابه المقتبس من أنباء أهل الاندلس (٤) .

اما ثالث شيوخ البكرى فهو الفقيه أبو عمر بن عبد البر ، التقى به أبو عبيـــد البكرى عندما توجه الى المرية ليعيش فى كنف الامير محمد بن معن الصمادحى . فقـد امتاز بلاط المرية باجتذاب الشعراء والادباء ، فشد اليه أبو عبيد البكرى الرحـــال وذلك حين تراءت اليه اخبار محمد بن معن ، وحسن استقباله للعلماء والادباء .

---

(١) ابن خير : فهرسة ابن خير ص ٢٣٢ مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١١٥ـ١١٦ .

(٣) ابوحيان القرطبى : المقتبس من انباء اهل الاندلس ص ٣٥ تحقيق محمود على مكى .

(٤) ابن الابار : الحلة السيراء جـ١ ص ٢٩٠ تحقيق حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٣ .

وقد شاع عن ابن عبيد البكري في تلك الفترة شربه الخمر [1] ، فلما وصل الى المرية وهم بالدخول في حلقة الفقيه ابن عبد البر التزم بقواعد التلمذة على يد ابن عبد البر ، وامتنع عن شرب الخمر ، لان الفقيه كان يشترط الالتزام بالسكينة والوقار والتواضع كشرط للتلمذة عليه [2] .

وبعد أن وصف ابن خاقان للبكري شمل مرحلتين من حياة البكري : الاولى مرحلة شرب الخمر حيث جعله ساكرا للراح لا يصحو من خمارها ، والثانية المرحلة التي امتنع فيها البكري عن شرب الخمر ، وذكره في هيئة كأنما كسيت بالبهاء والنور ، وله سبلة كأنما يروق العين بياضها ويفوق السواد بياضها فهذا الوصف لا ينطبق على المخمور ، فرواية ابن خاقان للمرحلة الثانية تدل على معاينته ومشاهدته كما يعترف هو نفسه بذلك ، أما روايته عن شرب البكري للخمر فهي رواية سماعية مبالغ فيها كما سبق ان ذكرنا [3] .

---

(١) ابن خاقان : قلائد العقيان ص ١٩١ .

(٢) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٣ القاهرة ١٣٢٠ هـ .

(٣) راجع ما سبق ص

اذن فقد انعكس تأثير ابن عبد البر على تلميذه البكرى فى مظهرين :

الجهما : سلوكى وهو ما أشرنا اليه سابقا من امتناع أبى عبيد البكرى عن شرب الخمر .

وثانيهما : علمى ، حيث وجهه الى الاهتمام بالدراسات الاسلامية ، بعد أن قلت قيمة الدراسات اللغوية والادبية لعزوف امراء الطوائف عن تشجيع تلك الدراسات ، لشعورهم بقلة جدواها امام خطر نصارى الشمال ، يقول صاعد : " زهد الملوك فى هذه العلوم وغيرها ، لكن اشتغال الخواطر بما دهم الثغور قلل طلاب العلم وصيرهم أفرادا بالاندلس " [1] . وقد اجاز ابن عبد البر أبا عبيد البكرى بعد أن ألم بأطراف الدراسات الفقهية وغيرها [2] ، واستطاع أبو عبيد البكرى بعد أن نال هذه الاجازة أن يجول فى ميدان السير فألف كتابه " اعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم " اما سير بقية الانبياء ، فضمها الى كتاب المسالك والممالك .

ونختم الحديث عن شيوخ البكرى بسيرة شيخه أبى العباس العذرى ، ولد العذرى سنة ٣٩٣هـ وتوفى ببلنسية سنة ٤٧٣هـ [3] ، واسمه احمد بن عمر بن دلهاث

---

(١) صاعد طبقات الامم ص٦٧ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٢ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة جـ١ ص ٢٧٧ .

(٣) الحميدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس ص١٣٦ـ١٣٧ القاهرة ١٩٥٢ .

ابن عمران ابن منيب بن زغيب بن قطبة العذري ، وقد تتلمذ العذري على ابن عبد البر ووضع للعذري كتابا في الجغرافية سماه " نظام العرجان في المسالك والممالك" ونشرت منه قطعة عن الاندلس.

ويرجع الدارسون الفضل في توجيه البكري الى دراسة علم الجغرافية الى العذري فهو الذي اجاز له ، ووجهه نحو التأليف في الجغرافية [1] .

وتمثل كتابات العذري مصدرا من المصادر الاساسية لكتابات البكري [2] ويدلل الدكتور حسين مؤنس على أثر العذري في توجيه البكري للجغرافية بأن البكري لغوي لا يأتي اتجاهه للجغرافية عفوا [3] .

آثار البكري العلمية :

قدمنا أن البكري تتلمذ على شيوخ لهم تخصصات مختلفة ، ولهذا تنوعت مؤلفاته فلم تقتصر على فن واحد من العلم ، وفيما يلي عرض لهذه المؤلفات ، وسنشير الى

---

(١) الفنيم : الجغرافي العربي أبو عبيد البكري ص ٣٢ .

(٢) كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي حـ ١ ص ٢٧ القاهرة ١٩٥٧م .

(٣) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ص ١١٩ مدريد ١٩٦٧م .

المطبوع منها ، والمفقود وقد قسمنا تلك المؤلفات الى أقسام منها :

أولا : مؤلفات لغوية وأدبية مطبوعة :

١ــ كتاب اللآلى فى شرح الأمالى [١] .

٢ــ كتاب فصل المقال فى شرح كتاب الامثال [٢] .

٣ــ كتاب التنبيه على أوهام ابى على فى اماليه [٣] .

٤ــ كتاب معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع [٤] .

وقد ظل المؤلفات السابقة فى مجال الدراسات اللغوية والادبية ، وبعضها يحوى جوانب اخرى ، مثل كتاب معجم ما استعجم ، الذى يعتبر أول معجم خاص بالاعلام الجغرافية [٥] ويحوى هذا المعجم مادة تاريخية تتصل بتاريخ العرب قبل الاسلام فقد

---

(١) حققه الاستاذ عبد العزيز الميمنى

(٢) حققه الدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور احسان عباس ونشرته جامعة الخرطوم ، سنة ١٩٥٨ واعيد طبعه اخيرا فى بيروت .

(٣) طبع فى القاهرة سنة ١٩٢٦ فى مطبعة دار الكتب المصرية .

(٤) نشره المستشرق الالمانى فستنفيلد فى مجلدين بجوتنجن بالمانيا سنة ١٨٧٠ ، سنة ١٨٧٧ وحققه ايضا الاستاذ مصطفى السقا فى اربعة مجلدات وطبع فى القاهرة سنة ١٩٤٥ ــ ١٩٥١ .

(٥) القسم الجغرافى العربى أبو عبيد البكرى ص ٤٣ .

عنى فيه البكرى بتاريخ القبائل العربية وتنقلاتها داخل الجزيرة ، وحروب العرب وأيامهم ، كما عنى هذا الكتاب بأسماء المواضع الواردة فى كتب التاريخ ومثل كتاب فصل المقال فى شرح كتاب الامثال ، وكتاب سمط اللآلى فى شرح الامالى طريقة الشرح التى عرفت فى تلك الفترة ، حيث ظهرت مجموعة من المؤلفات تهتم بشرح الآثار المشهورة ، وأصبح أبو عبيد البكرى بهذين الكتابين زعيما لمدرسة الشراح فى الاندلس[1] .

اما كتاب التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ، فقد جاء تأليفه متأخرا عن كتاب فصل المقال وكتاب سمط اللآلى فى شرح الأمالى ، فقد لاحظنا فى مقدمة هذا المؤلف ، أن البكرى يهديه الى المعتمد بن عباد ، وصلته بالمعتمد كانت فى آخر أيامه بالمرية ، وقد هدف البكرى بتأليف هذا الكتاب الى تتبع الاوهام التى وقع فيها أبو على القالى فى كتابه الامالى ، لان أمالى القالى كانت تعتمد على الحفظ[2] ففتح بذلك مجالا لظهور الاوهام التى تتبعها أبو عبيد البكرى وهناك قضية أثارها الدكتور حسين مؤنس حول هذا الكتاب ، فذكر أنه يحمل طابع الشهاب والرغبة فى الظهور

---

(١) مطلق : الحركة اللغوية فى الاندلس ص ٣٢٦ مدريد ١٩٦٧م .

(٢) القالى : الامالى جـ١ ص٣ ، مطبعة دار الكتب بمصر سنة ١٩٢٦م .

لان التعرض بالنقد لكبار أساتذة المشرق واثبات ان الاندلسيين لا يقلون عنهم ، كان سمة ذلك العصر (١) .

ولكن اهداء البكرى لكتاب التنبيه للمعتمد بن عباد يقطع لنا الشك فـــى أن هذا الكتاب ألف فى المرية ولم يؤلف فى قرطبة ، ومع النقد التى جاءت فيـــه تمثل مرحلة النضج فى التأليف عند البكرى بعد أن اجتاز مرحلة الشرح .

اما كتاب معجم ما استعجم فقد تم نشره مرتين عشره فى المرة الاولى المستشرق الالمانى فستنفيلد سنة ١٨٧٠م بجوتنجن فى المانيا ، ونشره فى المرة الثانيـــة الاستاذ مصطفى السقا فى مصر سنة ١٩٤٥ وأحدث السقا تغييرا فى ترتيب المعجم فقد رتب البكرى معجمه وفقا لما ألفه المغاربة (٢) .

اما المستشرق فستنفيلد فقد حافظ على الترتيب المغربى الذى جاء فى المعجم ولكن الاستاذ السقا عدل الترتيب المغربى ورتبه وفقا لنظام المشرق . (٣)

---

(١) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، ص ١١٧ .

(٢) رتب البكرى معجمه على حروف الهجاء عند الاندلسيين كالاتى : أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ك ، ل ، م ، ن ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، س ، ش ، ه ، و ، ى . انظر معجم ما استعجم جـ ١ / هـ .

(٣) لم يقتصر السقا فى الترتيب على الحرفين الاول والثانى كما فعل البكرى بل راعى فى الترتيب ما بعده هما . انظر معجم ما استعجم ج ١ / هـ .

وقد اختلف الدارسون حول السلكين فانقسموا الى فريقين :

فريق يؤيد السقا فى مسلكه ، ويمثل هؤلاء الدكتور طه حسين فيقول عن الحجم (وجد فى نشره فستفيلد فى أواخر القرن الماضى بعد أن أبلى فى ذلك أحسن البلاء ، ولكن طبعة فستفيلد يعد بها العهد من جهة ، ولم يتيسر للباحثين الشرقيين من جهة أخرى . وقع بها كثير من الخطأ فاضطر الباحث الى شىء من المناء غير قليل ، على حين ينبغى لاستعمال المعاجم ان يكون الباحث الياً ... وقد عد الاستاذ السقا الى هذا النقص فاكمله " [1] ويقف فريق آخر مع المستشرق فستفيلد يوافقونه على منهجه ويمثل هؤلاء حامد الجاسر فيقول عن طريقة فستفيلد : "فطبوعة جوتنجن هى أول مطبوعة انتفع بها الباحثون وهى على ما فيها من أخطاء لم يسلم منها مطبوع عربى على درجة حسنة من الصحة والجودة وطابعها مستعرب معروف بسعة الاطلاع وتحرى الصواب ، ولو لم يكن من فضله الا تمهيد السبيل للاستاذ السقا لكفى فى عدم النيل من علمه ان لم يوجب الثناء عليه " [2] . ويهمنا من مقارنة المسلكين ان طريقة المستشرق فستفيلد تحفظ

---

(١) طه حسين : الكاتب المصرى ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ المجلد الاول العدد الثانى ، القاهرة ١٩٤٥م .

(٢) الجاسر : مجلة المجمع العلمى العربى ج ٤ مجلد ٢٧ ص ٢٣ وما بعدها ، دمشق محرم ١٣٩٢م .

الكيان التاريخي للكتاب وان كانت تجر صعوبات على الشرقيين .

وقد خلق ترتيبا لاستاذ السقا خلطا في بعض الاعلام التي أوردها البكري ، فمثلا يشير في حديثه عن " وادي الاثافي " بقوله " وقد تقدم ذكره بأتم من هذا في رسم الامرار " [1] ، على حين يأتي رسم الامرار متأخرا وشرح لنا البكري مضمون المعجم بقوله : " هذا كتاب ذكرت فيه ان شاء الله جملة ما ورد في الحديث والاخبار والتواريخ والاشعار من المنازل والديار والقرى والامصار والجبال والآثار والمياه والآبار والدارات والحرار " [2] .

اما دافع تأليف كتاب معجم ما استعجم ، فسببها ما رآه البكري من تحريف في كتب التاريخ والسير والحديث لاسماء البلدان والمواقع ، فقال : " فاني لما رأيت ذلك قد استعجم على الناس أردت أن افصح عنه بأن أذكر كل موضع مبين البناء معجم الحروف حتى لا يدرك فيه لبس ولا تحريف " [3] . وبالرغم من غلبة السمة

---

(١) البكري : معجم ما استعجم : ج ١ ص ٣ ١٥ مصطفى السقا .

(٢) البكري المصدر السابق ج ١ ص ١ .

(٣) البكري : المرجع السابق نفس الصفحة .

اللغوية على المعجم فانه يعتبر ـ كما اسلفنا القول ـ أول معجم جغرافي لاسماء الاماكن [1] ، كما أنه حوى أيام العرب وأنسابهم ، وقد ضمنه البكرى مقدمة تاريخية عن تنقلات القبائل العربية ومنازلها ، وأيامها ، مثل حديثه عن اولاد نزار ومنازل قضاعه ، وجناده ، وهمز ، وربيعة وأياد ، وأنمار ، وغيرها وذكر ائتلاف أولاد همز وأسباب افتراقهم . ووصل البكرى بهذه الاخبار درجة احتل بها منزلة الاخبارى الذى يدون تاريخ وأخبار الماضى ، ويحفظ مفاخره ، وقد ساعدته هذه المعلومات على مواصلة الكتابة عن تاريخ عرب الجاهلية فأولاهم عنايه فى كتابه المسالك والممالك فعقد فصلا عن تاريخهم تناول فيه تاريخ العرب العاربة والامم الدائرة وعاداتهم ومذاهبهم وسيرهم [2] .

أما النوع الثانى من مؤلفات أبى عبيد البكرى فهو عبارة عن مؤلفات أدبية ولغوية مفقودة وهى :

أ ـ اشتقاق الاسماء [3] .

ب ـ شفاء عليل العربية [4] .

---

(١) القنيم : الجغرافى العربى أبو عبيد البكرى : ص ١٤ .
(٢) البكرى : المصدر السابق ج١ ص ١ .
(٣) السيوطى : بغية الوعاة ج ٢ ص ٣٥٣ . القاهرة .
(٤) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ١٠٥ .

جـ ـ الاحصاء لطبقات الشعراء [1] .

ثالثا ـ مؤلفات غير لغوية مفقودة :

أ ـ كتاب أعيان النبات والشجريات الاندلسية [2] : وهذا الكتاب مفقود ، فاضل فيه البكرى فى أنواع الادوية المفردة وقواها ومنافعها وأسمائها ونعوتها وما يتعلق بها .

ب ـ اما الكتاب الثانى فقد ألفه البكرى عن اعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم [3] . وكتب عن سير بقية الانبياء فى مقدمة كتاب المسالك والممالك ، وأفرد للرسول صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب ، ومن الكتب المفقودة : أيضا كتاب" التدريب والتشهد يجب فى ضروب أحوال الحروب" [4] ويبدو من عنوانه أن البكرى تناول فيه ذكر الوقائع الحربية فى التاريخ .

---

(١) البكرى : اللالى ج ١ ص ٧٧ . مقدمة عبد العزيز الميمنى .

(٢) ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ص ٥٠٠ بيروت .

(٣) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٢٨٧ القاهرة ١٩٦٦م .

(٤) البكرى : معجم ما استعجم ج ٢ ص ٣٩٨ .

رابعا : مؤلفات جغرافية وتاريخية :

يدخل ضمن هذا القسم كتاب" معجم ما استعجم " وكتاب" المسالك والممالك" وقد سبقت الاشارة الى كتاب ما استعجم وما استعجم .

اما كتاب المسالك والممالك فعلى الرغم من دخوله ضمن المكتبة الجغرافية العربية ، غير أن غلبة التاريخ واهتمام البكرى به فى هذا المؤلف حتم وضعه ضمن المؤلفات التى تجمع بين الجغرافية والتاريخ (١) .

اتجه علماء المشرق الى الكتابة فى فن المسالك والممالك قبل ظهوره فى المغرب الاسلامى ، يكفيهم فضلا فى ذلك انهم مهدوا الطريق لعلماء المغرب الاسلامى مثل كتاب المسالك والممالك لابى عبيد البكرى هذا النمط من التأليف فى القرن الخامس الهجرى ، ويمتاز مؤلف البكرى بأنه اشمل المصنفات من حيث الحجم وكمية المادة (٢) . وقد اتخذ الدارسون كتاب المسالك والممالك للبكرى مصدرا هاما من مصادر التاريخ لما حواه من مادة تاريخية وسوف نعرض هنا للنسخ المخطوطة والمطبوعة

---

(١) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، ص ١٤٤ .

(٢) الفنيم : الجغرافى العربى أبو عبيد البكرى ص ٣٣ .
مؤنس ، المرجع السابق ص ٢١٦ .

من كتاب المسالك والممالك لدراسة بعض ما ورد فيها من مادة تاريخية بحـــــد استخلاص الحقائق التاريخية منها ويمكن تقسيم كتاب المسالك والممالك الـــى قسمين أولهما تم نشره ، وثانيهما لم يزل مخطوطا ولم ينشر بعد .

القسم الاول :

(أ) جزء قام بنشره المستشرق الفرنسي دي سلان بعنوان " المغرب فـي ذكر بلاد افريقية والمغرب " وذلك من نسخة المتحف البريطاني رقم ٩٥٧٧ ، وهـو جزء خاص بافريقية والمغرب يبدأ من برقة شرقا الى طنجة غربا كما يتحدث فيه عـن السودان الغربي .

أما المعلومات التاريخية التي وردت في هذا الجزء ، فانها تتصل بالفتـــح العربي لبلاد المغرب ، وتاريخ تأسيس المدن فيها ، كما يشير الى أنماط من تاريخ الاغالبة ، معظمها يتصل بتاريخ العمران ، مثل تاريخ القيروان ، وتاريخ مساجدها وتاريخ غيرها من مدن الاغالبـة .

كما يتناول هذا الجزء الحديث عن الدولة الرستمية في تيهرت ووصف مدينة فاس والتاريخ لدولة الادارسة ودولة بني المدرار في سجلماسة ، ودولة بني صالح فـي

تكـــور ، ودولة برغواطـة فى شماله وتامسنا ، كما يتحدث البكرى فيه عن قبائـــل الملثمين فى الصحراء وحركة المرابطين ، وضمن البكرى حديثه فى هذا الجزء ذكـــر الاسلام فى السودان الغربى ، فذكر الدول الاسلامية التى قامت فى تلك المنطقـــة مثل دولة غانة وغيرها .

القسم الثانى :

ويتصل بالجزيرة العربية حققه عبد الله يوسف الغنيم ويتضمن هذا القســـم الحديث عن حدود الجزيرة العربية ، وما خصت به من المعادن والصناعات ، ومـــا يحمل اليها من المنتجات ، وتناول البكرى فى هذا ذكر مدن اليمن ، وبلاد عمـــان والبحرين واليمامة ، وذكر البيت الحرام بمكة ، وبناءه وأخباره وتناول ذكر المدينة المنـــورة[1] .

---

(١) الغنـــيم : الجغرافى العربى ـ أبو عبيد البكرى ، القسم الثانـــى من الدراســـة ص ١٣١ .

القسم الثالث من الاجزاء التى نشرت من كتاب المسالك والممالك قطعة تخص جغرافية الاندلس وأوربا نشرها عبد الرحمن على الحجى والنصوص التاريخية فـــى هذا القسم تتناول اخبار الجلالقة والبرتونيين سكان مقاطعة شمال فرنســـــا ، والافرنجة وبلادهم ، والنورمبرد وهم اللمبارديون سكان بلاد اللمبارد ى ، والصقالبة كما يحوى ذكرا لبلاد الروم وحملا من اخبارهم ، ويؤخذ على هذا القسم ان صاحبه لم يلتزم بترتيب المادة كما وردت فى مخطوطات البكرى .

وهناك قطعة تتناول الحديث عن الروس والصقالبة ، نشرها فون روزن وكونيك فى بطرسبرج سنة ١٨٧٧م ، بعنوان أخبار البكرى عن الروس والصقالبة (١) .

كما نشر كونالسكى قطعة من الصقالبة فى كلية التاريـــخ ببولونيـــــــا سنة ١٩٤٦ (٢) .

وعلى الرغم من الاهتمام الكبير الذى لقيه كتاب المسالك والممالك فانه لم تكتمل دراسته وظلت أجزاء أخرى مخطوطة لم تنشر بعد ، ولهذا رأينا أن نسهم فى تحقيق ودراسة الجزء الخاص بممالك السودان ، وذلك بتخصيص فصل لتحقيق هذه الغاية

(1) Kunk (A) and Rosen (V): Petersburg 1878.
(2) Kowalski : Polonia 1946.

وفيما يلى تعريف بالقطع التى لم تنشر بعد من كتاب المسالك والممالك .

أولا :

مخطوط مكتبة نور عثمانية ، اسطنبول برقم ٣٣٤ وقد أطلعت على نسخة مصورة من هذه المخطوطة بالمعهد الاسلامى بمدريد وعدد اوراقه ٢٤٧ ورقة نسخت فى سنة ٨٥١هـ ويمثل هذا المخطوط بداية كتاب المسالك والممالك ، اذ نجد فيه موضوعات ترد عادة فى مداخل كتب التاريخ ، مثل مروج الذهب للمسعودى وتاريخ الرسل والملوك للطبرى ، وتدور تلك الموضوعات حول ابتداء الخليقة ، وعمارة الارض ، وسير الانبياء عليهم السلام .

ويتناول هذا المخطوط الحديث عن أخبار العرب وعقائدهم ومذاهبهم ومعبوداتهم ، كما يتحدث عن تاريخ الممالك .

فورد فيه ذكر مملكة الهند ، ومملكة الصين والترك والنمط ، وغيرها ، ويحوى ذكر الروم والافرنج وتحدث عن ممالك السودان والبجة والصقالبة والروس والجلالقة والاكراد ، وملوك اليمن ، والحيرة ، والشام .

ويعتمد البكرى فى هذا القسم على النقل من الطبرى وحفيد الغرظى والمسعودى وابن وصيف شاه .

ثانيـــا :

مخطوط مكتبة لاله لى ، رقمها ٢١٤٤ وقد ثبت من المقارنة ان هـــــذا المخطوط يشابه مخطوط فور عثمانية فموضعاتهما واحدة .

ثالثـــا :

مخطوط مكتبة باريس الوطنية رقم ٥٩٠٥ وتحتوى على ١٨٦ ورقة وهى تشابه نسختى لاله لى وفوروعثمانية .

رابعـــا :

مخطوط مكتبة المنوني بالرباط رقم ٤٩ وتشمل ذكر الانبياء عليهم السلام وأخبار العرب العاربة ودياناتهم وذكر الممالك وأخبار مصر .

خامسا :

مخطوط مكتبة جامعة القرويين فى فاس ورقمها ل / ٨٠ / ٣٩٠ ويتحدث هـــذا المخطوط عن أفريقية وحدودها ، وأخبار اليمن ، وأخبار جزيرة العرب ، وذكر بلاد المشرق والعراق ، وفارس . وجملة من أخبار بلاد الشام ، وبلاد الروم والاندلس

وشعوب الجلالقـــة ، والافرنجـــة ، والانقلش[1] ، والبرتونيين[2] .

سادســـا :

مخطوط مكتبة الاكاديمية التاريخية بمدريد رقمها ١٣ ضمن مجموعـــة جاينجوس وتنحصر موضوعاتها في الحديث عن بلاد الشام والممالك المتقـــدم ذكرها ، ومصر ، وبلاد العراق ، وفارس .

سابعـــا :

مخطوط المكتبة الوطنية في باريس رقم ٢٢١٨ وتشمل الحديث عن الامصار والممالك ، ويرد فيها ذكر مصر من وقت عمارتها حتى الطوفان ، وهي في صفحـــات من الاندلس .

ثامنـــا :

مخطوط الخزانة العامة في الرباط رقمها ق ٤٨٨ وتحتوي على ٢٣٠ صفحـــة ورد فيها ذكر سير الروم ومذاهبهم وبلاد الانقلش وجملة من القول في الامصـــار

---

(١) يقصد بهم سكان الجزر البريطانية . انظر جغرافية الاندلس وأوربا ص ١٥٠ .

(٢) هم سكان مقاطعة BRITTANY في شمال غرب فرنسا . انظر جغرافية الاندلس وأوربا ص ٨٢ .

والممالك وبعض الاشارات عن الاندلس •

ثامنـــا :

نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ٧٨٧د تتحدث عن بلاد افريقية حتى تصل الى حصون تلمسان • وتتضمن بلاد المغرب •

المخطوط العاشر :

هو مخطوط مكتبة الاسكوريال بأسبانيا رقم ١٦٣٥ وتبدأ بالحديث عن مصر وتنتهي بالحديث عن محمد بن ادريس في القسم الخاص بالمغرب •

مجمل التراث التاريخي عند البكري :

لاحظنا من خلال استعراضنا لمخطوطات كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري ، أن المادة التاريخية مفرقة في تضاعيف تلك المخطوطات • وحرصنا على جمع تلك المادة التاريخية بعد تجريدها من المادة الجغرافية حتى نبرز تصورا واضحا لتراث البكري التاريخي •

وقد امكن استخلاص المادة التاريخية التي وردت في المخطوطات مع الاشارة

الى المصادر التى اعتمد عليها البكرى وأول ما نلاحظه على تراث البكرى التاريخى تأثره الواضح بمؤرخى الاسلام الذين سبقوه ، فعقد مقدمة تاريخية تشبه المقدمات التى جاءت فى كتب الطبرى والمسعودى ، وتتحدث تلك المقدمة عن عمارة الارض وخلق آدم عليه السلام وسير الانبياء عليهم الصلاة والسلام فذكر منهم آدم ، واسماعيل ، ونوح ، وهود ، واسحاق ، ويعقوب ، ولوط ، وأيوب ، وذا الكفل ، وموسى ، وهارون ، ويوشع ، وشمويل ، وطالوت ، وداود ، وارميا ، وشعيا ، ودانيال ، وعيسى ، وزكريا ، ويحيى .

وتحدث البكرى فى تلك المقدمة التاريخية عن تاريخ العرب قبل الاسلام ، فذكر عادات العرب وعقائدهم ومذاهبهم ، ومعبوداتهم وذكر بيوت النيران والبيوت التى يعظمها العرب ، والمصادر التى أعتمد عليها البكرى فى هذا القسم هى الكتب السماوية ، التوراة والانجيل والزبور والقرآن .

وأما المصادر التاريخية فهى تاريخ الرسل والملوك للطبرى ويشير الى اسمه بالحرف (ط) واعتمد البكرى على كتاب الديوان لحافظ القرظى ، واعتمد أيضا على المسعودى ويرمز الى اسمه بالحرف (س) كما نقل عن كتاب عجائب الدنيا لابن وصيف شاه[1] .

---

(١) المادة التاريخية التى اشرنا اليها هنا وردت فى المسالك والممالك مخطوط لاله لى ، اسطنبول رقم ٢١٤٤ ومخطوط نور عثمانية ٣٠٣٤ .

ثانيا : شملت المادة التاريخية للبكرى ذكر الممالك ، فتحدث عن ممالك الهند ، والصين ، والسند ، وملوك الفرس ، وملوك اليونان والروم وممالك السودان وتحدث عن البربر ، والصقالبة ، والافرنجة ، والجلالقة والفوكبرد وملوك اليمن ، والحيرة ، واعتمد البكرى فى مادته عن الممالك على احمد بن عمر العذرى وابراهيم ابن يعقوب الطرطوشى ، والجيهانى ، واكثر نقوله فى هذا القسم عن المسعودى (١) .

ثالثا : اهتم البكرى بدراسة تاريخ الجزيرة العربية ، فأورد استطرادا تاريخيا عن القرامطة فى البحرين واعتمد فى تاريخهم على عريب بن سعد واحمد ابن ابى طاهر ، كما سود شطرا من تاريخ ولاة البيت الحرام فى حديثه عن مكة والمدينة ومصادره فى هذا الزبير بن بكار والازرقى وابن قتيبة (٢) .

---

(١) مخطوط نورعثمانية اسطنبول ٣٠٣٤ .

(٢) مخطوط مكتبة المنوني بالرباط رقم ٤٩

رابعـــا : ذكر البكرى اشارات تاريخيـة عند حديثه على مدن المشرق ، فتحدث عن أشهر مدن العراق وأورد قصـة بناء المنصور لبغداد ، كمـــا أورد اشارات تاريخية عن بلاد فارس وما وراء النهر ، ومصادر البكرى التاريخية فـــى هذا القسم هى تاريخ اليعقوبى واحمد بن أبى طاهر بن طيفور [1] .

خامسا : تحدث البكرى عن تاريخ بلاد الروم واخبارهـــا وعلى حديثه عن القسطنطينية وروما وغيرها [2] .

سادسا : أورد البكرى تفاصيل وافيـــة عن تاريخ مصر القديم فتحدث عـــن ملوك مصر والاهرامات ، وسرد شطرا من أقوال الحكماء فى مصر منذ نشأتها وحـــتى الفتح العربى ، وتحدث عن الزراعة ، وبناء الاهرام وفتح العرب لمصر ، وتخطيـط الفسطاط ، وذكر اول من نزل بمصر من العرب .

واعتمد البكرى فى تاريخ مصر على المسعودى وابن وصيف شاه ، وكلاهما شاهد عيان ، كما اعتمد على ابن عبد الحكم وعلى من نقل عنهم مثل الليـــث بن سعـــــد

---

(١) مخطوط مكتبة القرويين رقم ل / ٨ / ٣٩ .

(٢) مخطوط مكتبة الاكاديمية التاريخية بسمرقند رقم ١٣ كذلك مخطوط المكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٢١٨ .

وابـن لهيعـة[1] .

سابعا : تحدث البكرى فى تراثه التاريخى أيضا عن بلاد افريقية والمغرب وهى البلاد الممتدة من برقة شرقا حتى طنجة غربا فذكر دولة الاغالبـة بالقيروان ، ودولة بنى رستم بتيهـرت ودولة بنى المدرار بسجلماسة ، ودولة بنى صالح بنكور ودولة المرابطين فى الصحراء ، كما شملت الدراسة التاريخيـة للبكرى البلاد الواقعة فى جنوب الصحراء وهى بلاد السودان الغربى فتحدث عن تاريخ الدول التى قامت فى السودان الغربى مثل دولة غانة ومالى والكوكو[2] .

وسوف نتخذ من القسم الخاص بشمال افريقيـة والسودان الغربى نموذجا للدراسة نهدف من خلالـه أهميـة تراث البكـرى التاريخـى وقد وقع اختيارنـا على هذا القسم لعدة عوامل منها :

---

(١) مخطوط الاكاديمية التاريخية بمدريد رقم (١٣) كذلك مخطوط المكتبـة الاهلية بباريس رقم (٢٢١٨) .

(٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب . انظر ايضا مخطوط المتحف البريطانى رقم (٩٥٧٧) .

أن هـذا القسم منشـور يسهل الرجوع اليه ، كما أن هـذا القسم أصبح معتمد الدارسين فى تاريخ شمال افريقية والسودان الغربى ، لتفرد مادته بنصوص كثيرة ، وثقل النقول فى هذا القسم عن الاقسام الاخرى لمعاصرة البكرى لبعض الدول التى اهتم بدراستها .

ومن خلال ذلك كله يمكن أن نبرز شخصية البكرى المؤرخ .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

آثار البكـــرى التاريخيـــة
نماذج للدول التى عاصرهـــا

مصطلح المغرب وافريقية عند ابى عبيد البكرى ـ طريقته فى ترتيب دول المغرب ـ دقة معلوماته عن بعض الدول الـــتى عاصرها ووقف الباحثين منها ـ مصادر مادته عن تلك الدول ـ أهمية نصوصه فى الكشف عن قدم الاسلام فى غانـــة ـ احداث دولة المرابطين فى مادته ـ.

يختلف المؤرخون فى تحديد مصطلح المغرب وافريقية ، فقد استعمل ابـــن الاثير مصطلح المغرب للدلالة على الجزء الغربى من العالم الاسلامى ويشمل ذلـــك (مصر والشام) وهذا يقابل المشرق الاسلامى (العراق وفارس) يذكر ابن الاثـــير خطاب على بن ابى طالب لرجاله بشأن الحرب مع معاوية " اجمعنا على المسيرة الى عدونا من أهل المغرب" (١) .

---

(١) الكامل ج ٣ ص ١٧١ ، القاهرة ١٣٥٦ هـ.

وفى القرن الثالث الهجرى نقل ابن عبد الحكم هذا المصطلح واطلقه على شمال افريقية من طرابلس الى طنجة ولم يفرق بين مصطلح المغرب وافريقية واستعملهما بمعنى واحد .

وحد سلطان جرجير ملك افريقية قبل فتحها على يد المسلمين بانها تمتد من طرابلس الى طنجة (١) .

وفى القرن الخامس الهجرى خلط ابو عبيد البكرى بين لفظى افريقية والمغرب فاستعملهما بمعنى مترادف لم يفرق بينهما . يقول البكرى " وحد افريقية طولها من برقة شرقا الى طنجة الخضراء غربا ، واسم طنجة مرطانية ، وعرضها من البحر الى الرمال التى هى أول بلاد السودان "(٢) ، ويبدو أن البكرى تأثر فى هذا التحديد بابن عبد الحكم ، ومما يكشف لنا خلط البكرى بين اللفظين ، ان ابن أبى دينار الذى جاء بعده ، أشار الى تعريفه بقوله " وحد افريقية بالطول من برقة الى طنجة ، وعرضها من البحر الشامى الى الرمال التى أول بلاد السودان ، قاله غير واحد . قلت فى زماننا هذا لا يعبر بافريقية الا من وادى الطين الى باجة "(٣) فهم ابن ابى دينار يوضح ان المصطلح فى القرن الخامس يخالف المصطلح على

---

(١) فتوح مصر والمغرب ص ٢٤٦ تحقيق عبد المنعم عامر طبعة لجنة البيان العربى ، سنة ١٩٦١م .

(٢) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٢١ الجزائر ١٨٥٧ تحقيق دى سلان

(٣) ابن ابى دينار القيروانى : المؤنس فى تاريخ افريقية وتونس ص ١٦ تونس ١٢٨٦ هـ

ترتيب الدول : يختلف المؤرخون العرب فى ترتيبهم لدول المغرب الاسلامى تقديما وتأخيرا بحسب الاعتبارات التى يضعها كل مؤرخ لمؤلفه ، فيرتب بعضهم هذه الدول حسب أسبقيتها فى الظهور ، ويلتزم هؤلاء المؤرخون باحترام مبدأ الزمان فى الترتيب ، وذلك على نحو ما فعل المخزنى فى ذكر ملوك سجلماسة من بنى المدرار ، فقد قدمهم ابن الخطيب فى كتابه على دولة الادارسة باعتبارهم أسبق فى الظهور ، وعلل تقديمه لهم بقوله : " وانما اتبعنا دولة الصنهاجة ملوك افريقية بهؤلاء وان كان الشرفاء العلويون أولى بالتقديم ، لكون هؤلاء وراءهم لمناسبة قرب الزمان والمكان فالعذر فى ذلك واضح البيان "(١) .

---

(١) اعمال الاعلام ص ٣٧ تحقيق احمد مختار العبادى ، الدار البيضاء ١٩٦٤م .

والبعض الآخر من المؤرخين لا يحترم هذا الزمان فيبدأ بذكر دولة الادارسة يقدمها على غيرها لشرف مكانتها ، كما فعل السلاوي بذكر هذه الدولة ، وسير مسلكه بقوله : " وقد آن أن نفرد الكلام عن المغرب الاقصى عندما استولى عليه المولى ادريس ابن عبد الله ومن جمعه ، اذ كان ذلك من شرط كتابنا هذا حسبما تقدم الاشارة اليه بقدمين لذلك ما يجب تقديمه " (١) .

أما أبو عبيد البكري فلم يأخذ في ترتيبه للدول بالاعتبارين السابقين ، فهو في ترتيبه لتلك الدول على اساس المكان ، لان نزعته الجغرافية جعلته واحدا من المسالكيين الذين يهتمون بالاماكن التي تقع على الطرق ، فدرس البكري الطرق والمسالك في المغرب ، ومن خلال وصفه لتلك الطرق والمسالك يتوقف عند المدن التي يمر طيها ، ويسرد شطرا من احداث التاريخ التي تقع في تلك المدن فنجده ، يذكر في القسم الخاص بالمغرب المسالك الممتدة من مدينة برقة شرقا حتى ينتهي الى طنجة غربا ، وفي أثناء وصفه لتلك المسالك يتوقف عند مدينة القيروان ويسرد شطرا من تاريخ دولة بني الاغلب ، ومظاهر العمارة في عهدهم وأمتد شبه المسالك حتى مدينة تيهرت فوصف المدينة وتأسيسها وألحقه بالحديث عن دولة الرستميين احدى

---

(١) الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج ١ ص ١٣٢ ، الدار البيضاء ١٩٥٤م .

دول الخوارج التي قامت في ذلك الاقليم ، ومن المدن التي وصفها في مسالكه مدينة تكور حاضرة دولة بني صالح ، وعرض لتاريخ دولتهم وتعرض البكري أيضا لذكر مدينة فاس ، فوصفها وصفا دقيقا وسرد تاريخ الادارسة ، وتوقف عند مدينة تامسنا على المحيط الاطلسي ، وتحدث عن تاريخ قبائل برغواطة ، ووصف مدينة سجلماسة على واد زيز ، وأعقبه بذكر دولة بني المدرار الصفرية الذين أقاموا دولتهم فيها ، وتعرض البكري لتاريخ المرابطين وقد أدركه وصف البكري حتى الحدود الجنوبية للاسلام في الغرب ، فتحدث عن تاريخ دولة غانة وبعض دول السودان الغربي مثل دولة مالي والكوكو وغيرها (١) .

وقد قامت معظم الدول التي تناولها تاريخ البكري في القرن الثاني الهجري وهي كما ذكرنا دول الاغالبة والخوارج من بني المدرار والرستميين والادارسة وبني صالح وبرغواطة .

ويمكن تقسيم الدول التي تناولتها دراستنا الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول : يختص بالدول التي عاصرها البكري ، وسوف نحاول الكشف عن أثر المعاصرة على مادته ، والوصول بها الى درجة من الدقة ، والاهمية ، وقد

---

(١) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص ٦٦ ، ٩٠ ، ١١٥ ، ١٣٤ ، ١٤٨ ، ١٦٤ ، ١٧٤ .

اخترنا نماذج لهذا القسم من دولة المرابطين ودولة غانة .

اما القسم الثاني : فيتناول الحديث عن الدول التي لم تنل اهتمام كثير من المؤرخين فلم يرد لها ذكر في مؤلفاتهم أو وردت ناقصة ومختصرة ، فعني بهما البكري ، وأنقذ تاريخها من الضياع ، وقد أخذنا نماذج هذا القسم من دولتي بوغواطة في تامسنا ، ودولة بني المدرار الصفرية في سجلماسة .

القسم الثالث : من تلك الدول فهو عبارة عن عرض تطبيقي لمنهج البكري التاريخي ، وأخذنا نماذج لذلك من دولة الادارسة لاكتمال مادتها في مؤلف البكري .

ونبدأ هذا الحديث عن الدول التي عاصرها أبو عبيد البكري ، وتحديد هذه المعاصرة من خلال نصين للبكري عن دولة غانة والمرابطين ، فالنص الذي يثبت معاصرة أبي عبيد البكري لدولة المرابطين يدور حول تحديد امارة أبي بكر بن عمر ، وهو الامير الذي عاصره البكري وأشار الى امارته بقوله : " وأمير المرابطين الى اليوم ذلك سنة ستين وأربعمائة أبو بكر بن عمر " (١) .

---

(١) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص ١٧٠ .

وقد أصاب هذا الفريق من الباحثين عين الحقيقة فى تحديد الاسباب التى تجعل من مادة البكرى مادة تصل الى غاية الدقة حيث أرجعوها الى معاصرة البكرى لاحداث تلك الدول .

أما الفريق الثانى من الباحثين فانه يتفق مع الرأى السابق فى الاستفادة بدقة معلومات البكرى التاريخية ، ولكنه اخطأ حين علل تلك الدقة بجعل البكرى أحد الرحالة الذين ارتادوا تلك المناطق ، فوصل الى نهر السنغال[1] ، ثم لم يرد فى أى مصدر من المصادر القديمة أية اشارة الى خروج البكرى عن جزيرة الاندلس ، فقد أقام فى الجزيرة منذ نشأته وحتى وفاته .

غير أن معاصرة البكرى لمجريات الاحداث فى عهد دولتى غانة والمرابطين لا تعنى انه عايش تلك الاحداث بنفسه فلم يأخذها اخذا مباشرا بسبب البعد المكانى بينه وبين البلاد التى شهدت الاحداث السياسية ، وغيرها من الحركات ، ومن هنا كان على البكرى أن يعتمد على مصادر تصله بالاحداث السياسية للدولتين ويلاحظ الدارس لمادة البكرى ورود شخصيات اعتمد عليها البكرى كمصادر يستقى منها مادته مثل شخصية الفقيه أبى محمد بن عبد الملك بن نخاس القرنة ، وينقل البكرى عنه روايات مسبوقة بصيغة " أخبرنى " بيد أنه كان يأخذ عنه مشافهة وورد

---

(١) نعيم قداح : افريقية الغربية فى ظل الاسلام / ط ١٩٦٠ .

هذه الروايات والنقول في تراث البكري بصيغ مختلفة ، فمرة يذكر اسمه كاملا ، ومرة يختصره بالفقيه عبد الملك ، واحيانا أخرى يكتفي بقوله أخبرني الثقة [1] . وقد كان الفقيه أبو محمد عبد الملك يمتد البكري في معلوماته عن السودان الغربي .

أما المصدر الثاني الذي اعتمد عليه البكري في معلوماته التاريخية ، فهو أبو عبد الله المكي ، وقد أخذ عنه بعض عادات نساء غانة وذكر أنه رأى عندهن تلك العادات [2] .

وقد ارتبطت هذه الشخصيات ببلاد السودان عن طريق التجارة والرحلة [3] .

أما مادته عن دولة المرابطين فقد اعتمد فيها على كتاب محمد بن يوسف القيرواني ، وتمثل مادة البكري المنقولة عن الوراق أهمية كبيرة لضياع مؤلف محمد بن يوسف الوراق فحفظ البكري شطرا كبيرا من تراث الوراق المفقود .

واعتمد البكري على مصدر مغربي آخر وهو مؤمن بن يونس الهواري ، وقد خرج البكري في ذكره لهذه الدول عن حدود المعاصرة فأتى لنا بمعلومات لم يعاصر

---

(١) البكري : المغرب ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .
(٢) البكري : المصدر السابق ص ١٧٨ .
(٣) الفتيم : الجغرافي العربي أبو عبيد البكري ص ٨٦ .

فترتها . مثل تعرضه لبداية الاسلام فى السودان الغربى وقدمه وقد كانت نصوصه معتمد الباحثين فى اثباتهم قدم الاسلام فى غانة [1] فمن نصوصه المهمة فى هذا الصدد حديثه عن الهنيهيين فذكر أن بـ" بلاد غانة قوم يسمون الهنيهيين من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية انفذوه الى غانة فى صدر الاسلام " [2] .

وله نص آخر يتحدث فيه عن مصرع غانة بالاسلام قبل مجىء المرابطين يكشف هذا النص عن الدور الذى لعبه ملك التكرور بعد اسلامه فقد جاهد هذا الملك حتى تمكن من اخضاع مدينة سلى التى تجاور غانة فيذكر البكرى : " أن مدينة تكرور أهلها سودان وكانوا على ما سائر السودان فيهم من المجوسية وعبادة الدكاكير حتى وليهم وارجابى بن رابيس فاسلم وأقام عندهم شرائع الاسلام وحملهم عليها وتسير من مدينة تكرور الى مدينة سلى وأهلها مسلمون ، أسلموا على يدى وارجابى رحمه الله . وبين مدينة سلى ومدينة غانة مسيرة عشرين يوما وملك سلى يحارب كفارهم وهو واسع المملكة كثير العدد يكاد يقاوم ملك غانة " [3] .

---

(١) طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص ٤٢ .

(٢) المغرب ص ١٧٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٧٢ .

وقد استشهد الباحثون ايضا بنص البكرى عن دور امبراطورية اودغست الاسلامية فى نشر الاسلام فى بلاد السودان الغربى قبل مجئ " المرابطين " فقد أشار البكرى الى تحمس تيوجتان ملك اودغست الى نشر الاسلام بين الزنج المجاورين من ناحية الجنوب بقوله : " وكان صاحب أودغست فى عشر الخمسين وثلاثمائة تين يزوتان بن وسنتو بن نزار رجل من صنهاجة وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدى اليه الجزية " (١) .

ويبدو لنا أن البربر — من ذرية الجيش الاموى التى تقدم ذكرها — لم يحققوا أى تقدم فى نشر الاسلام بين سكان غانة وذلك لاسباب منها تلك العزلة التى ضربت حول هذه الفرقة ، بدليل ان المسلمين حتى فى أيام قوتهم لم يسمح لهم بالاقامة مع السكان فى حى واحد (٢) وربما كانت الفئة الاموية من البربر قد كونت النواة الاولى لذلك الحى الاسلامى من المدينة ، ومن مظاهر هذه العزلة عدم السماح للبربر بالدخول مع أهل البلاد فى علاقات المصاهرة ، فلم تعقد أى زيجات بين الطرفين يذكر البكرى : " انهم لا ينكحون فى السودان ولا ينكحون منهم " (٣) .

كما أن النشاط الدينى للمسلمين فى تلك الفترات كان محدودا فقد شيد لهم

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٥٩ .
(٢) المصدر السابق ص ١٧٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١٧٩ .

ملك غانة الوثنى مسجدا فى الحى الذى يسكنه حتى اذا دعتهم الضرورة للذهاب الى حى الملك أدوا صلاتهم فى ذلك المسجد .

ولعل الملك هدف بهذا الى منع التعارض الدينى بين أهل السودان وبين المسلمين يقول البكرى : " فى مدينة الملك مسجدا يصلى فيه من يفد عليه " (١) .

ونتيجة لهذه المنزلة المضروبة على تلك الفئة من الجيش الاموى ، فقد لازمها اليأس حين وجدت نفسها محاصرة فلم تطق ذلك الحصار فتركت دين الاسلام ودخلت مع أهل غانة فى دينهم يقول البكرى : " وهم على دين أهل غانة " (٢) .

وهناك حقائق تاريخية عن دولة غانة سجلها البكرى تستحق أن يقف عندها الدارس ليتبين من خلالها مقدرة البكرى المؤرخ على كشف وتفسير الوقائع التاريخية مثال ذلك دفعه لما ينشأ فى ذهن الدارس من استغراب حين يقرأ فى نصوصه ان ملوك غانة الوثنيين أثروا المسلمين بالرغم من التعارض الدينى فسمحوا لهم باقامة حى اسلامى خاص بهم ، وساعدوهم على اداء شعائرهم الدينية ، فأقاموا لهم مسجدا فى الحى الوثنى بالمدينة ، يقول البكرى : " ان ملك غانة محمود السيرة .. موقرا

---

(١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٥ .

للمسلمين " [1] . ولكنه يوافي الدارس بتصوير لهذه المودة الغريبة بين الملوك الوثنيين والمسلمين فيوضح أن أسباب ذلك ترجع الى أن المسلمين أنفسهم كانوا على قدر كبير من المعرفة والرقي فاحتاج ملك غانة الوثني الى خبراتهم بدليل أنهم شغلوا له اكبر المناصب في الدولة. يقول البكري : " ان تراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله واكثر وزرائه " [2] .

واذا كانت الحملة الاموية الاولى قد فشلت وذابت وسط سكان غانة ولم تحقق أي تقدم في نشر الاسلام بين أهل تلك البلاد ، فان الفترات الاخرى كانت أكثر نجاحا فقد وضح البكري أن جهود ملك أودغست الذي سبق ذكره حققت نجاحا كبيرا قبل أن يصل المرابطون الى غانة فان مملكة اودغست التي بلغت مركزا عظيما في القرنيين التاسع والعشر الميلادي [3] استطاعت أن تخضع اكثر من عشرين ملكا من ملوك السودان ، وكانوا جميعا يؤدون اليها الجزية [4] وتوثقت العلاقات بين مملكة اودغست وغانة عن طريق التنسيق التجاري في الملح [5] وقد زاد من انتعاش الاسلام

---

(١) البكري : المغرب ص ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٥ .

(٣) طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية ص ٤٢ .

(٤) البكري : المصدر السابق ص ١٥٩ .

فى غانة وبلاد السودان اسلام رابيس ، فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى نقد جاهد رابيس ملك التكرور حتى اخضع مدينة سلى المجاورة لغانة كما سبق أن ذكرنا[1]

والخلاصة أن لابى عبيد البكرى نصوصا فى غاية الاهمية أعانت الدارسين كثيرا فى الكشف عن تاريخ تلك الدولة ، وكشفت عن قدم الجهود التى بذلت من أجل نشر الاسلام فى ربوعها ، وهذا يجعلنا نرجح القول بأن جهود المرابطين فى غانة كانت نتيجة للاد وار التى سبقتهم وترتب على حركة المرابطين زيادة عدد الداخلين فى الاسلام ، وتحولت الحكومة فى عهدهم من الوثنية الى الاسلام .

وقد خلت مادة البكرى عن دولة غانة من ذكر تاريخ اسرة الصيخ الذين كونوا أول حكومة قامت فى غانة وحكمت حتى القرن الثامن الميلادى ، ولذلك خلت الدراسات الحديثة من الاعتماد عليه فى هذا الجانب[2] .

وتبدأ مادة البكرى عن تاريخ دولة غانة بحكم يسى احد أفراد الاسرة السوننكية التى حكمت غانة فى نهاية القرن الثامن الميلادى وطردت اسرة الصيخ الحاكمة واستمرت حتى مجىء المرابطين فى القرن الحادى عشر الميلادى .

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ٢ ١٧ .
(٢) طوشمسون : المرجع السابق ص ٢١ وما بعدها .

وقد وقع اهتمام البكرى على ملكين من حكام الاسرة السونكية احدهما "يعى" الذى حكم سنة ١٠٦٣م لفترة من عهد البكرى ، والثانى "تكامنين" ابن أخت "يعى" لمعاصرته للبكرى ، ومعلومات البكرى عن يعى تكشف لنا عن حبه للسلطة وتفيره الى تشبثه بها ، فقد كان يصر على الاستمرار فى الحكم بعد أن أصابه العمى ، يقول البكرى : "وعمى فى آخر عمره فكان يكتم ذلك عن أهل مملكته وحريمهم أنه يبصر وتوضع بين يديه أشياء فيقول هذا حسن وهذا قبيح وكان وزراؤه يلبسون ذلك على الناس ويلقنون للملك بما يقول فلا تفهمه العامة" (١) .

أما عن البكرى عن ولاية تكامنين للحكم خلفا لخاله يعى فيكشف عن أحد مظاهر الكتابة التاريخية التى نجدها شائعة عنده ، فنجده يسجل حكم تكامنين كحقيقة تاريخية ولكنه لا يقف امامها موقف المتفرج بل يشرحها بما يوضح المدلول الذى يكمن فيها ، فتولى تكامنين للسلطة خلفا لخاله يعى يوضح به البكرى النظام السائد عند اسرة السونكيين فى وراثة ابن الاخت للعرش يقول البكرى : "وسنتهم ان الملك لا يكون الا فى ابن اخت الملك لانه لا يشك فيه انه ابن اخته وهو يشك فى ابنه ولا يقطع على صحة اتصاله به" (٢) ومع أن مادة البكرى لم تشر الى فترة دخول المرابطين الى غانة ، لكن يفهم من حديثه عن قوة ملوك غانة تصور مدى

(١ و٢) البكرى : المصدر السابق ص ١٧٥ .

الصعوبات التي واجهت جيوش المرابطين في اخضاعهم لملكها ، فوصف البكري يفيد " ان ملك غانة اذا احتفل ينتهي جيشه الى مائتي الف منهم رماة أزيد من أربعين الفا " (١) ولعل وجود الوثنيين المسلمين في غانة من جراء الجهود السابقة للمرابطين سهل من مهمة المرابطين في تلك البلاد .

ويلتزم البكري بمنهجه في الربط بين وصف المدن والاحداث السياسية التي وقعت فيها ولكنه لم يبدأ هنا بوصف مدينة غانة كعادته دائما ، ولكنه أتى بذكرها خلال تناوله للاحداث التاريخية ، فوصف الحي الاسلامي والحي الخاص بملك غانة بقوله : " ان مدينة غانة مدينتان سهليتان ، احداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ، أحدها يجمعون فيه ولها الائمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم وطبيها آبار عذبة منها يشربون وطبيها يصطلون الخضروات ، ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة ، والساكن بينها متصلة ومبانيها بالحجارة وخشب الصنط ، وللملك قصر وقباب وقد أحاط بذلك كله حائط كالسور وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين الى بلاد غانة " (٢) .

(١ و٢) البكري : المصدر السابق ص ١٧٥ .

وصلحه عبد الله بن يس ويقف بتاريخ هذه الدولة عند عهد الامير أبي بكر بن عمر اللمتوني سنة ٤٦٠هـ ، ولم يتحدث عن دور يوسف بن تاشفين مع أنه عاصره واشترك مع المعتمد بن عباد كممثل لامارة المرية عندما استدعى يوسف بن تاشفين لانقاذ الاندلس من نصارى الشمال [1] . يقول البكري : " وأمير المرابطين اليوم وذلك سنة ستين وأربعمائة أبو بكر بن عمر " [2] فاذا علمنا مما سبق أن أبا عبيد البكري قد توفي في سنة ٤٩٦هـ ، فمعنى هذا أنه ترك ٣٦ سنة من تاريخ المرابطين لم يشر اليها ، ويرجع ذلك في الغالب لقصور المصادر التي ينقل عنها البكري ، فربما تكون ولاية أبي بكر بن عمر هي آخر المعلومات التي سجلتها مصادر البكري وسلكه من ممالك السودان يقوي هذا الاعتقاد فقد اعتمد في تلك الممالك على المسعودي ، وختم حديثه عنها بعبارة المسعودي التي تقول : " أما غير هؤلاء من الحبشة مثل الزغاوه والكوكو وغيرهم فلهم ممالك هناك قد آتى على ذكرها في غير هذا الكتاب " [3] وتوقف البكري عن الاستمرار في ذكر بقية الممالك لان مصدره الذي أخذ عنه توقف عند هذا الحد [4] ونجد هنا ظاهرة الربط بين الجغرافية والتاريخ عند البكري وملاحظتها

---

(١) كوبر : دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ص ٤٨ ـ الترجمة العربية .

(٢) البكري : المغرب ص ١٧٠ .

(٣) مخطوط مكتبة لاله لي رقم ٦٠ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٠ القاهرة ١٩٦٤م .

وصلحه عبد الله بن ياسين ويقف بتاريخ هذه الدولة عند عهد الامير أبي بكر بن عمر اللمتوني سنة ٤٦٠هـ ، ولم يتحدث عن دور يوسف بن تاشفين مع أنه عاصره واشترك مع المعتمد بن عباد كممثل لامارة اشبيلية عندما استدعى يوسف بن تاشفين لانقاذ الاندلس من نصارى الشمال [1] . يقول البكري : " وأمير المرابطين الى اليوم ذلك سنة ستين وأربعمائة أبو بكر بن عمر " [2] فاذا علمنا مما سبق أن أبا عبيد البكري قد توفي في سنة ٤٩٦هـ ، فمعنى هذا أنه ترك ٣٦ سنة من تاريخ المرابطين لم يشر اليها ، ومرجع ذلك في الغالب تقصير المصادر التي ينقل عنها البكري ، فربما تكون ولاية أبي بكر بن عمر هي آخر المعلومات التي سجلتها مصادر البكري وسلكه من ممالك السودان يقوي هذا الاعتقاد فقد اعتمد في تلك الممالك على المسعودي ، وختم حديثه عنها بعبارة المسعودي التي تقول : " أما غير هؤلاء من الحبشة مثل الزغاوه والكوكو وغيرهم فلهم ممالك هناك قد آتى على ذكرها في غير هذا الكتاب " [3] وتوقف البكري عن الاستمرار في ذكر بقية الممالك لان مصدره الذي أخذ عنه توقف عند هذا الحد [4] ونجد هنا ظاهرة الربط بين الجغرافية والتاريخ عند البكري ولاحظها

---

(١) كوبر : دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ص ٤٨ ـ الترجمة العربية .

(٢) البكري : المغرب ص ١٧٠ .

(٣) مخطوط مكتبة لاله لي رقم ٦٠ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٣ ص ٢٠ القاهرة ١٩٦٤م .

فى ذكره للطبيعة الصحراوية وبيان أثرها على حياة قبائل الصحراء . فيقول البكرى :

" ان بنى لمتونة ظواعن رحالة فى الصحراء مراطهم مسيرة شهرين فى شهرين مابين بلاد السودان وبلاد الاسلام . وهم قاطنون فى موضع يسمى أطلوس وآخر يسمى تاليين ليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا . أنما أموالهم الانعام وعيشهم من اللحم واللبن ينفد عمر أحدهم وما راى خبزا ولا أكله الا أن يمر بهم التجار من بلاد الاسلام أو بلاد السودان فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق " (١) .

وقد حمل هذا الوصف بعض الدارسين على الاعتقاد خطأ أن الملثمين بلغوا درجة من التوحش . والتفسير الصحيح لفهم هذا الوصف ان عالم الملثمين أتصف بصفات الخشونة التى أهلته للقيام بدوره التاريخى العظيم (٢) .

وقد كانت مادة البكرى تمثل بالنسبة للدارسين الى عهد قريب أوثق المصادر عن أصل المرابطين وكيف نشأوا (٣) . لانها أوضحت المنبع الاول للمرابطين من قبائل صنهاجة برئاسة محمد المعروف بتارشنى (٤) وذكر البكرى قبائل صنهاجة

---

(١) المغرب ص ١٦٤ .

(٢) شميره : المرابطين تاريخهم السياسى ، ص ١٤ القاهرة ١٩٦٩م .

(٣) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١٤٧ .

(٤) اختلف المؤرخون فى اسمه فذكر البعض تارشتا بالتاء (ابن الخطيب اعمال الاعلام ص ٢٢٦ القسم الثانى) وسماه البعض تارشت (ابن خلدون : العبر ج ٦ ، ص ٢٣٧) وسماه البكرى تارشنى .

ولمتونة وجداله وقيام الحلف بينهما الا أن محمدا المعروف بتارشتي توفي كما يشير البكري في موضع يقال له فقاره من بلاده السودان فانتقلت الرئاسة بوفاة محمد هذا الى قبيلة جداله برئاسة يحى بن ابراهيم الجدالي ويذكر البكري أن ديار هذه القبائل تجاور ديار السودان [1] .

ويحدثنا أبو عبيد البكري عن بداية حركة المرابطين وسفر يحى بن ابراهيم للحج وبعد أن قضى الفريضة تجول في المراكز الثقافية في المغرب طلبا للتقوى الدينية على يد فقيه القيروان على أساس مذهب مالك فقد كان من عاداتهم الجمع بين الحج مقرونا بطلب العلم [2] . وقابل في القيروان الفقيه أبا عمران الفاسي وقد اكتشف أبو عمران الفاسي جهله بالدراسات الدينية ووجد عنده الرغبة في التعلم فيذكر البكري: " أن رئيسهم يحى بن ابراهيم من بني جداله حج في بعض السنين ولقي في صدوره عن حجه الفقيه الفاسي فسأله أبو عمران عن بلده وسيرته وما يتحلونه من المذاهب فلم يجد عنده علما يشفي الا أنه رآه حريصا على التعلم صحيح النية واليقين " [3] . وهذا التعريض تفسيرا جديدا لاحداث التاريخ اذ ينفي الاعتقاد بأن طلب يحى لاحد علماء الدين كان هدفا مسبقا ليحى بن ابراهيم

---

(١) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٦٤ .

(٢) شكيره : دولة المرابطين ص ٣٣ .

(٣) البكري : نفس المصدر ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

ولكنه تفكير وقتي نشأ من مقابلته لابي عمران الفاسي وعندما اكتشف أبو عمران جهل يحي بعلوم الدين سأله : " ما يمنعكم من تعلم الشرع على وجهه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال له لا يصل الينا الا معلمون لا ورع لهم ولا علم بالسنة عندهم ويرغب الى أبي عمران أن يرسل معه من تلاميذه من يثق بعلمه ودينه ليعلمهم ويقيم احكام الشريعة عندهم "[1] .

وقد حاول أبو عمران الفاسي أن يرسل أحد علماء القيروان ولكنه لم يفلح في ذلك " فلم يجد أبو عمران فيمن رضيه من يجيبه الى السير معه فقال له ابو عمران أنى قد عدمت بالقيروان بغيتكم "[2] ولم يرد في نص البكري أية اشارة توضح أسباب فشل ابي عمران الفاسي في الحصول على عالم من أهل القيروان يسافر مع يحي الى قومه وقد حاول الدارسون تعليل رفض علماء القيروان الذهاب مع يحي الى قومه بعد مواطن لمشونة عن بلاد القيروان[3] وتشير مادة البكري الى ان أبا عمران الفاسي قد

---

(١) و(٢) البكري : المصدر السابق ص ١٦٥ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٢ ٦٩ .

إختار له فقيها مستقرا بملكوس اسمه وجاج بن زلوى ووجهه للذهاب اليه يقول البكرى: " قال له أبو عمران إنى قد عدمت بالقيروان بغيتكم وأما بملكوس فقيها حازقا ورعا قد لقيني وعرفت ذلك منه يقال له وجاج بن زلوى فمر عليه فربما ظفرت عنده ببغيتك فجعل ذلك يحيى بن ابراهيم اكد همه "[1] فسار يحى بن ابراهيم الى الفقيه " فنزل به وعلمه ما جرى له مع أبى عمران "[2] واختار الفقيه زلوى عبد الله بن يسر للقدوم مع يحى بن ابراهيم . واستمرت نصوص البكرى تكشف عن دور ابن يسر بعد اختياره ذهابه مع يحى ، وقد بدأت نصوص البكرى بداية غير دقيقة حين اشارت الى ان ابن يسر غزا " لمتونة " بعد أن اجتمع اليه سبعون رجلا من جداله وهذا لا يتفق مع المنطق بجانبيه لا يتفق مع المصادر التى اوردت الخبر . يقول البكرى: " فاجتمعوا للتعلم منه والانقياد له فى سبعين رجلا فغزوا بنى لمتونة وحاصروهم فى جبل لهم فهزموهم "[3] . فلا يعقل أن يغزو ابن يسر قبيلة لمتونة بأكملها وعدة جيشه سبعون رجلا ، والمصادر الاخرى تذكر روايات مخالفة ، فتشير الى

---

(١) البكرى: المصدر السابق ص ١٦٥ .

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة .

أن اعدادا كبيرة اجتمعت بجوار المسجدين رجالا وهؤلاء المسجدون يمثلون الفقهاء[1] واذا اعتبرنا أن البكرى قصد بالاشارة الى المسجدين جماعة الفقهاء ، وهو ما يتفق مع بقية الروايات ، فسوف تسلم مادته هنا من الضعف ، وقد استطاعت جدالية أن تهزم لمتونة وتضمها الى دعوة عبد الله بن ياسين[2] ، وبهذا اختتم البكرى الحديث عن حياة يحيى بن ابراهيم ، وأشار الى خلفه يحيى بن عمر ، ولكن شيوخ لمتونة قاموا بثورة ضد عبد الله بن ياسين ، ويرجع المؤرخون أسباب تلك الثورة الى دعوة عبد الله بن ياسين الاصلاحية التى وقفت امام المنكرات والمحذورات التى اعتادت عليها قبائل لمتونة[3] ويضيف البكرى سببا آخر وهو أن أحد شيوخهم الجوهر بن سكم[4] وعمه اثنان من شيوخهم يحيى احدهما اياروالآخر اينتكو اكتشفوا ان عبد الله بن ياسين يتمتع بالجهل فى معرفته لاحكام الدين ، يقول البكرى : " وما يحفظ من جهل ابن ياسين

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب ، ج ٤ ص ٨ ، بيروت ١٩٦٧ .

(٢) البكرى : نفس المصدر ص ١٦٥ .

(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٢٢٧ .

(٤) ذكر ان عذارى ان اسمه الجوهر بن صحيم . انظر البيان المغرب ج ٤ ص ٨ .

أن رجلا اختصم اليه مع تاجر غريب هدهم فقال التاجر في بعض مراجعته لخصمه حاشا لله أن يكون ذلك فأمر عبد الله بضربه وقال لقد قال كلاما فظيعا وقولا شنيعا يوجب عليه أشد الادب ، وكان بالحضرة رجل قيرواني فقال حكاية من القسوة اللاتي قطعن أيدي يهن في قصة يوسف حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ترفع الضرب عن ذلك الرجل " [1] ، يضاف الى هذا الجهل القسوة والخطأ في تطبيق الاحكام وقد أفرد البكري عنوانا خاصا بذلك سماه " ما شذ فيه عبد الله بن يحيى من الاحكام " ، ومما جاء تحت ذلك العنوان : " اذا دخل رجل في دعوته وتاب من سالف ذنوبه قالوا له قد أذنبت ذنوبا كثيرة في غيابك فيجب أن يقام عليك حدودها وتطهر من اثمها فيضرب حد الزاني مائة سوط وحد المفتري ثمانين سوطا ، وحد الشارب مثلها ويزاد على ذلك " [2] .

ويذكر البكري أن هذه القسوة جعلت بعضهم يؤدي الصلاة بدون وضوء خوفا من ابن يحيى يقول البكري : " واكثر عوامهم يصلون بغير وضوء اذا اعجلهم الامر جزعا

---

(١) البكري : نفس المصدر ص ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٩ .

من الضرب " (١) .

وقد ترتب على هذه القسوة أن قوربنو جدالة عزل عبد الله بن يمس " يقول البكري : " تخطوا عليه أشياء يطول ذكرها وكأنهم وجدوا في أحكامه بعض التناقض فقام عليه فقيه منهم كان اسمه الجوهر ابن سكم مع رجلين من كبرائهم فعزلوه عن الرأي والمشورة ، وبعثوا له بيت مالهم ، وطردوه وهدموا داره ، وانتهبوا ما كان فيها من أثاث" (٢) .

ويشير البكري في مادته الى أن ابن يمس توجه بعد طرده الى شيخه وجاج يشرح له ما كان من امر جداله معه ، فقام وجاج بمعاتبة شيوخ جداله (٣) . ولعل اختيار وجاج لشكوى شيوخ جداله يدل على صلاتهم العلمية به وتأثيره عليهم ، وبعد رجوع عبد الله بن يمس اليهم ، واصل قسوته وقتل منهم اعدادا كبيرة ، فأجابته جميع قبائل الصحراء ودخلوا في دعوته وضموا اليهم قبيلة لمطة ، وتتضمن مادة البكري عن دولة المرابطين بعض الاشارات عن خروجهم من الصحراء الى درعه وسجلماسة وقد كانتا تحت طاعة أمراء زناته المغراويين ، وكان امرهم مسعود بن وانودين (٤)

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ١٦٩ـ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٥ـ١٦٦ .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٤ ص ٩ .

(٤) المصدر السابق ج ٤ ص ١٣ .

وصفه لحروبهم يكشف عن شجاعة المرابطين النادرة ، يقول البكرى : " وأول ما أخذ من البلاء المخالفة لهم ، ولهم فى قتالهم شدة وجلد وليس لغيرهم ، وهم يختارون الموت على الانهزام ، ولا يحفظ لهم فرار من زحف ، وهم يقاتلون على الخيل والنجب ، وأكثر قتالهم رجاله صفوفا بأيدى الصف الاول الغلا الطوال للمداعسة والطعان وما يليه من الصفوف بأيديهم المزاريق " [1] ، ويقدر البكرى حجم الجيش الذى هاجم سجلماسة بأن عدده يساوى ٣٠ ألف جمل مسرجا ، وهذا يدل على أسلوب الدقة التاريخية عنده ، لان غيره من المؤرخين يميلون الى التحديد بالوصف المبهم ، فيصفون الجيش بالكثرة [2] دون تحديد للعدد ، وسمة نشيج هذه الظاهرة عند البكرى فان ذلك يدل على دقة تقاريره [3] .

وبعد رجوع عبد الله بن يمين من سجلماسة خرجت على المرابطين ، فأعلن عبد الله بن يمين الحرب عليها ، ولكن قبيلة جداله لم تستجب لطلبه " فغدر أهل سجلماسة بالمرابطين فى المسجد ، وقتلوا منهم عددا ، وتواترت رسلهم على عبد الله بن يمين أن يرجع اليهم بالعساكر فذهب عبد الله المرابطين الى غزو زناته

---

(١) البكرى : المغرب ص ١٦٦ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٤ ص ١٦٧ .
(٣) البكرى : المصدر السابق ص ١٦٧ .

المشرق[1] ، ومن بين الوثائق التي تيسر له الاطلاع عليها رسالة عن تاريخ دولة برغواطة[2] عثر عليها في مكتبة الحكم المستنصر اذ جرى الواقدون من العلماء على قصر الخلافة في قرطبة على كتابة رسائل عن تاريخ بلادهم ، لتصبح مرجعا للباحثين عن تاريخ تلك البلاد ، وذلك بتشجيع من الحكم المستنصر[3] وكان البكري أحد أولئك العلماء الذين استفاد وا من مكتبة قرطبة وغيرها[4] وحفظ لنا البكري في مؤلفه تلك الوثيقة الرسمية التي أخبر بها أبو صالح زمور ابن موسى بن عثمان البرغواطي ، عن تاريخ بلاده ، وترجمها أبو موسى عيسى بن داود الداسي للحكم المستنصر ، وكان زمور الذي أخبر بتاريخ تلك الدولة رسولا من قبل صاحب برغواطة أبي منصور عيسى

---

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي ج ١ ص ٢٧٦ .

(٢) هي احدى دول البربر الحارقة على الدين وسبب هذا الخروج دخلت في صراع مع الادارسة والمرابطين والموحدين وغيرهم وقامت هذه الدولة في تامسنا على ساحل المحيط الاطلسي من الرباط الى ما وراء الدار البيضاء حتى صب وادي أم الربيع .

(٣) المغرب : البكري المعروف أبو عبيد البكري ص ٨٢ .

(٤) البكري : المسالك والممالك " جغرافية الاندلس واوربا " انظر المقدمة ، الناشر ص ٤٢ ، بيروت ١٩٦٨م .

قال : وان اقتر طيفا مذكر انجعلهم من ملوك الاسلام ، فحقيق انما اتينا بهم حصبا اعترضنا من اذيار الكلام » (١) .

غير أن البكري لم يتحفظ ، حين ذكرهم كابن الخطيب ، فذكر تلك الدولة ضمن مكانها ، من كتابه المسالك والممالك (٢) ، لانها - على قوله - بدأت على هدى الدين الاسلامي ثم انحرفت باقي حكامها عن الاسلام ، فاول ملوك هذه الدولة ، على ما يذكر البكري ، هو طريف بن شمعون بن يعقوب بن اسحاق ونشأت علاقات طيبة بينه وبين ميسرة المطغري الزناتي الملقب بالحقير ، والذي كان على مبادئ الخوارج الصفرية وقاد ثورة ضد الخلافة الاموية بسبب عقيدته على عمال بني أمية في المغرب بعد أن فشل في شكواهم لهشام بن عبد الملك فانضمت اليه برغواطة بزعامة طريف ، وتمسى طريف على علاقة حسنة بميسرة حتى قتل ميسرة (٣) . وكان طريف على ديانة الاسلام ولم يخرج عن عقيدتها الى أن هلك (٤) وقد خرجت دولة برغواطة من تعاليم الاسلام بعد

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ١٨٠ تحقيق احمد مختار العبادي - الدار البيضاء سنة ١٩٦٤م .

(٢) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٣٤ .

(٣) مؤنس : فجر الاندلس ص ١٥٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، القاهرة ١٩٥٩م .

(٤) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٣٥ .

وفاته ذلك حين قام بأمرها صالح بن طريف وادعى النبوة" (١) .

ولم تبلغ رواية ابن الخطيب عن دولة برغواطة مرتبة ذات أهمية تذكر ، فقد جاءت تحمل اخطاء كثيرة قللت من قيمتها التاريخية . ولعل ذلك هو ما دفع الدارسين الى الاشادة برواية البكري ، لنص ابن الخطيب عن برغواطة جاء ناقصا ، لم يتضمن فترة حكم طريف أول ملوكهم (٢) . فضلا عن احتوائه على أخطاء غير قليلة نضرب على سبيل المثال ، قوله : ان قبائل زناته ابتعدت الى جبال بن طريف القائم بأمر تاهرت في عهد هشام بن الحكم (٣) وهذا خطأ من الناحية الزمنية والمعقول أن يكون هشام بن عبد الملك (٤) .

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٢) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ١٨٠ .

(٣) تولى هشام بن الحكم ، الحكم سنة ٣٦٦هـ ، سعد زغلول ، منتصر تاريخ المغرب ص ٤٢٥ ، ترجمة عفيف البعلبكي ، بيروت ١٩٦١م .

(٤) تولى هشام بن عبد الملك الحكم سنة ١٠٥هـ ـ ١٢٥ هـ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ص ٣ ٢٥ ، القاهرة ١٩٤٨م .

وتذكر الرواية أن ميسرة استوزر صالح بن طريف ، وهذا خطأ لان صالحا كان صغيرا على أيام ميسرة ، ثم يرق الى درجة الوزارة [1] ، فرواية ابن الخطيب بها خلل كثير يقلل من قيمة الاعتماد عليها .

اما رواية ابن عذارى عن دولة برغواطة فانها تقوى الحجة فى جعلم نصر البكرى مصدرا مهما له الصدارة فى اثراء تاريخ تلك الدولة ، فابن عذارى يعتمد اعتمادا كبيرا على مادة البكرى ويعترف بذلك فى مقدمة كتابه [2] .

وعلى الرغم من أن كتاب البيان المغرب لابن عذارى ، يعالج موضوعات تاريخية خالصة ، على حين أن البكرى من أصحاب الموسوعات الذين يجمعون بين التاريخ وغيره الا أنه أولى تاريخ برغواطة عناية اكثر . لكن ابن عذارى أتى بالخبر فى صورة مضغوطة مبتورة ، ومع ان ابن عذارى موثق وخبر برغواطة أدخل فى صميم التاريخ الا أنه لم يوفه حقه ولكن أبا عبيد البكرى أدرك أهميته بحسه العلمى المرهف فأتى به كاملا غاديا الى تاريخ المغرب بذلك خدمة لها قدرها [3] .

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ١٣٥ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب ج ١ ص ٢ ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٧

(٣) مؤنس : نفس المصدر ص ١٤٦ .

ولما كان البكري قد انفرد بتفاصيل وافية عن دولة برغواطة فسوف نحاول تنظيم مادته وتحليل بعض نصوصها للكشف عن أهميتها . وقد أمكن تقسيم مادة البكري عن دولة برغواطة الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول :

يتناول دراسة مرحلة التشريع لدعوة برغواطية .

القسم الثاني :

يعالج مرحلة اختفاء دعوة برغواطية .

القسم الثالث :

يتحدث عن ظهور دعوة برغواطة والجهر بها . وقد سهت الاشارة هنا الى أن البكري يعتبر " طريفا " أول ملوك برغواطة ورأس الدولة [1] أما ابن الخطيب فيبدأ بالحديث عن صالح بن طريف يعتبره رأس الدولة البرغواطية [2] . والخلاف بين

---

(١) البكري : نفس المصدر ص ١٣٥ .

(٢) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ١٨٠ .

المؤرخين في نظرنا شكلي ، سببه أن ابن الخطيب يؤرخ لدولة برغواطة بعد انحرافها عن تعاليم الاسلام ، والبكري يؤرخ لها منذ أن كانت على دين الاسلام وكلاهما صادق في مذهبه بحسب الاعتبار الذي بنى عليه حديثه عن تلك الدولة .

أما ابن عذاري فيبدأ من حيث بدأ البكري لان مادته مأخوذة عن البكري[1] وما يقال عن هذه المرحلة الاسلامية من عمر الدولة ، وهي المرحلة التي سميت مرحلة التشريع ، ان طريفا كان ذا علاقة حسنة مع ميسرة الحقير الذي تبع مذهب الصفرية من الخوارج ، ثم بدأت مرحلة التشريع من عمر دولة برغواطة بعد فترة طويلة .

وقد أشار البكري في هذه المرحلة الى أن طريفا ترك اربعة من الاولاد تولى الامر منهم ابنه صالح ، وتعطينا تصوير البكري مجموعة من الحقائق التاريخية حول شخصية صالح بن طريف ، وهي أنه بدأ يتحرف بالدولة عن تعاليم الاسلام ، وتنبأ في قبيلته ، وادعى أن القرآن نزل عليه ، ولما وجد أن اسمه يوافق صالح المؤمنين الذي ورد في سورة التحريم ، ادعى بأنه هو صالح المؤمنين المقصود ، يقول البكري : " تنبأ فيهم وادعى انه نزل عليه قرآنهم الذي يقرأونه الى اليوم تالي زمور وهو صالح المؤمنين الذي ذكره الله عز وجل في قرآن محمد عليه السلام في سورة التحريم "[2] .

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ج ١ ص ٢٢٣ ؛

(٢) البكري : نفس المصدر ص ١٣٥ .

يفهم من نص البكري أن صالحا جاهر بدعوته بين خواصه الذين أطمأن اليهم ولم تزل قدمه فيها ، ومنع أولاده من المجاهرة بها حتى يصلوا مرحلة من النضج وكل ما يملكه صالح حين جاهر بتلك الدعوة هو أنه من أهل العلم والخير[1] . ويبدو أن تلك المجاهرة المذكورة هدد البكري لم تتعد أفراد أسرته وأقاربه ، بدليل أنه كان يظهر الاسلام والزهد والورع ، وورع من نطاق الدعوة عندما استهوى المعتز بالحيل والسحر لدرجة حملهم على الاعتراف بولايته[2] .

وتوضح مادة البكري أن صالحا هو المنهج الذي شرح لهم أسرته عقيدتهم ، يقول البكري : " فقيأ لهم وشرح لهم الديانة التي هم عليها الى اليوم "[3] وتحتاج مادة البكري عن دعوة برغواطة الى تنظيم في بعض أجزائها ، فنلاحظ أن بها تقديما وتأخيرا في الاحداث أثر بترتيبها ، فمثلا نجده يشير الى خروج صالح بن طريف الى المغرب ، ثم يذكر لنا التعاليم التي شرعها صالح لقومه ، والواقع خلاف ذلك ، لان رحلة صالح ابن طريف الى المغرب بدأت بعد أن أصدر تعاليمه لقومه من برغواطة يعتبر تدبير

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٢) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ١٨٠ .

(٣) البكري : المصدر السابق ص ١٣٥ .

البكرى عن ديانة برغواطة أقدم وأشهر مفصل اذا قورن بما كتبه بعض الكتاب الآخرين عن هذه الديانة لتركيزهم على بيان شيء برغواطة وصفاتها في اختصار شديد[1] وذكرا لكثرة التشريعات التي نسبها البكرى الى صالح بن طريف فقد أطلقنا على هذه الفترة من عمر الدولة اسم مرحلة التشريع ، وتمثل تلك التشريعات القواعد التي تعتمد عليها الدولة ، وتلتزم بها أفرادها ، ونلخص هنا بعض ما ذكره البكرى عن تلك التشريعات .

فقد جاء من بين تلك التشريعات الاقرار بنبوة صالح ونبوة أولاده من بعده ، وأن كلامه وحي من الله ، والفطر في شهر رمضان ، وايقام خمس صلوات في الليلة ، وخمس صلوات في اليوم ، وتضحيتهم في اليوم الحادي عشر من المحرم ، وتتصل ببعض تشريعات صالح بالوضوء ، وطريقته ، والاحرام ، والتسليم ، والحصة ، والزكاة ، والزواج ، والصدقة ، والزنا ، والكذب ، والاكل .

يقول البكرى : " وأما هذا الضلال الذى شرع لهم فانهم يقدمون مع الاقرار بالنبيين الاقرار بنبوة صالح بن طريف ونبوة من تولى الامر من ولده ، وان الكلام الذى أتاهم به وحي من الله لا يشكون فيه تعالى الله عن ذلك وهو واجب ، وأكل شهر رمضان وخمس صلوات في اليوم وخمس صلوات في الليلة ، والتضحية في اليوم الحادي عشر

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ج ٢ ص ٨٠-٨٢ القسم الاول ، طبعة ليدن ١٩٣٨م .

من المحرم وفي الوضوء فصل السرة والمغابرتين ثم الاستنجاء ثم المضمضة ، وغسل الوجه ، ومسح الرأس ثلاث مرات ، ومسح الاذنين كذلك ، ثم الرجلين من الركبتين ومن صلواتهم ايماء بلا سجود ومضها على كيفية صلاة المسلمين ... الخ " (١) .

ويكشف البكري في تقريره المفصل عن ديانة برغواطة عن اسماء السور التي ألفها صالح بن طريف ، فهنا يكشف مؤرخ مثل لسان الدين بن الخطيب بمجرد الاشارة المقتضبة لتلك السور بقوله " ووضع لهم سورا بلغت ثمانين سورة " (٢) ، نجد البكري كذلك يفصل تفصيلا وافيا عن تلك السور بفصل القول فيها قائلا : " وقرآنهم الذي وضع لهم صالح بن طريف ثمانون سورة أكثرها منسوبة الى اسماء النبيين من لدن آدم ، أولها سورة أيوب وآخرها سورة يونس وفيها سورة نوحون وسورة قارون وسورة هامان ، وسورة ياجوج ، وسورة مأجوج ، وسورة الدجال ، وسورة العجل ، وسورة هاروت ، وسورة ماروت ، وسورة طالوت ، وسورة نمرود ، وما أشبه ذلك من الاقاصيص وسورة الديك ، وسورة الجمل ، وسورة الجراد ، وسورة الحنش ... الخ " (٣) .

---

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٣٩ .

(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ... ٢ ، ١٨ .

(٣) البكري : المصدر السابق ص ١٤٠ .

ولا يقف البكري عند ذكر الاسماء فقط بل يأتي لنا بنماذج من تلك الصور يقول البكري : " ذكر كلمات مترجمة من أول سورة أيوب وهي استفتاح كتابهم بسم اللـــه الذي أرسل به الله كتابه الى الناس هو الذي بين لهم به أخباره قالوا علم أبليـــس القضية أبى الله ليعربيايق ابليس كما يعلم الله سل أى هي" يخلب الالسنة غصـــى الاتولة ليعربيخلب الالسن نى الاتولة الا الله بقضائه باللسان الذي ارسل الله بالحق الى الناس استلم الحق انظر محمدا وعبارة ذلك بلسانهم ايمنى ما معها معمد كان حين على استلم الناس كلهم الذين صحبوه حتى مات تعمد الناس كذب من يقول ان الحق يستقيم وليرشم رسول الله وهي سورة طويلة" (١) .

والخلاصة أن هذه النصوص استخلصناها من مادة البكري لنكشف بها تفـــوق البكري بتفاصيله الوافية على غيره من المؤرخين في وصفه لمرحلة التشويح من عمر دولـــة برغواطة ، فقد اكتفى المؤرخون الذين شاركوه في الكتابة عن هذا الجانب بإشـــارات مختصرة عن تلك المرحلة .

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ١٤٠ .

أما المرحلة الثانية من عهد دولة بمرغوطة وهي مرحلة اختفاء الدعوة ، وقد استمرت هذه المرحلة كما يذكر أبو عبيد البكري خمسين عاما ، لان صالح بن طريف ، فطن الى أن تعاليمه تحتاج الى وقت طويل حتى يمكن تبولها ، لانها تخالف ما ألفه الناس ، وخاف أن يفتن على أولاده بسبب تلك التعاليم ، فطلب الى ولده الياس الذى ولى الامر بعده خروج والده الى المشرق أن يكتم دعوته وأن يحفظ علاقته بالمرواتية ملوك الاندلس ، يقول البكرى : " فتولى الياس بعده خرج أبيه يظهر ديانة الاسلام بمصر الذى عهد اليه به أبوه خوفا وتقيه ... الى أن هلك بعد أن ملك خمسين عاما " (١) . وقد اتصف الياس كما يصوره البكرى بصفات الداهية الذى يرغب فى كسب الناس : " كان ظاهرا حفيا لم يلتمس شيئا من الدنيا " (٢) .

وقد اعتنى والد الياس به أشد عناية لانه خليفته الاول وحتى يمكن أن يتحمل مسئوليات الدعوة بعده : " علمه شرائعه وفقهه فى دينه " (٣) . وقد ترك صالح أربعة وصايا وهى أولا : سرية الدعوة وكتمانها ، ثانيا : اظهار الدعوة فى مرحلة القوة ، والامن ، وقتل جميع من يخالف ذلك ، ثالثا : موالاة أمراء الاندلس المروانيين .

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٣٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٩ .

رابعا : أخبر بأنه المهدى وأنه سيعود فى دولة السابع من ملوكهم ، وقد أورد البكرى الوصايا الاربع فى نصه ولكن الياسرلم يستطع تنفيذ الوصية الثانية وهى قتال المخالفين له لانه قضى فترته يدعو سرا لكسب الناس . وقد نجح فى جمع رصيد كبير من الانصار تقوى بهم خليفته من بعده ، وبدأ بهم اظهار الدعوة البرغواطية والمجاهرة بها .

ثم بدأت بعد ذلك المرحلة الثالثة من عمر دولة برغواطة وهى مرحلة تفسير تعاليم صالح بن طريف جهرا . وتعتبر فترة يخمر بن الياسر من أهم الفترات فى عمر تلك الدولة . لانه جاهر بالدعوة الى تعاليم صالح بن طريف وقد اهتم أبو عبيد البكرى بفترة يخمر بن الياسر ولم يقصر الحديث عنها على مصدر واحد بل أضاف الى رواية رواية أخرى لابى العباس فضل بن مخلد . وجمع البكرى بين معلومات المصدرين . وقد اعطى تعدد المصادر ميزتين لمادة البكرى احداهما كثرة التفاصيل وطولها . وثانيهما : دقة المعلومات وصحتها .

وتتضح الميزة الاولى بمقارنة ما كتبه البكرى بنصوص المؤرخين الذين عاصروا نفس تلك المعلومات مثل لسان الدين ابن الخطيب وابن عذارى .

اما دقة مادة البكرى فسنرى أنه اعتمد على وثيقة تاريخية سجلها أحد أفراد قبيلة برغواطة . وهى بذلك تصحح الاخطاء التى وردت فى ابن عذارى ولسان

الدين بن الخطيب فمثلا تسجل الوثيقة أن ولاية يوخر بن الياس استمرت ٤٤ سنة [١] بينما يكتفيها ابن عذارى ٤٠ سنة [٢] ويكتفيها ابن الخطيب ١٩ سنة [٣] .

وتمتاز رواية البكرى على لسان الدين بن الخطيب ايضا فى التصريح بخصيصة يوخر بها المجاهرة بدعوته ، فيذكر البكرى أصله ، ورحيله الى المشرق ومقولاته التى اكتسبها فى حياته فى علم النجم والكهانة ، وفى معلومات لم ترد عند لسان الدين ابن الخطيب وابن عذارى .

يقول البكرى : " أن يوخر القائم بدين برغواطة أصله من شذونه من وادى برنط وكان قد رحل الى المشرق فى عام واحد مع عباس بن ناصح وزيد بن سنان الزناتى صاحب الواحلية وبرغوث بن سعيد الترارى وبنى عبد الرازق يعرفون ببنى وكيل المنصرية ، وبناد صاحب المنادية المنسوب اليه اللثمة المصروفة بالمنادية قربها من سجلماسة وآخر ذهب عنى اسمه فأربعة منهم فقهوا فى الدين وادعى ثلاثة منهم النبوة وهم يوخر صاحب برغواطة " [٤] .

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٣٦ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٢٢٤ .

(٣) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ١٨٤ .

(٤) البكرى : المصدر السابق .

يشرح البكرى فى نصوصه التى انفرد بها الصوامل التى شجعت يونس طلس نشر دعوته وقد استطاع يونس أن يخدع تلك القبائل بعد ان اكتشف جهلها بالكهانة والفلك يقول البكرى: " فلما رأى جهلهم استولى على بلدهم ، وكان يخبرهم باشياء تميل كرتها مما تدل عليه النجوم عندهم ، فتكون على ما يقول، أو قريبا منه ، فعظم عندهم ، فلما رأى ذلك منهم وعرف ضعف حلومهم وسخافة عقولهم أظهر ديانته ودعى النبوة " (١) .

واسم برغواطة كما يذكر البكرى أطلقه يونس على قومه يقول البكرى: " ومن اتبعه يومئذ ، ولما كان من يومئذ ثم أحالهم بالسنتهم ورد هم الى لغاتهم فقالوا برغواطى " (أ) .

وقد استمرت المجاعة بدعوة برغواطة على يد خليفة يونس ابو غفير مصال بن يونس وقد اشتهر أبو غفير هذا بوثائقه الكثيرة مع البربر ، وتشير مادة البكرى التى موقعة "تيمحسن" وموقعة " وادى بهت" وقد أورد البكرى تفاصيل هامة عن ملابسات الوقائع كما أورد العصر الذى يسجل حوادثها وهو مظهر هام فى مادته التاريخية فنجده يحتفون بالعصر كثيرا فى تسجيل احداث التاريخ مثال ذلك ما أورده عن

---

(١) البكرى: المصدر السابق ص ١٣٨ .

(أ) يقع وادى بهت فى جنوب غرب الاندلس. ابن الخطيب: اعمال الاعلام ص ١٨ .

وانشد وادي بيت :

يقولون الفتى ابو غضبور

فاخذى الله ام الكاذبينا

الم تصح ولم ترتسم بهمت

على آثار خيلهم رنينا

فليس اليوم رد تكم ولكن

ليال كنتم منيرينا

ويستدل البكري بالبيت الاخير على صلة برغواطة بميسرة المدغري مؤيدا بذلك رواية زمور. يقول البكري: " هذا البيت يصدق قول زمور البرغواطي أن ابا غفيصا كان من أصحاب ميسرة يشهد له " (١) .

ويتضح من مقابلة نصوص ابن عذارى بنصوص البكري أن هناك تناربا بينهما . ولعل ذلك يرجع الى اعتماد ابن عذارى على البكري . غير أن الاختلافات تكثر بين البكري ولسان الدين بن الخطيب. فقد اختلف البكري مع ابن الخطيب فيمن تولى الامر بعد أبي غفير محاد بن يونس. فيجعله البكري عبد الله ابو الانصار ووصفه

---

(١) البكري : نفس المصدر ص ١٣٨ .

البكرى بالسخاء والظرف والوفاة بالعهد وحفظ الجوار ، كما أعطى وصفا لبعض صفاته الجسمية المميزة له وعاداته ولذلك وصف موته بالدهشة ، يقول البكـــرى : " وسكنت حركته فطلك فى دعة اثنتين واربعين سنة ودفن بالمصلاخت وبها قبره " [1] ، على حين يذكر لسان الدين بن الخطيب أن الولاية بعد أبى مغيث كانت لعمر بـــن مساعد [2] ، ولم يكن الخلاف بينهما عند هذا الحد بل اختلفا كذلك فيمن جاء بعده فيذكر البكرى أنه أبو منصور عيسى [3] بينما يذكر ابن الخطيب انه اليسع بن اسماعيل بن مساعد البرغواطى [4] .

ونستنتج من كثرة الاختلافات بين المؤرخين انهما اختلفا فى المصـــادر ، فمصادر البكرى تخالف مصادر ابن الخطيب التى اعتمد عليها ، وتعتبر ثقة أبى منصور عيسى بن أبى مغيث من اهم الفقرات فى حكم برغواطة ، فالبكرى يذكر بأنه السابع مـــن ملوك برغواطة ، وقد وعد صالح بن طريف قومه بانه سوف يعود من الغزو فى عهـــد الملك السابع ، وانه سوف يملأ الارض عدلا ، يقول البكرى : " وعهد صالح .. ووعد بأنه ينصرف اليهم فى دولة السابع من ملوكهم وزعم أنه المهدى الاكبر الذى يخرج آخر

---

(١) البكرى : المغرب ص ١٣٧ .

(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ١٨٦ .

(٣) البكرى : نفس المصدر ص ١٣٧ .

(٤) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ١٨٦ .

الزمان لقتال الدجال ، وأن عيسى بن مريم يكون من اصحابه يصلى خلفه ، وانه يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا " (١) .

ومن أجل ذلك أوصى عبد الله أبو الانصار ابنه ابا منصور عيسى بن أبي غضير وقال له : " يا بني أنت سابع الاسماء من أهل بيتك وأرجو أن يأتيك صالح بعمل طريف كما وعد " (٢) .

وأشار البكرى فى ختام حديثه الى القبائل التى خضعت لحكم برغواطة ووقعت تحت سيطرتها ، وتنقسم تلك القبائل الى قسمين : قسم آمن بدعوتهم ولهم صلة بالاسلام ، فذكرهم البكرى برواية زمور : " ان قبائل برغواطة الذين يدينون لهم وهم على ملتهم بنواحي وزواغة والبرانس وبنو أبي ناصر وبنجصه وبنو أبي نوح واهمر وبنو فسره وبنو يجرغ وبنو دمر وبطاطه وبنو وكسينت وعددهم ينتهي ازيد من عشرة آلاف فارس " (٣) .

---

(١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٣٥ .

(٢) البكرى : نفس المصدر ص ١٣٧ .

(٣) البكرى : المصدر السابق ص ١٤٠ـ١٤١ .

والقسم الآخر من القبائل تدين بالاسلام ولكنها غلبت على أمرها ووقعت تحت سيطرة برغواطة. يقول البكري: " ومن يدين لهم من المسلمين ينضاف الى ملكتهم زناته الجبل ومنو يابيت وفاته ومنو واسينت ومنو يفرن ومنو باغيت ومنو القصان ومنو افلاسه ، ومنو كزنه ، ومنو يدكر ، واصاده ، وركانه ، وايزين وفاده ، وبا سينسه ، ورصانه ، وزارته ، ويبلغ عددهم نحو اثنى عشر الف فارس" (١).

يظهر أن تلك القبائل كانت تخشى اسلامها اذ ان برغواطة كانت تقضي على كل من يخالفها ، وظلت على ذلك حتى خرج أحد أبطال تلك القبائل من قبيلة يفسرن وهو تميم البيزوي وحكم برغواطة واتبعوه ضلالتهم ، يقول البكري: " ولم تزل برغواطة في بلادها محلفة بدينها ومن صالح من طريف ملوكها الى أن قام فيهم بالامر تميم البيزوي في ذلك بعد مئتين وأربعمائة من الهجرة ، فغلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من بقي منهم واستوطن ديارهم وانقلع امرهم وعفا آثارهم ولم يبق لضلالتهم باقية ولا من اواصر كفرهم اصره ، وتميم هذا كان ذا جد واثار للعدل وهو الذي قتل أحد ابنية لاغتصابه جاريه من تجار وادي سله وجمع برغواطة اليوم على ملة الاسلام" (١).

---

(١) البكري: نفس المصدر ص ١٤١.

دولة بنى المدرار فى سجلماسة :

أدى أبو عبيد البكرى لتاريخ المغرب خدمة لها قدرها بحفظه لتاريخ دولة بنى المدرار الصفرية ، بسجلماسة ، فقد أصبحت كتابته عن تلك الدولة مصدر المدارسين الأول فى إبراز تاريخها ، فذكروا أن معلوماته عنها " نادرة وولولاها لظلت تلك الدولة فى طى الإبهام " (١) .

ويلتزم البكرى فى عرضه لتاريخ بنى المدرار بمنهجه فى الربط بين وصف المكان والأحداث التى دارت على مسرحه ، مع أنه قد حاد عن هذا المنهج فى عرضه لتاريخ دولة برغواطة المتقدمة الذكر ، ذلك أن مادته عن دولة برغواطة عبارة عن نصوص تاريخية بحتة لا تجد فيها أثرا للجغرافية والتصوير المعقول لهذا الانسلاك من جانب البكرى انتباهه للمصدر الذى أخذ عنه وهى الوثيقة التى حصل عليها من مكتبة الحكم المستنصر لأنه نقلها كما هى ، دون أن يعدل فيها .

أما أهمية المقدمة الجغرافية التى كتبها البكرى عن دولة الخوارج الصفرية من بنى المدرار حين وصف حاضرتهم سجلماسة أنها تكشف عن طبيعة قيام هذه الدولة فى مكان نائ وبعيد عن النفوذ العربى ، حتى لا تتعرض هذه الدولة الوليدة لتآلب

---

(١) عبد العزيز : حركات الخوارج ، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة كلية الآداب

الحملات العسكرية التي تشنها الخلافة عليها . وقد كشف لنا البكري عن الاسباب التي دفعت بني المدوار الى ترك مركزهم الاول بمهب ملاحقة الخلافة لهم وحملهم على الهجرة الى مكان يتوفر فيه عاملان : أولهما البعد المكاني عن مواطن الخطر من جيوش الخلافة . وثانيهما : توفر البيئة الطبيعية ووسائل العيش المستقر التي تعكسهم من اقامة دولتهم وتكفل القدمة الجغرافية التي كتبها البكري بتوضيح هذين العاملين . فشرح العامل الاول وهو بعد سجلماسة فذكر أنها تمثل نهاية للعمران " وبدينة سجلماسة في أول الصحراء لا يعرف فوقها ولا تليها عمران "(١) .

كما ذكر البكري في مقدمته الجغرافية . العامل الثاني حين شرح وسائل العيش في سجلماسة وصلاحيتها للسكن والاستقرار من النواحي الصحية فاشار الى ذلك بقوله : " وليس بسجلماسة ذباب ولا يشتكي من أهلها أحد . وإذا دخلها مجذوم توقف عنه جذامه "(١) .

ويصف البكري لموقع سجلماسة فهي على قوله محصورة بين نهرين ملحين . وكشف لنا أثر هذا الموقع في اقامة مجتمع زراعي تتوفر فيه عناصر الحياة المستقرة يقول البكري : " وهي على نهرين فصوصها من موضع يقال له أجلف تمده عيون كثيرة . فاذا قرب من سجلماسة تشعب نهرين يسقي شرقيها وغربيها . وشرب

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٤٨ .

زروعهم من الشعير في حياض كحياض البساتين وهي كثيرة النخل والاعناب وجميع الفواكه " (١) . وهذه الحقائق التي ذكرها البكري توضح ان اختيار بني المدرار لسجلماسة لم يكن عشوائيا ، ولكنه كان أمرا مدروسا لسابق معرفتهم بها ، فقد كان رأس دولة بني المدرار يرتاد سجلماسة للرعي ، يقول البكري : " وكان أبو القاسم سمغون واصول الكتامي أبو اليسع وجد مدرار ، صاحب مائية وكثيرا ما ينتجع موضع سجلماسة " (٢) . ولابد أن تكون هذه الصورة السابقة قد كشفت لبني المدرار عن مدى ملاءمة موضع سجلماسة مقرا لهم .

يذكر البكري في مادته عن بني المدرار ، تاريخ تأسيس مدينة " سجلماسة " ويعلق على ذلك بتوجيه في احصاء الروايات المختلفة حول الموضوع ، فيأتي بروايتين عن تأسيس المدينة ، تشير اولاهما الى أن أبا القاسم سمغون واصول واربعين من الصفرية أنضم اليهم عيسى بن يزيد السوداني قد أسسوا مدينة سجلماسة يقول البكري : " وكان أبو القاسم سمغون واصول الكتامي ينتجع موضع سجلماسة فاجتمع اليه قوم من الصفرية ، فلما بلغوا أربعين رجلا قدموا على انفسهم عيسى بن يزيد الاسود وولوه أمرهم ، فشرعوا في بنيان سجلماسة " (١) .

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ١٤٨ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤٦ .

وقد نصب صاحب الرأى الاول تناقضا للبكرى حول ذكره لمدرار ، فاشار الى اللبس الذى وقع فيه البكرى عندما نقل بعض الروايات التى تنصب على جلماسة سنة ١٤٠هـ الى مدرار بن اليسع مع أن مدرارا ملك ابتداء من سنة ٢٠٨هـ [1] . ولا نميل الى هذا الرأى لان البكرى لم يقصد هنا مدرارا بن اليسع ولكنه قصد أبا القاسم سمكو بن واسول ، فمدرار كما يقول البكرى لقب وليس اسما ولذلك يطلق هذا اللقب على رأس الدولة وعلى من بعده [2] . وعلى هذا فلا يمكننا أن نقول ان مدرارا هو عيسى بن مزيد الاسود [3] ، لان عيسى انقضى عن الحكم بما زالت الدولة تسمى بدولة بنى المدرار فلو كان هذا الاسم خاصا بعيسى لتغير اسم الدولة تبعا لذلك والراجح أن يكون المقصود بمدرار هنا أبا القاسم سمكو بن واسول أول رئيس لدولة بنى المدرار وهو الذى عاش حتى بعد مقتل عيسى ، فولى الامر بعده ويسمى ايضا بابى القاسم سمكو بن بزلان [4] .

---

(١) محمد زنيبر : المرجع السابق ص ٤٠٣ .

(٢) البكرى : المغرب ص ١٥٠ .

(٣) محمد زنيبر : المرجع السابق ص ٤٠٤ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب ج ١ ص ١٥٦ ، البكرى : المغرب ص ١٤٩ .

والخلاصة أن الروايات التي أوردها البكري حول تأسيس مدينة سجلماسة تتفق جميعها على جعل أبي القاسم صفوين واصول مؤسسا للمدينة ، ولكنهما تختلفان في الطريقة التي وصل بها أبو القاسم الى موضع سجلماسة ، فرواية تجعله راعيا بناء ليرعى الضأن في مكانها ، ورواية ثانية تجعله حدادا يأتي ليبيع ما يصنعه من حديد بين قبائل البربر هناك ، ويؤكد البكري أن أبا القاسم بن واصل كان حدادا بالفعل لان أولاده التاشفين بأمر سجلماسة قد هجروا لحرفته يرجع مجد أسس القاسم الى سجلماسة بداية الوهن [1] .

وقد تابع المؤرخون رواية البكري الاولى وأخذوا بها [2] ، أما أول زعيم للصفرية من غير بني المدرار فهو عيسى بن مزيد الاسود وأشار البكري الى أن عيسى كان من اصحاب أبي الخطاب الذي عرف بمذهبه الاباضي [3] وهذا يعني أن زعامة الصفرية كانت في بداية أمرها للاباضية ، ويمكن قبول هذه الرواية اذا تصورنا حسن العلاقة التي قامت بين الصفرية والاباضية في تهيرت لدرجة ذكر فيها ابن خلدون ان صفوين واصول كان صفريا اباضيا [4] .

---

(١) البكري : نفس المصدر ص ١٤٩ .

(٢) ابن عذاري : نفس المصدر ج ١ ص ٥٦ .

(٣) الشماخي : سير علماء ومشايخ جبل نفوسه ص ١٢٣ .

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٦ ص ١٣٠ .

كذلك يذكر البكرى ان الصفرية التى قامت عليها دولة بنى المدرار حتى الانتماء لقبيلة مكناسة [١] وهى من أهم قبائل البربر [٢] . ولكن البكرى يشير الى أن أول زعيم لهم كان من غير قبيلة مكناسه ، ويمكن تفسير هذه الحقيقة التى ذكرها البكرى بما اورده المؤرخون من رفض الخوارج للتفرقة العنصرية ، واجازوا امامة العبد الاسود اذا تمتع بما يؤهله لتلك الامامة [٣] .

ويؤخذ على رواية البكرى فى شأن عيسى السودانى انها جاءت مختصرة فلم توضح الدور الذى قام به عيسى فى تاريخ الدولة ، ورواية لسان الدين بن الخطيب هنا اكثر أهمية من رواية البكرى ، اذ أشارت الى اعمال عيسى السودانى ودوره فى اقامة مجتمع زراعى لبنى المدرار بسجلماسة [٤] فذكر البكرى أن الصفرية قاموا على عيسى بن يزيد السودانى حين ذكر لهم امامهم ابو الخطاب سيئاته فقال : " ان السودان كلهم سراق حتى هذا ، واشار الى عيسى ، فاخذ وشدوه وثاقا الى شجرة فى رأس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعوض فسمى ذلك الجبل جبل عيسى الى اليوم " [٥] .

---

(١) البكرى : المغرب ص ١٤٩ .
(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٦ ص ١٣٠ .
(٣) ابن خلدون المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٤ ، الشهرستانى : الملل والنحل ص ٨٧
(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ١٣٩ .
(٥) البكرى : المغرب ص ١٤٩ .

ولا يمكننا تصديق رواية البكري في حرفيتها ، اذ ان وفاة أبي الخطاب كانت سنة ١٤٣هـ[1] ، بينما هزل عيسى السوداني سنة ١٥٥هـ[2] . ومقالة أبي الخطاب التي تسببت في هزل عيسى السوداني تتنافى مع مبدأ المساواة ، وتخرج التفرقة العنصرية وهو المبدأ الذي وضعه الخوارج ، كأصل من أصولهم السياسية ، لان مدلول تلك المقالة لا يتعلق بعيسى السوداني كشخص ، وانما تعميم يتعلق بكل جنس السودان ، اذ تصف المقالة كل السودانيين بالسرقة ، وهذا يوضح الاتجاه الى نزعة عنصرية مال اليها بنو المدرار .

وما يقوي هذه الفكرة التي أوردها البكري أن الأمر بعد عيسى غدا وقفا على صفرية مكناسة فحسب ، ولم يتم بأمر مجلماسة سوداني بعد عيسى .

ويختلف البكري مع لسان الدين بن الخطيب فيمن تولى الامر بعد عيسى فيجعله البكري أبا القاسم صفوبن مزلان بن نزول المكناسي[3] وهو أبو القاسم بن واسول[4] على حين يجعل ابن الخطيب أول من تولى بعد عيسى هو أبو الخطاب ويرجح هنا رواية البكري على رواية ابن الخطيب لسببين :

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٧١ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٣) البكري : المغرب ١٤٩ .

(٤) ابن عذارى : المرجع السابق ج ١ ص ١٥٦ .

أولهما :

أن أبا الخطاب توفى سنة ١٤٣ هـ[1] بينما عزل عيسى السودانى سنة ١٥٥ هـ[2].

ثانيهما :

أن المؤرخين تابعوا البكرى وأخذوا برأيه[3] والحملات التى أمدنا بها البكرى عن شخصية أبى القاسم بن واسول تتلخص فى أنه رأس الدولة وعاصمته سجلماسة ، وأنه كان يرعى الغنم وكانت له بجانب ذلك خبرة بالحدادة وبهذا وبحديث البكرى عن وفاته انه كان على قدر من التقوى والورع حيث انه مات فى آخر سجدة من صلاة العشاء سنة ثمان وستين وكانت ولايته ثلاثة عشر عاما ورأى البكر هنا يخالف رأى ابن خلدون الذى يجعل وفاة أبى القاسم سنة ١٦٧ هـ[4] وتبع ابن عذارى

---

(١) نفس المصدر ج ١ ص ٧١ .

(٢) ابن خلدون ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ج ١/١٥٦ ، السلاوى ج ١ ص ١٢٥ .

(٤) ابن خلدون : الصبرح ٦ ص ١٢١ .

البكرى فى رأيـــه [١] .

وقد تولى الياس بن أبى القاسم بعد وفاة والده أمر سجلماسة ، ويحـــدد البكرى تاريخ ولايته فى سنة ١٦٨هـ الى سنة ١٧٤هـ ، وقد وقع ابن عذارى فـــى الخطأ حين اعتمد على مصادر اخرى غير البكرى ، فذكر ان نهاية حكم الياس كانـــت سنة ١٧٠هـ ، وظهر فى روايته غلط ، فقد ذكر أن وفاة اليسع الذى خلف الياس كانت سنة ٢٠٨هـ وصرح بان سنوات حكمه كانت ٣٤ سنة غير أن الارقام التى سبقهـــا تدل على ان فترة حكم اليسع ٣٨ سنة ولايصح رأيه صحيحـــا الا اذا اعتـــبر أن نهاية حكم الياس فى سنة ١٧٤هـ وهو ما عليه البكرى [٢] .

واليسع الذى سبقت الاشارة اليه هو الذى أعقب الياس وخلفه سنة ١٧٤هـ وقد عرف أبو عبيد البكرى بشخص أبى المنتصر اليسع فوصفه بأنه كان جبارا غشوما ظلومـــا وأخذ خمس معادن دوره ، واخضع قبائل البربر المحيطة بسجلماسة ، وشمل المذهب الصفرى حتى استفحل ملكه بفى مدرار ، وأقام سورا لمدينة سجلماسة وشيد بالمدينـــة القصور وخزانات المياه [٣] .

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ١٥٦ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ج ١ ص ١٥٧

(٣) البكرى : المغرب ص ١٥٠ .

وقد تولى بعد أبي المنتصر اليسع ولده مدرار ووقع بعض الدارسين في لبس حين ظنوا أن البكري قصد به مؤسس سجلماسة وقد سبقت مناقشة هذا الزعم .

ثم تولى مدرار الحكم سنة ٢٠٨هـ وتزوج مدرار كما يذكر البكري بامرأتين احداهما أروى بنت عبد الرحمن بن رستم . والثانية تسمى بقية وله من كل زوجة ابن يسمى ميمون . ويصور البكري الصراع الذي حدث بين الاخوين ليكشف لنا من خلاله طبيعة الخلاف المذهبي بين الاباضية والصفرية فابن الرستمية من الاباضية . وابن الثقية من الصفرية فعمل مدرار ح ابن الرستمية ليحقق غرضين في وقت واحد أولهما استمرار الخلافة في ولده . ثانيهما المحافظة على العلاقة بينه وبين الرستميين . ولكن اهل سجلماسة الصفرية رأوا في ذلك انحيازا للمذهب الاباضي فثاروا ضد ابن الرستمية الذي ولي الخلافة . وخلعوه واقاموا مكانه ابن الثقية . فرفض والد أن يأتي والده الى الخلافة ولما جاء والده أراد أن يعيد ابن الرستمية الى الخلافة وشعر بذلك أهل سجلماسة فخلعوا ابن الرستمية ومدرارا وقبل ابن الثقية ان يقوم بالامر بعد ذلك يقول البكري فلم يزل مدرارا واليا الى ان اختلف الامريين ولديه ميمون بن أروى . بنت عبد الرحمن بن رستم وابنه ميمون أيضا المعروف بابن ثقية فتنازعا الامر بينهما وتقاتلا ثلاثة أعوام . وعاد مدرار ح ابنه ميمون بن الرستمية فاخرج ميمون ابن ثقية من سجلماسة . وولى بن الرستمية وخلع اباه ثم قام عليه اهل سجلماسة فخلعوه وأرادوا تقديم ميمون بن ثقية فابى أن يتآمر على ابيه فاعادوا أباه مدرارا ثم

أنس اهل سجلماسة أنه قد استدعى ابنه ابن الرستمية فيمن اطاعه من دعاة ليولوه فحاصروا مدرارا وخلعوه وقدموا ابنه ابن ثقية وهو المعروف بالامير فلم يزل عليهم واليا الى أن مات سنة ٢٦٣ هـ وفي امره مات مدرار أبوه مغلوبا » (١) .

يتابع البكري حديثه عن دولة بني المدرار وتقلبها حتى زحف جوهر الصقلي في خلافة المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٤٧هـ الى سجلماسة حيث قضى على آخر أمراء بني المدرار وهو محمد بن الفتح بن ميمون الملقب بالمأكر لله وكانت وفاته سنة ٤٣٥هـ .

---

(١) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص ١٥٠ .

الفصل الخامس

الفصل الخامس

منهج الكتابة التاريخية عند البكري
دراسة تطبيقية على دولة الادارسة

منهج الشرح عند البكري ـ المنهج النقدي ـ ظهور روح النقد في آثاره التاريخية ـ اشكال الكتابة التاريخية عنده المصاحبة ـ شكل الكتابة التاريخية عند البكري ـ العلاقة بين الجغرافية والتاريخ في آثار البكري ـ الدقة في رسم الاعلام التاريخية عند البكري ـ الاستعانة بالشعر العربي في تسجيل أحداث التاريخ ـ اهماله للرحلة ـ ظاهرة الخلط التاريخي في آثاره ـ ظاهرة الاساطير والخرافات عنده ـ نقد ابن خلدون للبكري ـ تطبيق المنهج على مادته في دولة الادارسة ـ تفسير اهماله لحركات العلويين الاولى ـ ظاهرة احصاء الروايات وتطبيقها ـ تفسير الاحداث التاريخية ـ ميله للاختصار ـ أسلوب البكري ـ نصوص تطبيقية .

تمثل الدراسات التاريخية عند البكري آخر مراحل النضج في التأليف . فقد ابتدأ مؤلفاته بالدراسات اللغوية قبل أن يكتب في التاريخ . وكان يسجل منهجه في

مقدمة كل كتاب من كتبه وقد كان المنهج الذي سار في باكورة انتاجه اللغوي هو " منهج الشرح " ويتضح هذا المنهج من الاسماء التي أطلقها على تلك المؤلفات، فسمى كتابه الاول " سمط الآلئ في شرح الامالي " وسمى كتابه الثاني " فصل المقال في شرح كتاب الامثال " . وتوضح المقدمات التي كتبها في بداية كل كتاب من تلك المؤلفات طريقة الشرح عنده ، فيقول في مقدمة كتاب اللآلي في شرح الامالي : " هذا كتاب شرحت فيه من الغوامض ما التي أملاها أبو علي اسماعيل بن القاسم ما أغفل ، وبينت من معاني مغلوقها ومنثورها ما أشكل " (١) .

وتوضح مقدمة كتابه الثاني نفس المنهج يقول : " فاني تصفحت كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام فرأيته قد اغفل تفسير كثير من تلك الامثال ، فجاء بها مبهمة وأعرض أيضا عن ذكر كثير من اخبارها ، فأوردها مرسلة فذكرت من تلك المعاني ما اشكل ووصلت من تلك الامثال باخبارها ما فصل ، وبينت ما أجمل ، ونبهت على ما ربما أجمل " (٢) .

---

(١) البكري : سمط اللآلي في شرح الامالي ، المقدمة ص ٤ ، تحقيق السقا ، القاهرة ١٩٣٦م .

(٢) البكري : فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، مقدمة البكري ص ٣ تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور احسان عباس ، الخرطوم سنة ١٩٥٨م .

والخلاصة أن البكرى بدأ حياته فى التأليف بمنهج الشرح لمؤلفات الغير .

ولقد تطور منهج البكرى فى التأليف بعد أن زادت خبراته واستطاع أن يستخلص من شرح المؤلفات يحاول نقدها ، فأصبح له من خلال مؤلفاته موقف آخر ، وهو موقف الناقد ، ولعل موقف البكرى ، فى تأليف كتابه " التنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليه " وكما يظهر من عنوانه عبارة عن تتبع لأخطاء أبى على القالى ونقده (١) ، وزادت خبرات البكرى العلمية عندما جمع الى طائفة الدراسات اللغوية عددا من الدراسات الاسلامية ، حين أتيحت له فرصة الاتصال بالفقيه ابن عبد البر ، ثم أراد البكرى أن يؤكد منهج النقد الحاسم فى شرح آخر من العالم ، وهو معجم البلدان الجغرافية والتاريخ ، فالد اوس لكتاب المسالك والممالك يلاحظ أمثلة كثيرة لشروح النقد ، نذكر هنا بعضها ونأخذ على سبيل المثال نموذجا له من تأسيس حماسة ، نجده يورد روايتين حول تأسيسها ويرجح أحدى الروايتين على الاخرى (٢) . ويستعمل أيضا ثقافته اللغوية فيورد الرأى الضعيف عنده ، بالنص " قيل " مثلما نجد عنده حديثه عن هجوم أبى عبد الله الشيعى على ابراهيم بن الاغلب

---

(١) التنبيه على اوهام ابى على فى اماليه ص ١٥ .

(٢) البكرى : المغرب ص ١٤٩ .

في مدينة لورقة[1] وإذا رأى أن يرجح رأيا على آخر نجده يدعم رأيه بالادلة المؤيدة لمذهبه وروايته .

نجد اختار مثلا بيتا من الشعر لحميد بن هشام العمودي ليؤيد به رواية زمور البرغواطي التي تشير الى علاقة برغواطة بسيسرة المغرى[2] والعبارات التي تدل على وجود الصفة التاريخي كثيرة وشائعة في كتاب المسالك والممالك مثل قوله " الاول أصح " " وهذا يؤيد قول كذا " " وقيل كذا " " وهذا غير ما ذكره المؤرخون " .

ومن مظاهر الكتابة التاريخية عند أبي عبيد البكري أنه يعلق على الحقائق التاريخية في أكثر الاحيان ، ولا يقتصر على مجرد السرد ، ونورد هنا نموذجين لهذا الاتجاه عنده :

الاول عن الموقعة التي انتصر فيها حسن الحجام[3] على موسى بن أبي

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ٤٦ " زحف اليها ابو عبد الله الشيعي ... وقيل أنه قتل داخل المسجد ثلاثين الفا " .

(٢) نفس المصدر ص ١٢٨ .

(٣) قاد ثورة ضد ريحان الكتامي الذي أقامه عبيد الله بن حبوس على فاس وقد استولى الحجام على فاس وطردها عنها سنة ٣٠٩هـ (سالم المغرب الكبير ص ٤٠٥) .

العافية[1] بعد أن سجلها البكري طقطيقها بقوله: " لم يكن بالمغرب بعد دخول ادريس[2] فيه أعظم منها أنجبت عن أزيد من ألفي قتيل "[3] فكشف البكري بهذا التعليق عن حجم المعركة مقارنا بكل الوقائع التي جرت في المغرب بعد مجيء ادريس اليه.

والنموذج الثاني أخذناه أيضا من نصوصه عن دولة الادارسة عندما انتصر حسن الحجام على موسى بن أبي العافية، فغدر اللوزي[4] بالحجام ومنع جنده من دخول فاس. وعلق البكري على ذلك بقوله: " وذلك شأن أهل فاس لا يتركون عساكر بخل مدينتهم "[5].

---

(١) هو احد القواد الذين ولاهم مصالة بن حبوس قائد جيش عبيد الله المهدي، الامر على تسول وبلاد تازى وذلك حين هزم مصالة بن حبوس يحيى بن ادريس خليفة الادارسة سنة ٣٠٥هـ. سالم: المغرب الكبير ص ٤٨٤.

(٢) هو ادريس بن عبد الله مؤسس دولة الادارسة بالمغرب.

(٣) البكري: المصدر السابق ص ١٣٧.

(٤) هو محمد بن حمدان الهمداني عامل حسن الحجام على عدوة القرويين واللوزي لقبه وقد غدر اللوزي بالحجام عندما عاد الحجام الى فاس منهزما من موسى بن ابي العافية. سالم: المغرب الكبير ٤٨٥-٤٨٦.

(٥) البكري: المغرب ص ١٣٧.

اما الشكل التاريخى الذى يميز كتابة المكرى فيمكن الاهتداء اليه بعد التعرف على مناهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين المسلمين . أول تلك المناهج التاريخ بالسنين الذى يمثله الطبرى اذ يجعل لكل سنة تاريخا قائما بذاته . فيذكر حوادث السنة الاولى للهجرة . وبعد أن يفرغ منها ينتقل الى السنة الثانية ثم الثالثة وهكذا ويبدأ حديثه عن كل سنة بقوله ثم دخلت سنة كذا فالطبرى يقسم مادته حسب السنين [1] .

والشكل الثانى للكتابة التاريخية عند مؤرخى الاسلام هو توزيع المادة بحسب أيام الحكام والخلفاء مثل كتابات اليعقوبى . والمسعودى . فتجدهم يذكرون أيام أبى بكر . أيام عمر . أيام عثمان . أيام على . وكذلك خلفاء بنى أمية والعباسيين .

ولم تعجب الطريقة الاولى بعض المؤرخين فنقدوها لانها فى رأيهم تقطع الحادثة الواحدة على عدة سنوات فأصبحا طريقة ثالثة تقسم المادة على الموضوعات يقول ابن الاثير ناقدا لغيره موضحا لطريقته : " رأيتهم أيضا يذكرون الحادثة متقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر . . . فجعلت أنا الحادثة فى موضع واحد وذكرت كل شىء منها فى أى شهر أو سنة كانت . متتابعة

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٣٩٥ ، ٤٠٨ ، ٤٨٧ ، ٥٨٣ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١م .

قد أخذ بعضها برقاب بعض وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها » (١) .

وقد اعتمد البكري كما أشرنا على زعماء هذه المدارس ، فكان المسعودي والطبري واليعقوبي من مصادره الهامة ، وهذا يؤكد لنا عبقرية البكري بهذه المناهج التاريخية السابقة ، بيد أن اهتمامه بالجغرافية جعله يقسم مادته التاريخية بحسب المكان ، ففي وصفه للممالك والطرق يقف عند الاماكن المختلفة ويسرد شطرا من حوادث التاريخ التي تقع في الاماكن التي يمر بها ويتضح هذا من وصفه للاماكن التي تقع في الطريق من برقة شرقا حتى طنجة غربا ، حيث مزج المادة التاريخية على القيروان ، وتهيرت ، وتكور ، وفاس ، وتامسنا ، وسجلماسة ، وربط الوصف الجغرافي لهذه الاماكن باحداث التاريخ التي وقعت فيها ونشير هنا الى نموذجين الاول يتصل بوصفه لمدينة تيهرت وقيام الدولة الرستمية والثاني وصفه لتكور وقيام دولة بني صالح يقول البكري : " ومدينة تيهرت مسورة لها ثلاثة أبواب باب العبا ، وباب المنازل ، وباب الاندلس ، وباب الصالحين ، وغيرها ، وهي في سفح جبل يقال له جزول ، ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المحصونة ، وفي

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٦ ، طبعة القاهرة ١٣٤٨ هـ .

على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينه وهو فى قبليها ، ونهر آخر يجرى من ميون تجتمع تسمى تاتش ... وكان صاحب تيهرت ميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بن بهرام ، وبهرام هذا مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو بهرام بن شرار بن سابور بن بابكان بن سابور ذى الاكتاف الفارس .. وكان ميمون رأس الاباضية وامامهم ، وامام الصفرية الواصلية ، وكان يسلم عليه بالخلافة ، وكان مجمع الواصلية قريبا من تيهرت ، وكان عددهم نحو ثلاثين الفا فى بيوت الاعراب يحملونها ، وتعاقب ملكة تيهرت بنو ميمون بعد أخيه عبد الرحمن واسماعيل بن الرستمية الى سنة ست وتسعين ومائتين .. الخ " (١) .

وقد لاحظنا فى النص السابق ارتباط التاريخ بوصف المكان عند البكرى .

ومما يؤكد ارتباط التاريخ بالمكان ايضا وصفه لمدينة تكرور احدى دولة بنى صالح يقول البكرى : " ومدينة تكرور بين رباب منها جبل يقابل المدينة يعرف بالمصلى وبها جامع على أعمدة من خشب المرمر ، والارز أكثر خشبها ، ولها أربعة

---

(١) البكرى : المغرب ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

أبواب في القبلة ، باب سليمان وبين القبلة والجوف باب بني وياغل ، وفي الغرب باب العطى ، وفي الجوف باب اليهود ، وسورها من اللبن ، وبها حمامات كثيرة وأسواق عامرة مفيدة وهي بين نهرين أحدهما نكور ومخرجه من كرنايه من جبل بني كمون ، والثاني نهر غيريشمة من بلد بني وياغل والذي أحسنها وبناها سعيد ابن ادريس بن صالح بن منصور الحميري ، وصالح هو المعروف بالعبد الصالح وهو الذي افتتحها زمن الوليد بن عبد الملك ودخل ارض المغرب في الافتتاح الاول ، فنزل مرسى تسامان على البحر بموضع يقال له بدكون بوادي البقر ... الخ " (١) .

ولا شك ان انتباه البكري للاثار لم يله أثر كبير في اتباعه لطريقة الربط بين المكان والاحداث التي وقعت فيه ، لان الجغرافية كانت توأما للتاريخ في المغرب الاسلامي ، وقد ظهر العلمان في وقت واحد " وكان أول مؤرخ أندلسي كبير وهو احمد بن محمد الرازي مؤرخا وجغرافيا بل هو الذي وضع اساس هذين العلمين في المغرب الاسلامي " (٢) ، وقد كان الرازي وغيره من المؤرخين امثال السوراق القيرواني معتمد البكري في دراساته ولا شك انه تأثر بهم في الربط بين الجغرافية

---

(١) البكري : نفس المصدر ص ٩٠ .

(٢) مؤنسة تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ص ٩١ .

والتاريخ وقد أفاد اهتمام البكرى بالجغرافية فى توضيح أثر السواحل الجغرافية فى التاريخ ، فوصف البكرى الجغرافى لمدينة " سوسه " يثبت أنها محصنة ضد الفاتحين فيقول عنها البكرى : " وقد احاط بها البحر من ثلاث نواح الشمال والجنوب والشرق ، وسورها ضخم مبنى حصين متقن البناء " (١) .

يخرج البكرى من هذا الوصف بالنتيجة الآتية أن " مدينة سوسه ممتنعة على من رامها " (٢) . وهذا سهل مهمة البكرى فى تفسير تراجع حملة عبد الله بن الزبير فى مقاومة الروم ، حين دخلوا مدينة سوسة وتحصنوا بها وفسر نجاح حملة عبد الله على الروم فى بدايتها لأنه وجدهم خارج مدينة سوسة ، وهذا سهل مهمته فى الانتصار عليهم . يقول البكرى : " وكان معاوية بن خديج قد بعث اليها عبد الله ابن الزبير فى جمع كثيف ، وكان بلغه ان نفقوا بطريقا من بطارقة الروم انتدب ، بلكهم فى ثلاثين الف مقاتل فنزل بذلك الساحل فسار عبد الله حتى نزل عرفا عالية ينظر منه الى البحر بينه وبين سوسة اثنا عشر ميلا ، فلما بلغ ذلك نفقوا ورجع الى مراكبه وصدر عن ذلك الساحل فركب عبد الله بن الزبير فى جيشه حتى بلغ البحر ، ونزل على باب مدينة سوسة فاخرجوا اليه جمعا كثيرا من كفاتهم رجالا وركبانا

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ٣٤ .

(٢) البكرى : المصدر السابق ص ٣٥ .

فزحفوا اليه وحط عليهم ، فانكشفوا عنه فهزمهم وولوا أدبارهم ، حتى لجأوا الى مدينتهم وانحصروا فيها" [1] . فتركهم عبد الله بن الزبير بسبب دخولهم لهذه المدينة الحصينة وبفضل هذه العوامل الجغرافية فسر بها البكري فشل الحملة الثانية على سوسة بقيادة أبي يزيد مخلد ، يقول البكري : "وحاصرها أبو يزيد مخلد شهرا ثم انهزم منهاز ، وكان طيها في ثمانين الف حصان" [2] .

ودلل البكري على أثر العوامل الجغرافية المتمثلة في تحصين مدينة سوسة ووقوفها امام الفاتحين بايراد بعض الابيات لاحد شعرائها يقول فيها :

ألم بسوسة وقى عليهـــــا
ولكن الاله لها نصـــــير
مدينة سوسة للغرب ثغـــــر
تدين لها المدائن والقصور
لقد لعن الذين بغوا طيهـــا
كما لعنت قريظة والنضـــير [3]

---

(١) البكري : نفس المصدر ص ٣٤ـ٣٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٥ .

من مآثر الكتابة التاريخية عند البكري أنه يهتم بالدقة في رسم أسماء الاماكن والاعلام لاحتياج من ينسخ التاريخ الى معرفة اسماء الطوله والتابهم والمدن والبلاد والقرى . وقد تنبه البكري الى ذلك وأشار اليه بقوله : " وما أكثر المؤتلف والمختلف في اسماء هذه المواضع مثل ناعجة وناعجة وبعثل وبيثل . وقديما صحف الناس في ذات الدير فقال اعرابي حضر المجلس ضل ضلالك انما هي ذات الدبر بالباء المعجمة بواحدة . وهي تنبة عندنا وقال أبو حاتم قرأت على الاصمعي وادي الامير فقال الاعرابي لا أعرف وادي الامير قال قلت انما في كتاب أبي عبيد وادي دلاهه فقال هذا لعلها جانبه " (١) .

ويعلق البكري على هذه الروايات بقوله : " فهؤلاء عدة من العلماء قد اخطأوا في اسم موضع لم يدروا وجه الصواب فيه " (٢) .

ونضيف الى الدقة معلومات البكري في رسم اسماء المدن بعبارة له عن الاندلس . يقول البكري : " يذكران اسمها في القديم أباريه من وادي ابره . ثم سميت بعد ذلك باطقة من وادي بيطلى وهو نهر قرطبة . ثم سميت اشبانية

---

(١) البكري : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ج ١ ص ٢ ـ ٣ . القاهرة ١٩٤٥ .

(٢) البكري : نفس المصدر ج ١ ص ٣ .

من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه اشبان . وقيل انما سميت بالاشبان لما سكنوها في أول الزمان على حرفة الشعر وما والاه . وقال قوم ان اسمها انما هو في الحقيقة اشباريه مسماة من وادي اشبرش وهو الكوكب المعروف بالاحمر . وسميت بعد ذلك بالاندلس من اسماء الاندليش الذين سكنوها " (١) .

وقارن الدكتور حسين مؤنس بين الاصول اللاتينية لاسماء أسبانية بما ذكره البكري ، فأعجبه مسلك البكري ودقته في رسم الأعلام ، وعبر عن ذلك بقوله : " واتضح من هذا أن البكري بحث وتقصى عن أصل الاسم وأتى بروايات حق كلها لها أصول في كتابات قديمة ، لها مكانتها من الاحترام ، ولم يقل في أثناء ذلك أن الاندلس من الدلس أو التدليس كما فعل غيره لانه يحترم بطبيعة العالم المفكر ان هذه الاسماء لا تفسر هذه التصورات اللغوية اليسيرة " (٢) .

ومن مظاهر العناية بالاعلام عند البكري التفرقة بين الالقاب والاسماء ، وقد أوقع الخلط بين الاسماء والالقاب بعض الدارسين في اختلافات كبيرة مثل الاختلاف

---

(١) البكري : جغرافية الاندلس واوروبا ، ص ١ـ٢ .

(٢) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ص ١٣٨ .

الذى مرينا حول شخصية مدرار رأسرة دولة بنى المدرار [١] .

وقد حسم البكرى هذا الخلاف لانه يفرق فى مادته بين الاسم واللقب ، فوضح أن مدرار لقب يطلق على أفراد دولة بنى المدرار يقول البكرى : " وولى ابنه مدرار المنتصر بن اليسع ومدرار لقب " [٢] . وقد ورد هذا الاختلاف فى مكانه بصورة مفصلة حين تحدثنا عن دولة بنى المدرار .

ومن مظاهر اهتمام البكرى بالاعلام أنه ينسب كل الاسم الى القرية والبلد الذى ينتمى اليه فيذكر مثلا أن " حامد بن حمدان الهمدانى يعرف باللسوزى نسبة الى قرية باغريقية " [٣] .

كما أنه يذكر المناسبات التى ترتبط بأسماء الاماكن والاشخاص فيقول مدينة رقاده التى اتخذها بنو الاغلب دارا لهم " رقاده وهى من القيروان على أربعة أميال .. وذكروا أن أحد بنى الاغلب أرق وشرد عنه النوم أياما ، فعالجه اسحاق فلم ينم ، فأمر بالخروج والمشى ، فلما وصل الى موضع رقاده نام فسميت من يومئذ رقادة ، واتخذت دارا وسكنا " [٤] .

---

(١) سعد زغلول : المغرب العربى ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ مصر دار المعارف ١٩٦٥ ،
السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٥٨٤ القاهرة ١٩٦٦م .
(٢) البكرى : المغرب ص ١٥٠ .
(٣) البكرى : نفس المصدر ص ١٣٧ .

ويذكر أيضا قصة تسمية حسن بن محمد بالحجام ، فيقول وانما سماه حجاما عمه احمد بن ابوالقاسم بن ادريس الكرخي ، وذلك انه جرى بينهما أمرا قضى بهما الى الاختلاف والتدابر حتى زحف كل واحد منهما الى الاخر ، فالتقيا بموضع يعرف بالمدالى من بلد صنهاجة فحمل حسن على غلام لعمه فدعسه بحربة أثبتها في مكان المحجم ، فأخبر عمه بفعله ، ثم عد على آخر فاصابه في ذلك الموضع ، وقيل لاحمد أيضا وضرب ثالثا فوافق ذلك الموضع فقال احمد صار ابن اخي حجاما فلزمه ذلك ، (١) .

والمتتبع لمادة البكري التاريخية يلاحظ كثرة ورود الشعر العربي الذي يسجل الاحداث ونكتفي هنا ببعض النماذج ، فهذه أبيات تتحدث عن دولة برغواطة وقيام أبي حفص بأمرهم وادعائه للنبوة ، كما يتحدث عن وقعة بهت وصلة بن يوسف وقتله بميسرة الطنجي

فقل لقبيل الشرق فاخبرينا
وقولي واخبري خبرا جينا

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ٢٦ ١ـ٢٧ ١ .

الاثم أمة هلكت وضلـــــــت

وزاغت عن سبيل الصالحينـــــا

ألم تسمع ولم تريـــــم بهـــت

على آثار خيلهم ونهنـــــــا

ونون الباكيـــات نهين شكلـــى

وعاهة وثقلـــة جنينـــــــا

فليس اليـــم رد ثم لكـــــن

ليال كنـــتم متيمرينـــــا (١)

أما النص الثاني فيتحدث عن صمود مدينـــة سوسة امام الفاتحين .

ألم يحزنـــك وقوفهـــــا

ولكن الالـــه لها نصـــير

مدينة سوســـة للغرب ثغـــر

تدين لها المدائن والقصـــور

لقد لعن الذين بغوا عليهـــا

كما لعنت قريظـــة والنضـــير

---

(١) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٣٨ .

اعز الدين خالق كل ـــــــــس

بعوسة بعد ما التوت الامـــــور

ولولا عوسة لدهـــــت دواه

يهيب لها الطفل الصغـــــــير

سيبلغ ذكر عوسة كـــــل أرض

ويفنى اهلها العدد الكبـــير (١)

وهذا بيت يدلل به البكرى تضمينة حسن بـــن محمـــــد بالجســـام :

وسميـــت حجاما لمست بخاجم

ولكن لضرب في مكان الحاجـــم (٢)

ولم يثبت لنا من خلال الدراسة لآثار البكرى التاريخية ما يشير الى اهتمامه بالرحلة ، ولكننا نستطيع ان نؤكد ادراك البكرى لاهمية الرحلة من الناحيـــة العلمية ، ذلك انه اعتمد على بعض الرحالة كالمسعودى الذى يرى أن العالـــم الحقيقى هو الذى يأخذ الحقائق من مظانها ، اذ يقول : " لكل قلم مجانـــب

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٢٧ .

(٢) نفس المصدر : ص ١٢٧ .

يقتصر على علمها أهله ، وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى اليه من الاخبار عن أقليمه كمن قسم عمره على قطع الاقطار وفرق ايامه بين تلك الاقطار ، واستخرج كل دقيق من معدنه واثارة كل نفيس من مكمنه » (١) .

مع ادراك البكرى لكل ذلك فانه لم يكن رحالة في يوم من الايام ، ويسوقنا أن نعزو الى خطأ من عد البكرى من علماء الرحلة (٢) في جمع مادتهم فالبكرى لم يخرج من جزيرة الاندلس والذى يفسر لنا ترك البكرى للرحلة واعتماده على المراسلة وهو طبيعة المادة التي يكتب عنها ، فمادته اما ان تكون احداثا وقعت في عصره وفي هذه الحالة يعتمد على مقابلته لشهود العيان مثل كتاباته عن دولة غانة وبلاد السودان الغربي ، واما احداث لم يعاصرها فتجده يحاول الاعتماد على مصادر مكتوبة لمن شاهدوا تلك الاحداث كاعتماده على المسعودى ، ومن بين الاسباب التي قللت قيمة الرحلة عنده أن الناس كانوا يفدون على الحكام بالاندلس يصفون تقارير عن بلادهم وقد امتد عيد البكرى الى تلك الوثائق فاخذ من تلك الرحلات ، وشاهدنا ذلك تلك الوثيقة التي وجدها البكرى في مكتبة الحكم من دولة بوغواطة ، أما عن

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ١٢ .

(٢) قداح : افريقية الغربية في ظل الاصنام / والقاهرة . الصياد : تراث الانسانية مجلد ١ ص ٢٩١ .

دراساته اللغوية والادبية فاقبل علماء المشرق الذين وفدوا الى الاندلس على دراسة تراث المشرق ، فانكب البكري على دراسته وسبقت الاشارة الى ذلك وقضى عاما آخر ان اتجاه البكري الى الكتابة من الجغرافية والتاريخ بدأ في مرحلة متأخرة من عمره لا يقوى معها على الاسفار ، ولذلك انتقى مصادره بصورة تعد النقص الذي يتركه هذه الرحلة في العمل العلمي ، ولو كان البكري أتم الرحالة لما توفرت له هذه الكثرة وهذا النضج في المادة ، فقد شكا العلماء من أثر الرحلة على انتاجهم ، يقول السعودي : " على انا نعتذر من تقصير وان كان ... لما قد هاب خواطرنا وضعف قلوبنا من تناهي الاسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر " (١) .

وقد يترك البكري مصدره الذي يأخذ منه كثيرا فيهمل ذكره وقد حفظ لنا البكري كثيرا من الروايات التي وردت في أمهات الكتب ، ولكنه يضع هذه المعلومات التي ينقلها بصورة توقع الدارس في الخطأ حين يشكك من ذكر المصادر التي يأخذ منها ، فتجد المعلومات للدارس وكأنها خاصة بالبكري ، ويضرب لذلك مثلا بما أورده البكري عن حروب عهد الرحمن الناصر ، مع الجلالقة تجد نص البكري منقولا من السعودي ، ولم يشر البكري الى اسم السعودي يقول البكري : " وقد كان لعهد الرحمن بعد هذه النوبة وقائع كثيرة مع الجلالقة قتل منهم فيها اضعاف المسلمين وهي للمسلمين عليهم

---

(١) السعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ١ ص ١٠ .

الى وقت الطريخ " [1] تعبيرة الى وقت التاريخ خاصة بالمسعودى [1] . وتنطبق على الواقع التاريخى فى ايامه فى القرن الرابع الهجرى وقبلها البكرى ولم يشر الى مصدرها وهى لا تنطبق على الواقع التاريخى فى ايام البكرى " عصر ملوك الطوائف" وهذا الخطأ فى التواريخ عند البكرى يتطلب من يريد الاعتماد على آثاره التاريخية ، أن يحدد مصادره حتى لا يقع فى الخطأ .

ومن المظاهر التى يلاحظها الدارس فى تراث البكرى التاريخى ظاهرة الاساطير والخرافات نجده يورد بعض التصورات الخرافية للوقائع والاحداث ، وتصوراته لا تتفق مع الواقع وذلك مثل ذكره لمدينة ذات الابواب التى تشتمل على عشرة الاف باب ، ومثل ذكره لحادث حصن العقاب الذى وقع فى قطر المغرب عن بلد قابس من أرض الجريد ، وقد ذكر البكرى تصويرا لهذه الحصن بقوله : " يذكر أهل قابس أنها كانت أصح البلاد هواء حتى وجدوا بها طلسما ظنوا أن تحته مالا فحفروا موضعه فاخرجوا منه قربة فجرا فحدث عندهم الوباء من حينئذ بزعمهم " [2] . وقد وجه ابن خلدون نقدا قاسيا للبكرى بسبب نقله لمثل هذه الاشياء فنقد البكرى فى ذكره تصوير الحصن بقوله : " هذه الحكاية من مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة والبكرى لم يكن من نباهة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا أو أن يتبين خرقه

(١) المسالك والممالك " جغرافية الاندلس واوربا " ص ٢٩ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٢ ص ٣٨ طبعة محمد محى الدين . القاهرة ١٩٥٨ .
(٣) البكرى : المغرب ص ١٨ .

نقله كما سمعه؟ (١) .

وقد تحفظ بعض العلماء الذين أخذوا عن البكرى مثل هذه الاشياء ، فابن فضل الله العمرى يذكر فى نقله عن البكرى العبارة على الراوى (٢) .

وفى رأينا ان جملة ابن خلدون على البكرى يقلل من شأنها عدم تبنى البكرى لتلك الخرافات والتفسيرات ونسبتها الى مصادرها وبين أنه لم ينقل مثل هذه الاشياء تصديقا بها ، يقول البكرى : " وانما ننقل فى كل موضع من هذا الكتاب ما وجدنا لغيرنا ، وجدنا كتب العلماء تنقل ذلك بينهم على حسب ما نجده لا مانقم على صحته " (٣).

والظاهر أن البكرى لم يلجأ الى حذف ما جاء فى كتب الآخرين من الخرافات بل أوردها كما وجدها ، لان الاختصار لم يكن مباحا يقول ياقوت: "ان المختصر لكتاب فى رأيه كمن أقدم على خلق سوى فقطع أطرافه تفركه أهل اليدين ابتر الرجلين أعمى العينين اصم الاذنين " (٤) .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٦١٨ــ٦١٩ .

(٢) مسالك الابصار فى ممالك الامصار ١ ص ٢٢٦ . القاهرة ١٩٢٤ ، تحقيق احمد زكى باشا .

(٣) البكرى : مخطوط نور عثمانية رقم ٣٠٣٤ ق ٩١ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ١١ مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦م .

وايراد مثل هذه الاخبار مسلك ارتضاه كثير من العلماء رغم مخالفتها للواقع يقول ياقوت : " لقد ذكرت أشياء كثيرة تأباها العقول لبعدها عن الحسيات المألوفة وتناثرها من المشاهدات المعروفة ، وانا مرتاب بها متبرئ الى قارئها من صحتها ، لاني كتبتها حرصا على احراز الفوائد فان كانت حقا فقد أخذنا نصيبنا بنصيب المصيب ، وان كانت باطلا فلها في الحق شرك ونصيب ، فانا صادق في نسبتي ايرادها كما أوردتها " (١) .

وقد اخترنا نص البكري من دولة الادارسة لاجراء عرض تطبيقي لهذه المظاهر الضخم التاريخي عنده على مادته عن تلك الدولة لنبين الى أي حد التزم البكري بتطبيق هذه المظاهر المستخلصة من تراثه التاريخي على مادته عن دولة الادارسة .

ولعل أول مظهر من المظاهر السابقة يمكن ملاحظته هو الربط بين الجغرافية والتاريخ عند ذكره لدولة الادارسة ، فقد أورد وصفا جغرافيا لمدينة فاس حاضرة الادارسة ، وهو وصف يمثل الامتداد التاريخي لاهتمام الدارسين بتلك المدينة من القرن الثالث الهجري (٢) والرابع الهجري (٣) حتى عصر البكري .

---

(١) ياقوت : معجم الادباء ج ١ ص ٣ جـ ٥٨ .

(٢) اليعقوبي : البلدان ص ٢٥٧ طبعة ليدن .

(٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٠ طبعة بيروت ١٩١٢م .

وعلى الرغم من أن الربط بين الجغرافية والتاريخ سمة من سمات منهج البكرى ، فان ذلك الربط بين العلمين يعتبر نمطا سائدا فى الاندلس .

وعقب هذا الوصف الجغرافى للمكان يذكر البكرى احداث دولة الادارسة ، ولم يحاول البكرى مثل غيره من المؤرخين أن يتعرض لحركات العلويين الاولى ، مثل حركة النفس الزكية [1] الذى أعمل الثورة ضد الخلافة العباسية وحركة الحسين بن على [2] التى قادها فى فخ [3] ويرجع اهمال هذه الحركات من جانب البكرى الى طبيعة منهجه .

فالبكرى يلتزم بايراد الاحداث فى اطارها الجغرافى وهذا يمنعه من التعرض للاحداث التى تقع خارج الاقليم الجغرافى الذى يحدده فحديثه عن دولة الادارسة يرتبط باقليم المغرب ، وحركات العلويين الاولى لم تقع فى هذا الاقليم ، ومن أجل ذلك اهملها البكرى . وذكر قيام دولتهم فى نافريقول البكرى فى مبتدأ حديثه : " نافر هى دار مملكة ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على رضى الله عنه " [4]

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن حسن "المثنى" بن ابى طالب عبد عالم : المغرب الكبير ص ٤٦٥ .

(٢) هو الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب . المرجع السابق ص ٤٦٦ .

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٦ ـ ٨ طبعة بولاق . ابن طباطبا : الفخرى فى الاداب السلطانية ص ١٩٠ طبعة بيروت ١٩٦٠م .

(٤) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١١٨ .

يمكن ان نميز في كتابة البكري عن الادارسة ميله الى احصاء الروايات السبع تدور حول موضوع واحد ، وهي ظاهرة تشيع في تراثه التاريخي ، واحصاء الروايات عند البكري يأخذ شكلين ، تارة يختار واحدة من الروايات يرجحها على غيرها ، وتصبح تلك الرواية ممثلة لوجهة نظر البكري ورأيه والادارسة في هذه الحالة لا يجدون صعوبة في تحديد رأي البكري مثال ذلك ما أورده البكري عن اغتيال ادريس بن عبد الله بالسم فقد أورد لنا اربع روايات أولى تلك الروايات اخذها عن أبي الحسن علي بن محمد بن سليمان القوتلي وهي استخدام السم كعنصر لاغتيال ادريس ، يقول البكري : " ان سليمان دخل على ادريس ومعه الفاروزة فلما أهبط اليه وخلا وجهه لخسال جعلني الله فداك في هذه الفاروزة غالية ، حملتها معي وليس يملكها من الطيب ما يتخذ هذا منه ، فجئتك بها لتطيب بها فيها ، ووضعها بين يديه ، ففتحها ادريس ، وتغلغل شمها وشمها ، وأقام ادريس في غشيته عامة نهاره وعوته تضرب ثم مات " (١) .

أما الرواية الثانية ، فاخذها البكري عن احمد بن الحارث بن عبيدة اليماني ، وتفيد هذه الرواية ان السم استعمل كدواء لادريس ، لانه كان يشكو من وجع في أسنانه : " توجه اليه الرشيد رجلا من مواليه يقال له الشماخ ، في جملة

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ١٢٠ .

المطلب ، وكان باد ريس وجع نجده في أسنانه ، فوضع الضماخ في ذلك الموضع فبرأ صحيحا وخرج من ساعته فقتل السم اد ريس" (١) .

اما الرواية الثالثة تتفق مع السابقة لها في استعمال السم كعلاج لاد ريس ، وتزيد عليها في أن الضماخ حدد لاد ريس زمنا يستعمل فيه ذلك السم ، فسان سليمان امر اد ريس " ان يستعمل ذلك الذرو والسنون في السحر ، وغر هو في جوف الليل " (٢) .

والرواية الرابعة تفيد ان السم استعمل لاد ريس عن طريق الطعام " الصحيح عندنا انه سم في دلاة قطعها بسكين وأكل هو الآخر " (٣) .

يلاحظ الدارس ان البكري في هذا الموقف قد رجح احدى الروايات الاربع على غيرها ، واختارها مستقلة لرأيه اما الشكل الثاني من تعدد الروايات عند البكري فلا نجد فيه ترجيحا لواحدة على أخرى ، ويمثل هذه الحالة يكاد البكري يوقعنا في الخطأ ، ويمثل لذلك بثلاث روايات أوردها البكري عن فرار اد ريس بن عبد الله

---

(١) البكري : نفس المصدر ص ١٢١ .
(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق والصفحة نفسها .

واحد الى المغرب ، الرواية الاولى لابى الحسن الغوطى وتفيد " انهما دخلا مصر ليلا ، فبينما هما متحيران يمشيان فى بعض طرقها ليلا لاهداية لهما بالبلد ، اذ مرا بدار مضيئة يدل ظاهرها على باطنها ، وفى أعلاها نجلسا فى دكان على بساب الدار ، فرآهما صاحب الدار ، فعرف فيهما الحجازية وتوسم فى خلقتهما الغربة فقال أحسبكما غريبين قالا : نعم واراكما مدنيين قالا : نعم ، نحن كما ظننت فساذا الرجل من موالى بنى العباس" (١) .

اما الرواية الثانية فلم يذكر البكرى مضمونها ولكنه ذكر انها تخالف رواية الغوطى ونسبها الى المؤرخين يقول البكرى : " ذكر ابو الحسن على بن محمد بن سليمان عن أبيه وغيره فى خروج ادريس الى أرض المغرب غير ما ذكره المؤرخون " (٢) .

اما الرواية الثالثة تتفق مع رواية الغوطى وتتحدث عن شخصية واضح بالاشارة الى اسمه ، على حين تشير الرواية الاولى الى واضح بأنه رجل من موالى بنى العباس ولا تذكر اسمه . يقول البكرى : " وذكر احمد بن الحارث بن عبيدة اليمانى نحو رواية الغوطى قال : ان ادريس بن عبد الله أقلت من وقعة فخ فوقع بمصر وطن يريد ما يريد فاخذ واضح مولى صالح بن منصور وكان يتشيع " (٣) .

---

(١) البكرى : نفس المصدر ص ١١٨ ـ ١١٩ .
(٢) المصدر السابق ص ١١٨ .
(٣) المصدر السابق ص ١٢١ .

ونلاحظ هنا ، أن البكرى يسرد عددا من الروايات ولا يرجح احداها على الاخرى وفى هذه الحالة لا نستطيع أن نرجح آراء بعض المؤرخين على رأيه لسببين :

أولهما : أن رأيه غير محدد هنا فلم يعلن تبنيه لاى رواية من تلك الروايات الثلاث .

ثانيهما : أن البكرى يشير الى الرواية الثانية وهى رواية جمهور المؤرخين ولا يحدثنا عن مضمون تلك الرواية وكل ما يذكره عنها هى أنها تخالف بقية الروايات وقد تكون هذه الرواية التى ذكرها البكرى لم يشر الى مضمونها هى نفس الرواية التى جاءت فى مؤلفات ابن خلدون وابن الاثير ، وعلى ذلك فليس من الدقة أن نعلل ترجيح بعض الباحثين لرأى ابن الاثير وابن خلدون حول فرار ادريس وراشد الى مصر فقد ذكروا ان واضحا جاء الى راشد وادريس بمصر فى مكانهما الذى يختفيان فيه ، لانه كان على علم بمكانهما واستدل صاحب هذا الرأى على ترجيح ذلك بقوله : " ان هذه الرواية الثانية أقرب الى الحقيقة فرواتها ابن الاثير وابن خلدون أولى بالثقة بدليل أن الهادى عندما بلغه الذى قام به واضح ، أمر بضرب عنقه وصلبه ، ثم انه من المنطقى الا يهرب راشد بعد اعدام ادريس فى مصر الا لرجل من دعاة الشيعة ، وأغلب الظن أنهما كانا يعملان واضحا قبل ذلك ، فنزلا عنده وتحايل هو على مساعدتهما فى النجاة الى أرض المغرب " (١) .

---

(١) سالم : المغرب الكبير ص ٤٦٠ .

وعلى هذا الترجيح ان رواية البكرى تتضمن نقاط ضعف متمثلة فى جعل ادريس وراشد يحاربان شخصا مجهولا على حين تشير رواية ابن الاثير وابن خلدون الى شخص معلوم بالنسبة للطرفين ، ويرد على هذه الحجة بأن البكرى يعتبر روايته الثالثة مكملة للرواية الاولى لتطابقهما ، وتعدد اسم الشخص المجهول فى الروايتين الاولى وعلى ذلك فلا نجد فرقا بين رواية البكرى ورواية ابن الاثير وابن خلدون من هذه الزاوية ، ولا مجال لترجيح رواية ابن الاثير وابن خلدون على رواية البكرى ، بل ان رواية البكرى تمتاز على رواية المؤرخين السابقين بتصويرها لعنصر الصداقة فى لقاء ادريس وراشد بواضح ، وانهما اباحا له بسرهما لانهما شعرا بالامان فى كنف والى مصره فلم يطلب التهدئ عليهما ، وأعطاه مهلة ثلاثة أيام [1] وما يؤكد تلك الصداقة فى لقاء ادريس وراشد بواضح فى مصر أن راشد بدأ يشرح لواضح الخطة بعد الوصول فقال : " هذا ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب ، خرج من موضعه مع حسين بن على فعلم من النقل ، وقد جئت به أريد بلاد البربر " [1] ، وهذا يدل على جهل واضح بحقيقتهما الامر الثالث لو كان واضح يعلم بتقدم ادريس الى مصر لاعد خطة ثانية للارتحال فيها ، حتى يبعدهما عن نفوذ الخلافة ولكنه فوجئ

---

(١) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ج ١ ص ١١ـ١٢ تحقيق محمد هشام التيلانى ـ المطبعة الوطنية بالمغرب سنة ١٩٣٦م .

(١) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١١٩ .

بذلك الوصل ، فطلب من والي مصر مهلة ثلاثة أيام ، للخروج من ولايته [1] واخبرا كان هناك نص لابن أبي زرع يوكد لقاء واضح بادريس وراشد عن طريق الصدفة ، في الذي يروج الحذر والتردد وكيفية انتصارت بين الطرفين ، مما يؤيد رواية البكري يقول ابن ابي زرع : " فبينما ادريس ومولاه راشد يمشيان في شوارعها (أي مصر) ويجولان بطرقها اذ مرا بدار حسنة البناء والهيئة ، فوقفا ينظران اليها فتأملان حسن بنائها واتقانها ، واذا بصاحب الدار قد خرج وسلم عليهما فرد عليه فقال لهما ما الذي تنظران من هذه الدار ؟ فقال له راشد : يا سيدي انه اعجبنا حسن بنائها واحكام اتقانها وكلسها . قال : انكما غريبين عن هذه البلاد ، قال راشد . جعلت فداك ان الامر كما ذكرت ، قال فمن أي الاقاليم انتما ؟ قالا من الحجاز ، قال فمن أي بلاد ؟ قالا من مكة ، قال وأخالكما من شيعة الحسنيين القارين من وقعة فخ ؟ فأرادا أن ينكرا حالهما ويخفيا عنه امرهما ثم انهما توسما فيه الخير والفضل قال له راشد : يا سيدي أرى لك صورة حسنة وقد توسمت فيك الخير لحسن صورتك وطلاقة وجهك وبشرك ، ولابد ان تكون اعمالك وشيمك مطابقة ومشابهة لصورتك الجميلة ، ولكن أرأيت ان اخبرناك من نحن وما خبرنا وأمرنا كنت تستر علينا ؟ قال : نعم ورب الكعبة اكتم امركما واحسن سركما وابذل جهدي في صلاح حالكما فقال راشد فذلك الظن بك والثقة بفضلك هذا ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن

---

(١) ابن ابي زرع : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٠

علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وانا مولاه راشد ، فورث به خوفا عليه من التنقل قاصدا الى بلاد المغرب فقال لهما الرجل : لتطمئن نفوسكما وتسكن روعتكما فاني من شيعة أهل البيت وموالييهم ، وأول من تكم سوطهم وبذل جهده في حقهم ، فلا تخافا ولا تحزنا فانتما من الآمنين " (١) .

ولعل نص ابن أبي زرع هذا يؤكد صحة رواية البكري في ثبوت عنصر الصدفة في لقاء واضح بادريس وراشد ومن مميزات آثار البكري انه يفسر الحقائق التاريخية التي يسجلها مثال ذلك ذكره السبب في اختيار ادريس وراشد لاقليم المغرب كملجأ لهم ، يقول البكري : " انه بلد نائ لعله يأمن فيه ويعجز من يطلبه " (٢) .

ولمادة البكري عيوب أيضا ذكرنا بعضها فيما تقدم وشبها أيضا ميله للاختصار المخل في سرد حوادث التاريخ مما يضطر الدارس الى اللجوء الى مصادر اخرى تكمل النقص الذي يجده عند البكري ، ونقارن هنا بين رواية البكري ورواية ابن أبي زرع كمثال توضيحي وذلك فيما يتعلق بشكوى الخليفة الرشيد أمر ادريس بن عبد الله الى يحيى بن خالد نلاحظ أن نص البكري فيه اشارة مختصرة الى ظلم الشكوى لا توضح مضمونها ، يقول

---

(١) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ج ١ ص ١١ـ١٢ .
(٢) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١١٩ .

البكري: " انتهى الى الرشيد خبره فتفكر فيه وشكى ذلك الى يحيى بن خالد ، فقال انا اكفيك خبره يا أمير المؤمنين " (١) .

أما رواية ابن أبي زرع فتوضح ان شكوى الخليفة الرشيد قامت على ثلاثة أسس :

أولها : الخوف من نسب ادريس وقرابته من علي بن أبي طالب وفاطمة .

ثانيهما : التفاف الجيوش حوله وكثرة جيوشه .

ثالثها : قيامه ببعض الاعمال الحربية .

يقول صاحب الروض: " انه ولد علي بن أبي طالب بابن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قوى سلطانه وفتح مدينة تلمسان وهو باب افريقية ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار " (٢) .

ومقارنة رواية البكري برواية صاحب الروض القرطاس تكشف عن تقصير وبرواية البكري بسبب ميله للاختصار ويحملنا اهتمام البكري بالاعلام ورسمها والتدقيق في امرها كما ورد في منهجه الذي شرحه وتقدم الحديث عنه ان نعتبر رأيه فيصلا في الاختلافات التي تحدث في مثل هذه الحالات بين المؤرخين ، فقد تباينت آراء

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ١١٩ .

(٢) ابن ابي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس : ص ٢٣ .

المؤرخين فى ذكر اسم سليمان الذى اختاره الخليفة الوليد لافتتاح اندلس بن عبد الله فالجزنائى يسميه سليمان بن جرير بالراء [١] وابن الخطيب يسميه سليمان بن حبه بز بالدال والراء [٢] ، ونميل هنا الى اختيار رواية البكرى لعنايته بضبط الاعلام فيسميه سليمان بن حريز بالزين [٣] .

وقد أثار المستشرق الروسى اغناطيوس كراتشكوفسكى قضية الاسلوب عند البكرى فوصف اسلوبه فى كتابه المسالك والممالك بالجفاف [٤] . ولا نستطيع ان نأخذ بحكم المستشرق كراتشكوفسكى لانه يعمم الحكم على كل ما جاء فى المؤلف ، ونحن نعترف أن كتاب المسالك والممالك كتاب جامع تعددت فيه الاساليب وتنوعت ، لان صاحبه ينقل ما جاء فيه من مصادر كثيرة وطرق مختلفة فأحيانا ينقل نقلا حرفيا مثل نقله عن المسعودى وأحيانا ينقل بتصرف وبرة أخرى يثبت وثائق يجدها فى المكتبات باساليب كتابها دون أن يتدخل فيها ، بجانب هذا وذاك نجد للبكرى اسلوبه الخاص فى الكتابة ، ونحس رأينا أن المستشرق الروسى قد وقع على بعض نصوص البكرى فأوحت له أن يصدر الحكم

---

(١) الجزنائى : زهرة الآس ص ١٠ ـ الجزائر ١٩٢٣م .

(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ١٩٣ .

(٣) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٢٠ .

(٤) كراتشكوفسكى : تاريخ الادب الجغرافى العربى ج ١ ص ٢٧٥ .

وحسه على جميع ما ورد في الكتاب . وقد عرف البكري ميدان الادب والشعر فسهل أن يكتب المسالك والممالك . وهذا يؤيد قولنا . وهو بعطفه آثاره كرائد كوشكسي . وسوف نجده هنا رداً عليا باختيار بعض النصوص البعيدة المثلة لاسلوب البكري وذلك فيما يتعلق باغتيال ادريس بن عبد الله بالمغرب على يد سليمان بن جرير في هذا النص يبرز ترتيب البكري للاحداث بصورة ملخصة . فيبدأ بتصوير الدقة في اختيار الرجل الذي ينفذ الخطة المرسومة ويصور دخوله على ادريس بن عبد الله باسلوب يبعث الرهبة والشك فيمن يقدم على مثل هذه الاشياء .

ويبدأ نصوصه بكشف مواهب سليمان امام ادريس بن عبد الله ليتال اعجابه حتى وجه بذلك الى مرتبة خاصة من نفسه مكنته في النهاية من تنفيذ خطته واغتيال ادريس

وأول مرتكز يبرزه البكري بين الرؤية يحيى بن خالد حول استفحال أمر ادريس ابن عبد الله بالمغرب واختيار شخص من المشهورين في المذهب الزيدي ومن المتكلمين برأي الزيدية وهو شخص أثبت الاختبار نجاحه في مواقف سابقة . يقول البكري : " انتهى الى الرشيد خبره فذكر ذلك . وشكى ذلك الى يحيى بن خالد فقال انا اكفيك خبره يا أمير المؤمنين أرسل الى سليمان بن جرير الجزري وهو رجل من ربيعة وكان متكلما . ممن يرى رأي الزيدية اذ كان متكلمهم وهو الذي جمع الرشيد بينه وبين هشام بن الحكم حين ناظره في الامامة "[1] .

---

(1) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٢٠ .

وتتطور الاحداث في اسلوب البكري بصورة مختلفة ومغايرة لسليمان ، ثم اختياره بعد أن أولاه الوعيد ثقته من ناحية أخرى فان ادريس كان على علم بهذه الصفات الزهدية ، ولذلك بدأ سليمان قوله لادريس " انما جئتك وجعلت نفسي فداءها حملتني عليه لهذا الحي الذي تعرفني به ، وان السلطان طلبني هذا لحيق في الخروج بحكم أهل البيت ، فجئتك لآمن في ناحيتك وانصرف بنفسي ، فصوب قوله وقبله وأحسن مثواه وأكرم نزله وأنزله .. وكان سليمان يجلس في مجالس البربر يظهر الدعاء الى ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحتج لاهل هذه المقالة فاعجب ذلك ادريس منه "(١) . وبعد ان وصل سليمان الى هذه المرتبة من نفوذ ادريس اصبح يخطب بسه حتى وصل مرحلة مكنته من تنفيذ خطته .

يمكننا أن نخرج من قراءة هذا النص السابق وهو واحد من نصوص كثيرة بالحكم على اسلوب البكري بالسلاسة وعدم التعقيد فرأيناه يورد أحداث التاريخ بأسلوب يستطيعه القارئ فاساليب الحوار والقصة داخل النص لا يتركها تؤثر على حقائق التاريخ ، لانه لا يترك مجالا للخيال يفسد واقع التاريخ .

والاستمرار في دراسة نصوص البكري التي تلي ولاية ادريس بن عبد الله ، تكشف عن نفس الظاهر التي وجدناها سابقا ، واكثرها ميلا الميل للاختصار الذي أضر

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٠ .

بعادته كثيرا . ونقف هنا امام بعض النصوص لنتبين هذه الحقيقة ونبدأ هذه النصوص بمؤلف البكري من ولاية راشد بعد ادريس بن عبد الله فرواية البكري لا توضح الكيفية التي وصل بها راشد للحكم . ولم تحدد فترة ولاية راشد للسلطة . هل كانت ولاية طويلة أم انها فترة انتقال محددة بانتظار المولود الذي تركه ادريس في بطن امه . وقد استطاع ابن أبي زرع ان يذكر تفاصيل وافية عن ذلك اجابت على تلك التساؤلات وسدت الثغرات الفادحة من رواية البكري المختصرة . وتعتبر رواية ابن أبي زرع اكثر اهمية اذا ما قورنت بالرواية المختصرة التي أوردها البكري . وفيما يلي نص البكسري ونعقبه بذكر نص ابن ابي زرع .

يقول البكري : " مات ادريس ولا ولد له الا جارية من جواريه حبلى فقام راشد بأمر ادريس " (١) .

ويقول ابن ابي زرع : " فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس . بعد فراغه من دفن ادريس . فاخبرهم ان ادريس لم يترك ولدا الا حملا بجاريته كنزة . وهي تمشي الشهر السابع من حملها . فان كان ذكرا ربيناه . فاذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه

---

(١) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٢٢ .

تبركا بأهل البيت ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ، وان كانت جارية ، فنظرتم لانفسكم من ترضونه وترونه اهلا لذلك ، فقالوا : ايها الشيخ المبارك ، ما لنا رأى الا ما رأيت فانك هدفنا موفرين ادريس ، تقم بأمرنا كما كان ادريس ، وتصلي بنا وتحكم فينا بما يقضي الكتاب والسنة حتى تنبع الجارية ، فان وضعت غلاما ربيناه ، وايفناه ، وان وضعت جارية نظرنا في أمرنا ، على انك احق الناس به لفضلك وديانتك وحكمهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا " (١) .

وقد بلغ الاختصار في بعض مصادر البكري درجة القصور ، مما يجعل الدارس حائرا في فهم بعضها ويتضح هذا على ما ذكره عن مقتل شخصيتين كبيرتين في تاريخ الادارسة هما راشد مولى ادريس واسحاق بن عبد الحميد الاودي فبالرغم من الدور الكبير الذي قام به راشد مولى ادريس واسحاق بن عبد الحميد الاودي في تاريخ المغرب فان البكري لم يعرهما التفاتا كافيا فأورد مقتل راشد في عبارة مختصرة موجعة حسين قال : " توفي راشد سنة ست وثمانين ومائة " (٢) .

وهذا يخالف الواقع لان وفاة راشد لم تكن طبيعية بل كانت بتدبير من ابراهيم بن الاغلب الذي صرف همه وامواله بين البهر ، واستمالهم لقتل راشد حتى تخلص (٣) منه

---

(١) الانيس المطرب بروض القرطاس ج ١ ص ٢٧ ـ ٢٨ .
(٢) المغرب ص ١٢٢ .
(٣) ابن الابار : الحلة السيراء ج ١ ص ٤٥ تحقيق حسين مؤنس ١٩٦٣م .

وقد استخدم ابراهيم بن الاغلب اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي واستمالـــه اليه حتى تمكن من اسحاق ، وساعده على اغتيال راشد . ولكن البكري يورد اغتيـــال ادريس لاسحاق دون مقدمات مقنعة تكلما نعرفه عن اسحاق الاوربي من خلال مـــادة البكري انه على علاقـــة طيبة بادريس بن ادريس ووالده ادريس بن عبد الله من قبلـــه وفجأة يذكر البكري ان ادريس قام بقتل اسحاق دون ان يشرح للقارىء التطور الـذي حدث في علاقاتهما حتى ساءت ووصلت الى هذا الحد .

يقول البكري : " وقتل اسحاق وهو القائم به وأبيه يوم السبت لخمس من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين ومائة "[1] . فمادة البكري هنا لا يمكن فهمها الا باللجوء الى مصادر أخرى تكمل النقص الذي تركته . ولقد ورد في مادة البكري نقص من نوع آخـر وهو سقوط بعض الفترات التاريخية مثل سقوط ولاية يحي بن محمد من مؤلفه يتطلب ذلك الرجوع الى المصادر التاريخية لاكمالها وفي مادته عن الادارسة ترد ظاهرة الشعر العربي الذي يتصل بالاحداث مثل الشعر الذي ورد عن الحرب التي وجهتهـــا الخلافة العباسية ضد الادارسة حين حاولت التشكيك في نسب ادريس بن ادريس الثاني ، مستندين في ذلك الى أمرين : اولهما التصاق راشد بادريس ، وراشد مولى لعيسى بن عبد الله اخي ادريس بن عبد الله . والامر الثاني : ما عرف عن أم ادريـــس

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٥٣ .

كنـــزة بانبباجاريـــة ، وسمت الخلافة لتفكك في هذا النسب حتى تصـــرف أنصار ادريس عنه ، فأورد البكري أبياتا لمحمد السهري يهجو بها القاسم بن ادريس وأباه فيها :

قل للزنيم زنيم طفجة عثريهـــــا
لا يحمدنك في بلادك حمـــده
شتان نفسك ان تكون خليفـــــة
هيهات هذا من حديثك بـــارد
لما رايتك للشـــام مصانيـــــا
أيقنت حقا ان جدك راشـــــد (١)

وخلاصـــة الامر ان البكري نهج نحـــو دراسته التاريخية منهجا مكانيـــا ، اهتم فيه بترتيب احداث التاريخ وفقا للامكنـــة التي وقعت فيها ، ولم يهمـــل احترام الزمان في ترتيب الاحداث لاعتبارات عرف الدولة كما فعل غيره وانما غـــرض عليـــه تتبعه للمسالك والطـــرق والاهتمام بسرح الاحداث وبذلك يعتبـــر

---

(١) البكري : المغرب ص ١٢٦ .

منهجه تصورا كاملا لاثر الحوامل الجغرافية في التاريخ . ويدخل اطار هذا المنهج تضمنا عددا من الظاهر التي يكثر ورودها عندنا بابرازها وتوضيحها بالامثلة كما أشرنا الى العيوب التي وقعت خلال آثاره التاريخية وقدمنا عدد الامثلة الموضحة لها .

الفصل السادس

الفصل السادس

دراسة المدن

تأسيس المدن ـ دراسة لبعض المدن التي درسها البكري ـ ميزات مادة البكري عن دراسة المدن ـ تطبيق منهجه في الدراسة على مدينة غانة ـ البكري أول دارس مغربي يشير لتاريخ تأسيس مدينة غانة ـ موقف المستشرق الروسي بروكلمان من رواية البكري ـ الأدلة المادية لمعاصرة بروكلمان حول تأسيس مدينة غانة ـ الأدلة التاريخية على نظرية بروكلمان ـ استخدام بروكلمان لنصوص البكري ـ مناقشة رأي بروكلمان ـ الأدلة التي تؤيد رواية البكري. الفتح العربي للمدن: صعوبة العثور على أخبار الفتح في مسالك البكري ـ مصادر البكري حول أخبار الفتح ـ نموذج لبعض الروايات التي انفرد بها البكري ـ الترتيب المكاني لأخبار الفتح ـ جدول زمني لفتوحات معاوية بن خديج ـ الأسطورة في أخبار الفتح ـ سياسة القسوة مع أهل البلاد المفتوحة لم تحقق أهدافها المطلوبة.

من الضروري بعد تتبع آثار البكري التاريخية التي تتضح لنا فيها عنايته بتاريخ

تأسيس المدن ، وتاريخ الفتح العربي لتلك المدن أن تتناول بالبحث شرح أهمية نصوصه التاريخية في دراسة المدن الاسلامية ، يشمل ذلك تاريخ تأسيسها ، والفتح العربي لها .

أما عن تأسيس المدن فان مادة البكري فيها تتسم بالكثرة والغزارة ، وقد تعرض لتاريخ تأسيس عدد كبير من المدن ، نذكر من بينها مدينة " رقاده " التي أسسها ابراهيم بن الاغلب سنة ٢٦٣هـ وقد انتقل اليها من مدينة القصر القديم وقد كانت مدينة القصر القديم دارا للامراء من بني الاغلب ، وذكر البكري في مسالكه تأسيس مدينة المسيلة على يد أبي القاسم اسماعيل بن عبيد الله سنة ٣١٣هـ وهكذا عني البكري في القسم الخاص بالمغرب وافريقية بذكر اكثر من اربعين مدينة[1] ، وعادة البكري عن تأسيس المدن وثيقة تاريخية هامة تمتاز بأمرين : أولهما ـ أن معظم رواياته عن تأسيس المدن يدعمها بالادلة ، ومثل لهذا بما أورده عن تأسيس مدينة آمير التي أسسها زيري بن مناد ، فيورد البكري بعض الابيات التي تثبت ذلك :

يا أيها السائل عن غرضنا

ومن محل الكفر آميرا

---

(١) الغنيم : الجغرافي العربي أبو عبيد البكري ، ص١٢٣ رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٣م .

عن دار ضنك ظالم أهلهـــــا

قد شيدت للكفر والـــــزور

أسسها الطغـــون زيريهـــــا

فلعنة الله طـــى زيـــــرى (١)

فانيهما ـ أن تلك المادة تتميز بالخلو من القصص والاساطير التي طالت اليهـــا بعض المصادر الاخرى ويتضح هذا من مقارنة روايته حول تأسيس مدينة تيهرت برواية الشماخ فبينما يورد الشماخ الرواية الاسطورية حول نشأتها ، فيقول : " وذكروا أنهم رأوا بها وحشا تحمل أولادها في أفواهها يحفى صياحا والله اعلم فأرسلوا مناديـــا فنادى بأعلى صوته من بها من الوحش أن اخرجوا وارتحلوا فانا مريدون عمارتهـــا فارتحلن بها واجلوا ثلاثـــة أيام " (٢) .

نجد البكري لا يميل الى ذكر الاسطورة حول تأسيس المدينة فيروى عن تأسيسها أن عبد الرحمن بن رستم بعد أن تولى أمر الاباضية نزل بتيهرت " فاجتمعت اليـــه الاباضية واتفقوا على تقديمـــه وبنيـــان مدينة تجمعهم ، فنـــزلوا موضـــع

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٦٠ .

(٢) الشماخي : سير علماء وشايخ جبل نفوسه ، القاهرة ص ١٢٣ ـ ١٢٩ .

تيهرت[1] اليوم وهو عيصة أشبة وزل عبد الرحمن منه موضعا مريعا لا شعراء فيه ، فقال البربر نزل تاقدمت تفسيره الدف شبهوه بالدف لتربيعه ، وكان موضع تيهرت ملكا لقوم مستضعفين من مراسه وصنهاجة فاراد هم عبد الرحمن على البيع ، فلم يوافقهم على أن يؤدوا اليهم الخراج من الاسواق وصيحوا لهم بنيان المساكن ، فاختطوا وبنوا وسمى الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم "[2] .

ولما كانت مادة البكري بهذه الدقة من العناية بتاريخ تأسيس المدن فسوف ترجح روايته في الخلاف حول تأسيس المدن ، وسوف نطبق ما نقول على مادته حول تأسيس مدينة فاس كنموذج يتضح من خلاله أهمية تصوره لذلك باعتبارها أول مصدر مغربي يتحدث عن تأسيس تلك المدينة يشاركه في هذا السبق ابن حوقل من علماء المشرق ، وقد اتفقت رواية ابن حوقل ورواية البكري على أن مدينة فاس أسست في عهد ادريس بن ادريس بن عبد الله أو ادريس الثاني ، يقول البكري : "وبمدينة فاس مدينتان مقترنتان اسست عدوة الاندلسيين في سنة اثنتين وتسعين ومائة في ولاية ادريس بن ادريس"[3] .

---

(١) تقع مدينة تيهرت على واد يصبه يقال بان تيهرت تعربها عيون تابعة من نهر مينه ، ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢١ ١ ـ القاهرة .

(٢) للبكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٦٨ .

(٣) البكري : المصدر السابق ص ١١٥ ـ ١١٦ .

وسوف نناقش رواية البكرى ومدى صحتها فى ضوء الجدل التاريخى الذى آثاره المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال ، حين خرج بنظرية جديدة حول تأسيس مدينة فاس فى مؤلفه الاسلام فى المغرب والاندلس[1] .

بدأ بروفنسال الشك فى رواية البكرى فذكر أن " هناك رواية شائعة وردت فى سائر الكتب الخاصة بتاريخ شمال افريقية تعزو تأسيس مدينة فاس الى ادريس الثانى بن ادريس الاول وخليفته ، وهى رواية قديمة جدا نجد أول صدى لها فى كتاب لمؤلف جغرافى مشرقى من أهل القرن العاشر الميلادى ونعنى به ابن حوقل وفى النصف الثانى من القرن التالى ردد هذه الرواية المؤرخ والجغرافى الاندلسى أبو عبيد البكرى[2] .

ووجه بروفنسال نقدا الى الذين اخذوا برواية البكرى لانهم " سجلوا الرواية القديمة على انها حقيقة لا جدال فيها " [3] .

---

(١) ترجم الكتاب الى العربية السيد محمد عبد العزيز سالم ونشرته نهضة مصر ١٩٥٦م .

(٢) بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ص ١ .

(٣) بروفنسال : المصدر السابق ص ٢ .

ونلاحظ أن بروفنسال يهتم برواية البكرى اكثر من رواية ابن حوقل لان البكـــرى كما يقول عنه " رسم لنا للبيانات التى جمعها ـ أول وصف شامل لمدينة فاس ، امكننا الوصول اليه ، فقال ان هذه المدينة تتكون من مدينتين مختلفتين يحيط بكل منهمـــا أسوار ، كما يفصلها نهر هديـــد وهو يمس احداهما ضفة القرويين والثانية ضفـــة الاندلسيين ، وتقع الاولى الى الغرب من الثانية ، وهو يقرر فى وصفه هذا أن المدينة الواقعة على ضفة الاندلسيين قد أسست سنة ١٩٢هـ (٨٠٨م) ، وان مدينة ضفـــة القرويين قد أسست فى السنة التالية فى عهد ادريس بن ادريس" [1] ، ويطرح بروفنسال ثلاثـــة اسئلة لا تجيب عليها مادة البكرى ولا مادة الذين اخذوا بروايته .

السؤال الاول : كيف استطاع ادريس الثانى على الرغم من صغر سنه تنفيذ مشروع ضخم كتأسيس مدينتين متباينتين فى مكان واحد ؟

السؤال الثانى : اذا سلمنا بأن هاتين المدينتين لم تكونا سوى مدينة واحدة فلماذا جعل لكل منهما سورا خاصا بها بدلا من احاطتهما معا بسور واحد ؟

السؤال الثالث : لماذا أثر ايجاد هذا التعارض المصرى والسياســـــى والاجتماعى لمدينتين متماثلتين وهو تعارض قد تجلى عقب وفاته بقليل " [2] .

---

(١) بروفنسال : المرجع السابق ص ٢ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢ ١ .

ويرى بروفنسال ان المصادر التي أوردت تأسيس مدينة فاس في عهد ادريس بن ادريس لا تعطي اجابة عن الاسئلة المطروحة سابقا ولهذا عمد بروفنسال في رواية البكري السابقة وخرج علينا بغرض عن نظرية جديدة في تأسيس مدينة فاس تخالف ما ذهب اليه البكري وترجع بتأسيس المدينة الى عهد ادريس بن عبد الله او ادريس الاول حين انشأ عدوة الاندلسيين . وأما عدوة القرويين فقد أسسها ادريس بن ادريس أو ادريس الثاني . أما الادلة التي يستند اليها بروفنسال فتنقسم الى قسمين :

القسم الاول : أدلة مادية :

يقول بروفنسال : " لدينا عند زمن بعيد الدليل المادي الذي يثبت أن ما ورد في كتب التاريخ أمر يحث على الريبة ولم نفقد من هذا الدليل شيئا مع انه ثابت لا سبيل الى دحضه لانه مبني على وثائق لا يرقى اليها الشك ويعنى بذلك النقود العرثخة .

(أ) في المكتبة الاهلية بباريس درهم كان قد ضرب بمدينة فاس سنة ١٨٩ هـ (٨٠٥ م) أي قبل التاريخ المتواتر عن تأسيس مدينة ادريس الثاني بسنتين وقد أشار " لافوا " الذي نشر هذه القطعة سنة ١٨٩١م الى وجود درهم آخر في متحف

" خاركوف " ضرب في مدينة فاس وعليه تاريخ سنة ١٨٥هـ وهذه الادلة قد رأى بروفنسال لاتهد بنا الى الشخصية التي أسست مدينة فاس ولكنها تقطع لنا الشك في أن ادريس الثاني ليس هو المؤسس لمدينة فاس ، وواصل بروفنسال بحثه لاثبات مؤسس مدينة فاس وتحديده ، معتمدا في تحديد مؤسس مدينة فاس على نوع آخر من الادلة يسميه بالادلة التاريخية [1] وهي عبارة عن نصوص يصفها " بانها تحيل ما افترضه الى تأكيد لانقاش فيه ولا جدال " لانها تشير في صراحة الى ان ادريس ابن عبد الله أو ادريس الاول هو مؤسس مدينة فاس .

الدليل الاول : نص لابن الابار في الحلة السيراء نقله عن الرازي : " ذكر الرازي ان ادريس بن عبد الله بن ادريس دخل سنة ١٧٢هـ في شهر رمضان لاثنين سنة ٧٨٩م وذلك بعد أن ضرب للخلاص من تعقب ابي جعفر له حيث يقف في بقعة تدعى وليله قرب وادي الزيتون حيث اجتمعت حوله قبائل البربر واتخذته زعيما لها فأسس مدينة فاس التي كان موضعها بركة مغطاة بالاعشاب " [2] .

الدليل الثاني : نص ورد في صبح الاعشى أخذ روايته عن ابي سعيد في المغرب " قال ابن سعيد في المغرب وهي مدينتان احداهما بناها ادريس بن عبد الله

---

(١) بروفنسال : نفس المرجع ص ١٥ .

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء ج ١ ص ٥٤ ـ ٥٥ القاهرة . بروفنسال . نفس المصدر ١٩٦٣

أي ادريس الاول ، أحد خلفاء الادارسة بالمغرب وتصرف بعدوة الاندلسيين والاخرى بنيت بعدها وتصرف باسم عدوة القرويين .

الدليل الثالث : نص البكري أخذه من القرطبي " وقتل اسحاق وهو القائم بسه وابيه يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة اثنين وتسعين ومائة وبعث برأسه الى المنصور مع احمد وسليمان لبني عبد الرحمن ثم نزل مدينة فاس في عدوة الاندلسيين وأقام بها شهرا وذلك سنة اثنين وتسعين ومائة . ولما كانت عدوة القرويين غياضا في اطرافها ابيات من رواغ فاوسلوا الى ادريس فدخل عندهم فأسس مدينة القرويين سنة ثلاث وتسعين " (١) .

وستدل بروفنسال بهذا النص ليثبت ان مدينة فاس كانت موسسة قبل مجيء ادريس اليها ، والا لما نزل فيها كما يشير النص(٢) .

ومناقشتنا لنظرية بروفنسال تنصب على نقطتين :

الاولى : استخدام بروفنسال لنصوص ابن عبد البكري .

والثانية : موضع رواية البكري من الصحة وعدمها .

---

(١) المغرب ص ٢٣ ا ـ الجزائر سنة ١٨٥٧م .

(٢) بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس ص ٢٠ ـ ٢٢ .

اما من استخدام بروفنسال لنصوص البكرى فنلاحظ عدة اضطرابا وتناقضا فى الرأى فمرة يخطئ رأى البكرى الذى يشير صراحة الى ان ادريس هو مؤسس مدينة فاس[1] ومرة أخرى يستخدم نصا للبكرى ليؤيد به دعواه فى ان ادريس هو الله هو مؤسس مدينة فاس[2] ويفهم من هذا ان بروفنسال يجعل للبكرى رأيين حول نشأة مدينة فاس ، والواقع خلاف ذلك فنستبعد ان يكون للبكرى رأيان متناقضان حول موضع واحد والصحيح ان البكرى أشار فى صراحة ووضوح الى أن مدينة فاس يعد وثيها قد أسست فى عهد ادريس ادريس ، اما الرأى الثانى فهو اجتهاد من بروفنسال فى تفسير النص ليوافق رأيه وهو فى رأينا تفسير لا يثبت امام الحقيقة فقد فهم بروفنسال من نص البكرى أن فاسا كانت قائمة بالفعل لان ادريس الثانى نزل اليها ليقيم بها شهرا " ثم نزل مدينة فاس فى عدوة الاندلسيين وأقام بها شهرا ، وذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة "[3] . ولو سمحنا لانفسنا بتفسير نص البكرى على النحو الذى ذهب اليه بروفنسال لا يمكننا أن نثبت أن مدينة فاس قد أسست قبل قيام دولة الادارسة ، فللبكرى نص آخر عن قدوم راشد وادريس الاول الى المغرب

---

(١) بروفنسال : المرجع السابق ص ٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ٢٣ . والمغرب : ص ٢٣ ١ .

يقول فيه : " ركب راشد في احد شقي المحمل ووضع متاعه في الشق الآخر وبقي مع الناس في القافلة ، وخرج الرجل على فرسه وحمل ادريس على فرس أخرى تمضي به في الطريق الغامضة وهي مسيرة ايام حتى تقدم الرفقة واقاما ينتظرانها حتى وردت فركب ادريس مع راشد حتى قربا من افريقية فتركا دخولها يسارا في بلاد البربر حتى انتهيا الى بلاد فاس" (١) .

واذا طبقنا طريقة بروفنسال في الاستدلال لقلنا أن مدينة فاس قد أسست قبل ادريس الاول نفسه لانه عندما جاء الى بلاد المغرب لاول مرة وصل الى بلاد فاس وظاهر نص البكري يؤيد هذا ولكن حقيقة الامر تعني أنه يقصد بفاس موضع مدينة فاس وهو ما قصده البكري في النص الذي استدل به بروفنسال اى ان ادريس الثاني وصل الى موضع مدينة فاس .

وخلاصة ما تقدم يثبت عدة أشياء :

١ــ أن نصوص البكري لا تدحض دليلا على نظرية بروفنسال .

٢ــ لا يوجد للبكري حول تأسيس مدينة فاس سوى رأي واحد وضعه بصورة لا تحتاج الى تأويل .

---

(١) المغرب ص ١٩١ .

٣ـ لجأ بروفنسال الى اجتهاد خاطئ في تفسير نصوص البكري ليؤيد بـــه رأيـــه .

بقي لنا أن نوضح النقطـة الثانية من هذه القضية وهي موقع رواية البكري مـــن الصحة وعدمها وهي نتيجة تنتهي اليها بعد أن نجيب على بواعث الشك عند بروفنسال فقـــد :

أ) تساءل بروفنسال مشككا في رواية البكري كيف استطاع ادريس الثاني بالرغم من صغر سنه تشييد مشروع ضخم كتأسيس مدينتين متباينتين في مكان واحد ؟

والاجابة على ذلك سهلة ، اذا عرفنا ان تجمعات المهاجرين والمطاريـــــين من العرب والبربر كانت تمثل رصيدا من القوة اعتمد عليه ادريس الثاني في اقامة مشـــروع كهذا وقد اعترف بروفنسال نفسه بهذه الامكانيات حين قال " وكان ادريس الثانـــي صغيرا جدا لا يحتمل وحده عبء قرار كهذا ولكنه لم يعدم مشيرين من بين خلصائـــه العرب وفي مقدمتهم وزيره عمير بن مصعب " (١) .

---

(١) الاسلام في المغرب والاندلس ص ٣٨ .

ب) لم يتضح لبروفنسال المغزى من تأسيس مدينتين متجاورتين لانهما لم تكونا حيين لمدينة واحدة لجمعهما ادريس في سور واحد وهذا التساؤل تجيب عليه رواية زهرة الآس ، والروض القرطاس بأن بناء حيين لمدينة واحدة أمر فرضته الظروف فقد هاجرت أعداد كبيرة من القيروان والاندلس الى ادريس الثاني بطليلي ، فلم تتسع المدينة لهم فقام ادريس واسس مدينة فاس بعدوتين عدوتين أنزل الوافدين عليه من الاندلس بعدوة الاندلس وانزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية منها فسميت لذلك بعدوة القرويين (١) .

جـ) ويقول بروفنسال ثالثا : لم آثر ادريس الثاني ايجاد هذا التعارض العنصري والسياسي والاجتماعي لمدينتين متماثلتين ، وهذا التساؤل فيه نوع من الغرابة فمرة نرى بروفنسال يتهم ادريس بأنه صغير السن لا يستطيع أن ينفذ مشروعا ضخما مثل عدوتي مدينة فاس ويأتي مرة اخرى فيطالبه بالرغم من صغر سنه بالحكمة حتى لا يقع في تعارض عنصري بانشاء مدينتين .

أما أدلة بروفنسال المادية بالعملة المؤرخة فان المصادر تشير الى أن ادريس بن عبد الله او ادريس الاول توفي سنة ١٧٥هـ (٢) والعملة التي يشير اليهما

---

(١) ابن أبي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ج ١ ص ٣٦ .

(٢) البكري : المصدر السابق ص ١٢٢ .

بروفنسال قد ضويت بعد ذلك سنة ١٨٩هـ ، أما رواية ابن سعيد التي استند اليها بروفنسال فيقدم القلقشندي رأيا مخالفا لها حين يذكر بعد ها قوله " وكان بنـــاء مدوة الاندلسيين سنة اثنتين وتسعين ومائة وبناء مدوة القرويين سنة ثلاث وتسعين ومائـــة " (١) .

اما رواية ابن الابار التي اخذ ها عن الرازي فاننا نشك في قيمتها التاريخيـــة لسببين الاول يقوم حول صحة نسبتها للرازي ، فقد ثبت لنا مما تقدم معرفـــة البكري وتأثره بالرازي فقد أخذ عنه كثيرا (٢) فلو كان للرازي رواية ثانية حول تأسيس مدينة فاس لاثبتها البكري بسبب ما عرف عنه من جمع للروايات المتعددة التي تـــدور حول الموضوع الواحد ، السبب الثاني ان النص المنسوب الى الرازي يحمل كثيرا مـــن الاخطاء فيختلف مع التواريخ الثبتة حول دخول ادريس بن عبد الله للمغرب ، فيذكر دخول ادريس للمغرب سنة ٢ ٧هـ والصحيح ان دخوله كان سنة ١٧٢هـ ، وبينما تورد المصادر وفاة ادريس سنة ١٧٥هـ (٣) تذكر رواية الرازي وفاته سنة ١٧٤هـ ولذلك فاننا

---

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ١٥٤ الطبعة الاميرية سنة ١٩١٥م .

(٢) البكري : جغرافية الاندلس واوروبـــا ص ١٥٥ ـ تحقيق عبد الرحمن الحجي

(٣) ابن الاثـــير : الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٩٠ طبعة بولاق .

لا نطمئن الى هذه الرواية التى استند اليها بروفنسال .

والخلاصة اننا نخرج من هذا النقاش بصحة رواية البكرى حول تأسيس مدينة فاس على يد ادريس بن ادريس وهو ادريس الثانى ، وندعم روايته بالادلة الآتية :

(أ) قصر مدة ادريس بن عبد الله أو ادريس الاول تجعلنا نشك فى تأسيسه لمدينة فاس فقد دخل ادريس الى المغرب سنة ١٧٢هـ وتوفى سنة ١٧٥هـ ففترته لا تتعدى ٣ سنوات .

(ب) احتياج ادريس بن عبد الله فى تلك الفترة للحماية من يد الخلافة العباسية التى ظلت تلاحق العلويين ، وقد وجد ادريس الاول تلك الحماية على يد قبائل اوربه فى مدينة وليلى ، ولذلك نستبعد ان يخاطر ادريس بنفسه وبنفوذه فى مدينة تعرض حياته للخطر .

أما اخبار الفتح العربى لمدن المغرب فانها جاءت مفرقة فى تضاعيف كتاب البكرى وناشئ عن ذلك صعوبات كثيرة فى تتبع تلك المادة بسبب صعوبة العثور عليها [1] وقد اعتمد البكرى فى اخبار الفتح العربى لتلك المدن على مصادر متعددة اهمها ابن

---

(١) مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ٣٠٦ مدريد ١٩٦٧م .

عبد الحكم والليث بن سعد وابن لهيعة ، والرغم من اعتماده الكثير بروايات ابن عبد الحكم واصله الليث بن سعد وابن لهيعة الا ان ذلك لم يسيطر على شخصه فرأيناه يرجح آراء غيرهما من ذلك انه يجعل لمعاوية بن خديج غزوة واحدة لافريقية تمت سنة ٤١هـ[1] ، في حين يجعل ابن عبد الحكم لمعاوية ابن خديج ثلاث غزوات على افريقية سنة ٣٦هـ ـ سنة ٤٠هـ ـ سنة ٥٥ هـ[2] ، وعلى الرغم من صعوبة العثور على معلومات البكري التاريخية حول أخبار الفتح العربي لمدن المغرب فان تفرده بروايات عن الفتح لم ترد عند غيره ، تجعل لمادته أهمية تدفع الدارس الى بذل الجهد في استخلاصها ومناقشتها ، ومن تلك الروايات التي انفرد بها البكري ما ذكره عن فتح العرب لقرطاجنة فقد حدث خلاف كثير بين المؤرخين خلطوا فيه بين فتح العرب لقرطاجنة في الحملة الاولى لحسان سنة ٧٤هـ وفتحها الثاني سنة ٧٩هـ فلم يفرقوا بين الصلح والعنوة[3] ، ولكن البكري وضح برواية انفرد بها امرين :

أولهما : ان الصلح كان في الحملة الاولى لما كان مكر صاحب قرطاجنة أيضا بحسان بن النعمان فان الروم لما غزوا عنها وقفى عليها مرتاق صاحبها ليرى ما

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٥٨ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٦١ ـ مطبعة لجنة البيان العربي .

(٣) سعد زغلول : المغرب العربي ص ١٩٤ .

الا أعله بعث الى حسان هل لك أن تعاهدنى وولدى وتقطع لنا قطائع اشترطها عليك وافتح لك بابا فتدخل المدينة على من فيها فأجابه الى مسألته واشترط عليه المنازل التى بين الجبلين التى يقال لها فحص مرناق وهى اذ ذاك ثلاثمائة وستون قرية ثم فتح لهم الباب فلم يجدوا أحدا بها غيره وغير ولده وأهله فتم له حسان ما اشترطه "أى صالحه" وانصرف الى القيروان [1] ويثبت هنا ان صلحا حدث ولم يحدث تخريب واما فى الرواية الثانية فيشير الى ان الروم شنوا حملة بحرية مفاجئة على من كان بقى من المسلمين فقتلوا وسبوا" [2] . وكان هذا سببا فى الحملة الثانية التى فتحت بسببها قرطاجنة عنوة .

اما ترتيب الكرى للمدن المفتوحة فانه لم يرد على حسب زمان فتحها واذا جاء بحسب الترتيب المكانى وتقدمه فى المسالك التى يمر عليها وتمثل تلك بالمدن التى فتحها معاوية بن خديج فى حملته على افريقية فقد وردت تلك الاماكن فى كتاب البكرى مرتبة على النحو الآتى :

(أ) جميد (ب) جلولاء (جـ) سوسة (د) بنزرت (هـ) تونس ، بينما فتحت هذه المدن على ترتيب يختلف ترتيب البكرى واذا أردنا وضعها فى ترتيب زمنى وفق ترتيبها تأتى سيأتى على النحو الآتى :

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ٣٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(أ) قمونيـــه ، (ب) سوســـة (جـ) جلولاء (د) بنزو (و)جربه.

ويمكن للدارس أن يستفيد من مادة البكرى التاريخية حول فتح المدن بمحاولة تلخيصها من تضاعيف الكتاب وترتيبها بعد جمعها ترتيبا يكشف عن أهميتها ، وذلك بوضعها حسب البعد الزمنى للفتح وبذلك تصبح وثيقة تاريخية مهمة وخالصة مـــن العروب ومثل لذلك بنموذج قمنا بترتيب مادته حسب البعد الزمنى للفتح ، وهـذا النموذج مأخوذ من فتوحات معاوية بن خديج ويبدأه البكرى بالاشارة الى بلد قمونيه بالرغم من أنه لا يشير الى تاريخ فتحها لانه يحدد لنا مختصرا ، نيقول بأنها كانت قريبة من القيروان : " ومنها يحمل التين بيعا الى القيروان " [1] وهذا يصحح مـــا ذهب اليه ابن عبد الحكم حين وضعها فى مكان القيروان [2] .

وقد أيدت المصادر ما ذهب اليه البكرى فذكر ابن خرداذبه أن قمونيه فى موضع القيروان على ألفى ميل ومائة وخمسين ميلا [3] ، وعندما سمح البيزنطيون بالفزو العربى لافريقية أرسل الامبراطور البيزنطى بطريقا من بطارقة الروم يدعى نقفور لمواجهـــة

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ٧٥.

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٠ــ٢٦١ لجنة البيان العربى ١٩٦١

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٩١ مطبعة بريل ١٨٨٩م.

الغزو فأرسل له معاوية ابن خديج جيشا بقيادة عبد الله بن الزبير حتى نزل بمكان يقال فانهزم البيزنطيون وتحصنوا بمدينة سوسة ، وفي ذلك يقول البكري : " وكان معاوية بن خديج قد بعث اليها عبد الله بن الزبير في جمع كثيف وكان بلغه أن بقفوا بطريقا من بطارقة الروم اقتتلوا معهم في ثلاثين الف مقاتل فنزل بذلك الساحل فسار عبد الله حتى نزل صرفا عاليا يشرف منه البحر ، بينه وبين سوسة اثنا عشر ميلا ، فلما بلغ ذلك بقفوا ورجع الى مراكبه وصدر عن ذلك الساحل فركب عبد الله بن الزبير في جيشه حتى بلغ البحر ، فنزل على باب مدينة سوسه وحمل عليهم فانكشفوا عنه فهزمهم ورأيا أدبارهم "(١) . وبعد أن افتتح معاوية سوسة أراد ان يحقق غرضين مهمين ، فقد وجد نفسه امام قوتين بيزنطيتين الاولى معاقل البيزنطي غربه والثانية الروم في شماله ، فاختار معاوية بن خديج عبد الملك بن مروان ليتجه غربا صوب البربر بينما اتجه بنفسه شمالا ، وقد اتجهت حملة الغرب بقيادة عبد الملك بن مروان لتكسر شوكة القوى البربرية حتى وصلت الى حصن جلولاء يقول البكري : " ومن القيروان الى مدينة تجاولاء اربعة وعشرون ميلا ... وفتح مدينة جلولاء كان على يدي عبد الملك ابن مروان وذلك انه كان مع معاوية التجيبي في جيشه فبعثه الى مدينة جلولاء في الشرجل فحاصرها فلم يصنع شيئا فانصرف راجعا "(٢) وبالرغم من فشل عبد الملك في

---

(١) البكري : نفس المصدر ص ٣٤ـ٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١ـ٣٢ .

اقتحام الحصن فان طول حصاره له ومحاولة اقتحامه أثر فيجد ران ذلك الحصن وجعله أيلا للسقوط ، وقد انهار بعد ذهابه عنه يقول البكري: " فلم يسر الا يسيرا حتى رأى في ساقه الناس غبارا شديدا فظن أن العدو يتبعهم فكر جماعة من الناس لذلك وقفى من بقي من مصافهم فاذا بمدينة جلولاء قد تساقط من سورها حائط قد ظهـــــرا المسلمون وغنموا ما فيها " (١) .

وبينما يجعل البكري فتح مدينة جلولاء على يد عبد الملك بن مروان يتردد مؤرخ كابن عبد الحكم بين عبد الملك بن مروان ومعاوية بن خديج (٢) ، مما يدل علـــى أن البكري لا ينقل حرفيا عن ابن عبد الحكم ولكنه يأخذ بالرأي الذي يرتضيه وغير البكري في هذا الفتح الى خلاف وقع بين معاوية بن خديج وعبد الملك بن مروان حول قسمة الغنائم فيرى معاوية بن خديج الا تكون الغنيمة خاصة بالجند الذين اقتحموا الحصن فحسب بل تقسم على كل الجيش واحتدم الخلاف بين الطرفين حتى انهم كتبـــــوا لمعاوية بن ابي سفيان بتقسيم الغنائم على عامة الجيش يقول البكري: " فاختلـــف الناس في الغنيمة فكتب في ذلك الى معاوية فراجع يقول ان العسكر رده للسرية تقسم الفيء بينهم فاصاب كل رجل منهم لنفسه مائتي درهم وللفرس سهمان ، قال عبد الملك فاخذت لنفسي وللفرس ستمائة درهم واشتريت بها جارية " (٣) .

---

(١) البكري: المصدر السابق ص ٣٢ـ٣٣ .
(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٦١ لجنة البيان العربي .
(٣) البكري: المصدر السابق ص ٣٢ .

وينفرد البكرى برواية توضح جذور الخلاف بين معاوية بن خديج وعبد الملك بن مروان فيذكر أن معاوية بن خديج حاول وهو جنده فتح حصن جلولاء وكان يحارب اهل جلولاء فى منتصف النهار اثناء باب المدينة وينصرف عنهم وقد نسى عبد الملك قوته معلقة على شجرة فلما رجع اليها وجد سورا من المدينة قد انهدم فاستدعى جنده الى المدينة فهزمها واستولى على غنائمها للجند الذين معه باعتبارهم باشروا الفتح ولكن ذلك السلوك لم يرض معاوية بن خديج ومن معه من الجند فقد بذلوا جهدا فى فتح المدينة وظلوا يترددون على حربها فى منتصف كل نهار فهم شركاء فى هذا الفتح لانهم اوهنوا قوة السور بحملاتهم المتكررة فهم على ذلك يستحقون القسمة فى الغنائم وان فاتهم حضور الفتح الفعلى لجلولاء على يد عبد الملك بن مروان ، يقول البكرى : " وقال ملن نازلها معاوية بن خديج فكان يقاتلهم على باب المدينة صدر النهار فقاتلهم يوما فلما انصرف اليها فاذا جانب من المدينة قد انهدم فصاح فى آخر الناس فرجعوا فقد رواثبهم شديدة فظنوا ان العدو قد ضرب فى ساقتهم فغنموها "[1] .

وينفرد البكرى ايضا برواية أخرى لا نجدها عند بقية المؤرخين توكد استمرار العداء بين معاوية بن خديج وعبد الملك بن مروان بالرغم من انتصار معاوية بن أبى سفيان لمعاوية بن خديج على أحد افراد البيت الاموى وهو عبد الملك بن مروان ، يقول

---

(١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٣٢ـ٣٣ .

البكري: " قالوا ولما كان من عبد الملك بن مروان ما كان ومنازعته لمعاوية بن خديج على عيشها ثقل على معاوية بن خديج فكان يتجهمه ولا يقبل عليه فرأى حنش الصنعاني عبد الملك بن مروان وهو متفكر متغير اللون فقال له: ما شأنك فقال: اني أبعد قريش مجلسا من الامير" (١).

ويبدو أن استمرار الخلاف بين معاوية وعبد الملك بن مروان يعود الى اعتقاد معاوية بن خديج في أنه القائد والامير وأن عبد الملك لم يأتمر برأيه الا بعد ان اتته الاشارة من معاوية بن ابي سفيان لينصاع فيقبل قسمة الغنائم على كل الجيش. ويظهر من عرض البكري لهذه الحادثة صلابة شخصية عبد الملك بن مروان باعتباره أحد أفراد البيت الاموي وأن معاوية بن خديج مهما فعل لا يمكن أن يكون فردا مخلصا أدى خدمات جليلة للبيت الاموي ولذلك تنبأ الناصر بالامر لعبد الملك بن مروان.

يقول البكري: " ان حنشا قال لعبد الملك بن مروان عندما رآه يفكر في خلافه مع ابن خديج " لاتفتم والله لتلين الخلافة وليصيرن هذا الامر اليك " (٢). وهذا ما دعا عبد الملك بالوفاء لحنش الصنعاني عندما أسره مساندا في الحرب لعبد الله بن الزبير. يقول البكري: " فلما افضت الخلافة الى عبد الملك بعث الحجاج لقتال عبد الله

---

(١) البكري: نفس المصدر السابق ص ٣٣.
(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها.

ابن الزبير فأخذ حنشا الصنعاني أسيرا فبعث به الى عبد الملك فقال له ألست الذي بشرني بالخلافة ؟ قال " بلى " قال فلم ملت علي الى ابن الزبير؟ قال رأيته يريد الله ورأيتك تريد الدنيا فملت اليه عنه وأطلقه " (١) .

اما حملة معاوية بن خديج التي اتجهت شمالا فقادها معاوية بن خديج بنفسه واتجهت صوب بنزرت يقول البكري في اخبار فتحها " واقتتحها معاوية بن خديج سنة احدى واربعين وكان معه عبد الملك بن مروان " (١) .

وتكشف رواية البكري عن فتح بنزرت تلك المعاملة الحسنة التي لقيها سكان البلاد المفتوحة من العرب ، يقول البكري عن عبد الملك بن مروان : " فشد رجل من الجيش فمر بامرأة من العجم من اهل بنزرت فسقرته واكرمت مثواه فشكر ذلك لها فلما ولي الخلافة كتب الى عامله بافريقية في المرأة وأهل بيتها فاحسن اليهم واظهر التعظيم لهم " (١) .

وقد رد الدارسون بهذا النص للبكري على المؤرخين الذين صوروا صفات النهب والسلب في فتوحات المسلمين . (٢)

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ٣٣ .

(٢) مؤنس : فتح العرب للمغرب ص ٢٥١ .

ومن المدن التي فتحها ابن خديج جزيرة جربة[1] فقد استخلف ابن خديج ربيع الانصاري وتركه على طرابلس فقام ربيع بفتح جزيرة جربة . يروي البكري عن فتحها قول حنش بن عبد الله الصنعاني غزونا مع رويفع بن ثابت الانصاري المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربه فقام فينا خطيبا فقال " ايها الناس لا أقول فيكم الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يوم خيبر . قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسقي ماءه زرع غيره يعني اتيان الحبالى من السبي "[2] .

ويتضح من تتبع مادة البكري اشتمالها على قصص وأساطير تتصل بالفتح العربي ، وعلى تلك القصص لا يصلح ان يؤخذ كحقيقة تاريخية يعتمد عليها ، ومثل لذلك بما أورده البكري عن حملة عبد الله بن الزبير عندما اوفده معاوية بن خديج لتتبع الروم في سوسة عاصمة القيروان وكان جيش الروم كما تشير رواية البكري يقدر بثلاثين الفا ، ولكن هذه الكثرة لم يهتم بها ابن الزبير فأقبل يصلي العصر على مرآى من

---

(١) تقع جزيرة جربة في شرقي تونس وبينها وبين البر مسافة قريبة يعبر اليها بالزوارق وتشتهر بالزيت والزبيب والرطب والتفاح والاكسية . ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ١٤٩ ـ بيروت ١٩٧٠م .

(٢) البكري : المغرب ص ١٩ .

العدو وصد صلاته هجم عليهم وهزمهم وخص البكري على ذلك بقوله " وبين القيروان الى مدينة سوسة ست وثلاثون ميلا وكان معاوية بن خديج قد بعث اليها عبد الله بن الزبير في جمع كثيف وكان بلغه ان نفقوا بطريقا من بطارقة الروم أنفذه ملكهم في ثلاثين الف مقاتل فنزل بذلك الساحل فسار عبد الله حتى بلغ عرفا عاليا ينظر منه الى البحر بينه وبين سوسة اثنا عشر ميلا فلما بلغ ذلك نفقور رجع الى مراكبه وصدر عن ذلك الساحل فركب عبد الله بن الزبير في جيشه حتى بلغ البحر ونزل على مدينة سوسة وانحط عن فرسه وصلى بالناس صلاة العصر والروم يتعجبون من أمره وقلة اكتراثه بهم فاخرجوا اليه جمعا فيهم كثير من كما تهم رجالا وركبانا فزحفوا اليه وهو مقبل على صلاته لا يروعه ذلك ولا يهوله حتى اذا قضى صلاته شد على فرسه فركبه وحمل عليهم فانكشفوا عنه فهزمهم وولوا ادبارهم حتى لجأوا الى مدينتهم وانصرف عنهم " (١).

فالبطولة الاسطورية التي يضفيها البكري على شخص عبد الله بن الزبير جعلت الدارسين يرفضون روايته يقول مؤنس ينسب البكري الى ابن الزبير أمورا لا تزاع فيها مخطئة كقوله ان العدو هاجمه وهو يصلي العصر فلم يكترث له واكمل صلاته ثم هجم عليهم فهزمهم " (٢).

---

(١) البكري: نفس المصدر ص ٣٥ .

(٢) مؤنس : فتح العرب للمغرب ص ٢١١ .

أما النوع الثانى من روايات البكرى فيمكن اخذه كحقيقة تاريخية بعد أن تعطى تلك الروايات التفسير الحقيقى الذى يناسبها لانها موهمة وتتضمن احتمالات كثيرة فربما يفسرها الدارس تفسيرا يوقعه فى الخطأ ومن ذلك ما أورده البكرى عن الصلح الذى عقده عمرو بن العاص مع أهل برقة ، وفيه أن عمرو بن العاص فرض على أهل برقة ثلاثة عشر الف دينار وأن يبيعوا ابناءهم لتسديد تلك الجزية، يقول البكرى: " كتب عمرو بن العاص على لواته فى شرطه عليهم ان تبيعوا ابناءكم فيما عليكم من الجزية " [1] . ولا يمكننا قبول هذه الرواية على ظاهرها لان برير لواته كرهوا حكم البيزنطيين الجائر وتعسفهم فى جمع الضرائب وارادوا الخلاص منهم على أيدى العرب[2] .

وظاهر نص البكرى يدل على أن العرب سلكوا نفس التعسف فى جمع الاموال لاجبارهم لواته على بيع الابناء ، وقد استبعدنا هذا الاحتمال لانه يوقعهم فى المسلك الذى اتهمه البيزنطيون واذن فلابد من تفسير يتفق مع النص ويتمشى مع واقع الاحداث والتفسير المعقول لتلك الرواية ما أورده الاستاذ حسين مؤنس من " كتابة الشروط المشار اليها انما كانت بعد التراضى والتفاهم على طريقة الاداء " [3] .

---

(١) البكرى : المغرب ص ٥٥ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ١٤٣ .
(٣) مؤنس : المرجع السابق ص ٥٦ .

ونميل الى الاخذ بهذا التفسير المعقول لامرين اولهما شرط مرء الابناء وبيعهم امر غير مألوف عند العرب[1]. وثانيهما ان اهل برقة باد روا بتقديم الولاء للجيش العربي طائعين مختارين[2] ومن الروايات التي تتطلب تفسيرا مناسبا للواقع التاريخي ما أورده البكري من قصص كثيرة حول حملة عقبة بن نافع الاولى سنة ٤٦هـ فقد خلا ها تكشف عنه تلك الروايات من حقائق انفرد بها البكري من جهل عقبة بجغرافية تلك الجهات التي يفتحها واعتماده على سؤال اهل البلد التي يفتحها عن البلاد التي تليهم ، فقد ضمن البكري رواياته قصصا تهدد ومتنافية مع طبيعة القائد المسلم ، فيروي البكري أن عقبة بن نافع أدب ملوك الجهات التي فتحها بالرغم من الطاعة التي ابدوها والتسليم له ، فعلم اذن ملك " ودان " وانزل ملك جربه من هليته وأدماه على الارض حتى يصق الدم من فمه " ، واخذ ملك قصر كوار فقطع أصبعه ، يقول البكري : " سار - أي عقبة - بنفسه فيما ربعمائة فارس واربعمائة بعير وثمانمائة قربة ماء حتى قدم ودان فافتتحها وأخذ ملكهم فجزع اذنه ثم سألهم عقبة ، هل وراءكم أحد ؟ قالوا جربه وهي مدينة فزان العظمى فسار اليها ثماني ليال من ودان فلما دنا منها أرسل فدعاهم الى الاسلام فاجابوا فنزل فيهم على ستة اميال وخرج ملكهم

---

(١) الزاوي : فتح العرب لليبيا ص ٣١ دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣م .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ١٤٣ .

يزيد عقبة وأرسل عقبة خيلا حالت بينه وبين مركبه فانهزم راجلا حتى أتى عقبة وقد لقب " راعى " وكان ناعسا فجعل يمسح الدم ثم مضى عقبة من فوره الى قصور فزان فافتتحها قصرا قصرا حتى انتهى الى اقصاها وفيه ملكها فأخذه وقطع أصبعه ثم سألهم هل بقى من وائكم أحد فلم يعلموا من وائهم احدا فكر راجعا الى قصور جاوان " (١) .

والحقيقة انه اذا لم توضع تلك الروايات فى وضعها الحقيقى فان الملك يخالج الدارس فى تصديقها لانها تخالف طبع القائد المسلم ولكننا نعلم أن المسلمين قد جروا فتح هذه الجهات قبل عقبة وقعوا مع أهلها المعاهدات والزموهم فيها بالجزية ولم يوقعوا عليهم أى عقاب بدنى ، وكان نتيجة هذه المعاملة الحسنة أن نقض اهل تلك البلاد العهد بينهم وبين المسلمين ففى ايام عمرو بن العاص قام بسر ابن أبى ارطاة بغزو " ودان " سنة ٢٢ هـ ووقع معهم معاهدة وفرض عليهم جزية يؤدونها للمسلمين ولكنهم نقضوا عهده وبعثوا أداء الجزية فجاء عقبة بن نافع ليستفيد من تجربة بسر مع أهل تلك البلاد فاشتد فى أدب ملوكهم حتى لا ينقضوا العهد واصطحب معه بسر بن أبى ارطاة الى ودان وقطع أذن ملكهم بيده فمنعه من نقض العهد ويظهر ذلك من سؤال الملك لصقة " لم فعلت هذا وقد عاهدتنى المسلمون قال : اديا لك اذا سمعت اذنك ذكرت فلم تحارب العرب " (٢) .

---

(١) و(٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٣ .

ومما يدل على ان عقبة وبطء بين تجربه بسر فى فتح وان وفتحه هو لتلك البلاد انه طالبهم بما التزموا به لبسر يقول البكرى " فاستخرج منه ماكان بسر فرض عليه ثلاثمائة رأس وستين رأسا " (١) .

والخلاصة ان البكرى أثبت قسوة عقبة بن نافع مع أهل البلاد المفتوحة بحسب الواقع التاريخى للاحداث ، لكنه أشار الى أن عقبة كانت له اهداف من وراء سياسة القسوة وبذلك لم يحقق اهدافه التى رمى اليها من وراء سياسة القسوة التى أتبعها ، وقد أدرك أبو المهاجر خطأ عقبة فى اضطهاده لكسيلة زعيم البربر فنصح عقبة بقوله : " اصلح الله الامير ، ما هذا الذى صنعت ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف جبابرة العرب كالاقرع بن حابس التميمى وعيينه بن حصين وانت تجىء الى رجل هو خيار قومه فى داره قريب عهد بالكفر فتفسد قلبه ، فوثق من الرجل ، فانه ان خاف فتك " (٢) .

وقد دفعت هذه القسوة أهل البلاد المفتوحة الى الخروج على طاعة المسلمين بقيادة كسيلة ، وتوفك رد ود عقبة - التى أوردها البكرى - ردا منه على ملوك البلاد المفتوحة انه لم يقم بتلك السياسة طلبا فى التقشف وانما هى علامات يذكرها الملوك فلا ينقضوا العهد بينهم وبين المسلمين كما فعلوا من قبل مع بسر بن أبى أرطاه فحسبى بجوبه يقول البكرى فى حوار بين الملوك وعقبه ان ملك جوبه قال له " لم فعلت

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ١٣ .

(٢) محمود عيد خطاب : عقبة بن نافع ص ١٤٧ القاهرة ١٩٧١م .

هذا وقد اتيتك طائعا قال عقبة أدبا لك اذا ذكرت لم تحارب العرب وفرض عليه ثلاثمائة وستين عبدا " (١) .

وكذلك رد عقبة على ملك قصر كزار حين قطع أصبعه فسأل عقبة " لم فعلت هذا بي قال أدبا لك اذا أنت نظرت الى اصبعك ذكرت فلم تحارب العرب " (٢) .

---

(١) و(٢) البكري : المصدر السابق ص ١٣ .

الفصل السابع

الفصل السابع

**

القسم الاول

ممالك السودان

**

(أ) تمهيد .

(ب) الزنج : الهجرات الاولى لشعوب الممالك السودانية — تعدد قبائل الزنج — مكانهم — نشاطهم التجارى — توقف مادة البكرى عند بلاد سفالة جنوبا — دور البكرى فى الكشف عن عصر الحديد فى أفريقية — الزراعة والنباتات فى بلاد الزنج — اتصاف الزنج بالبلاغة الخطابية — ظاهرة اهتمام البكرى بالاعلام ووقوفه عند لقب ملك الزنج — حجم جيش الزنج وقوته — التفاعل الحضارى بين افريقية وآسيا فى عهد الزنج .

(ج) النوبة : الاشارة الى ملكتى النوبة (المقرة وعلوة) — اعتماد البكرى على المسعودى — قلة العناية بجغرافية السودان الشرقى — اثر البيئة الطبيعية فى ملكتى النوبة على السكان — أصل النوبة — ديانتهم — احوال النوبة الاقتصادية — العادات والتقاليد — علاقة النوبة بالدولة الاسلامية — مراحلها — آثارها — ظاهرة الخلط التاريخى عند البكرى .

(د) البجاة : مساكنهم — استخفاف المسلمين بامرهم — غارات البجاة على بلاد النوبة وموقف المسلمين — ثورة جديدة من المسلمين نحو البجاة — أول مصادمات المسلمين مع البجاة — انتشار الاسلام فى بلاد البجاة — تكرار ظاهرة الخلط التاريخى — أصل البجاة —

دياناتهم قبل الاسلام •

(هـ) الحبشة : اختلاف المؤرخين فى تناولهم لمادة الحبشة — مقارنة لكتابات اليعقوبى والبكرى — اهتمام البكرى بالاسلام وتوفره عند لقب النجاشى — اصل الحبش الاوائل — علاقات الحبشة بجنوب الجزيرة العربية — ذو نواس صاحب الاخدود — تأثير حملات المسلمين على بلاد الحبشة — العلاقات التجارية لبلاد الحبشة — العادات والتقاليد •

(و) الممالك النوبية : أهمية مادة البكرى عن السودان الغربى — صنفاته أول بلاد السودان شمالا وصلتها ببربر جداله — بلاد تكرور — البلاد المضافة لبلاد تكرور ووصف البكرى لها — الممالك الواقعة بين دنقلى ومملكة غانة — مالى وقصة دخول ملكها الاسلام — اهمية مادته عن كوكو — اهل أهل كوكو وتجارتهم — ذكر الكانم ومقصها — معتقداتها — قصة وصول طوائف الامويين لارضها •

(أ) تمهيد :

عدلت المخطوطات التى وصلت الينا أخيرا اعتقاد بعض الدارسين بشأن اقتصار البكرى فى كتاباته على تاريخ غرب افريقية فقط • ولم يعرفوا له أى آثار تاريخية عن شرق افريقية • وقارنوا بين كتابات البكرى ليكتشفوا أن " المسعودى خدم المعرفة فى شرق افريقية على النحو الذى فعل البكرى • حين كتب عن ممالك السودان القديمة

قبل صاحبه بمائة عام" (١) .

وهذا زعم خاطئ ، والحقيقة أن البكرى لم يسبق المسعودى من الناحية الزمنية .. فالبكرى عاش فى القرن الخامس الهجرى بينما عاش المسعودى فى القرن الرابع الهجرى ، والواضح أن البكرى اعتمد على المسعودى فى آثاره العلمية عن شرق افريقية ، ولذا فمن الضرورى أن نعرض لكتابات البكرى عن ممالك الزنج ، والنوبة ، والبجه ، والحبشة ، حتى يمكن اثبات أن المسعودى لم يفضله فى هذا الجانب اللهم الا من زاوية أخرى ، وهى أن كتابات المسعودى وملاحظاته شاهد عيان ، على حين أن البكرى يعتمد على القراءة والسماع ، ثم ان المسعودى وضع أمام البكرى أخبار ممالك السودان بعد قيامه برحلات الى افريقية الشرقية ، وسوف يظهر من خلال دراسة مادة البكرى ، أنه أورد اسم المسعودى ليعترف له بالفضل فى امداده بتلك المعلومات ، ثم انهمنا هذه الدراسة بما كتبه البكرى عن السودان الغربى ، وذلك باستثناء دولة غانة التى سبق الحديث عنها فى الفصل الثالث ، وبذا تكون الدراسة قد كشفت عن جهود البكرى فى تاريخ ممالك السودان ، وقد لاحظنا أنه تعرض فى اشارته عن السودان الغربى الى مدن وممالك قامت فى حوض النيجر والسنغال ولم نجد لها ذكرا فى الخرائط التى رسمها الجغرافيون للعالم الاسلامى (٢) ، وبما

---

(١) باذل داقدس : افريقيا تحت اضواء جديدة ص ٢١٦ ، ترجمة جمال محمد احمد دار الثقافة بيروت ـ بدون تاريخ .

(٢) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٧٣ .

استطاع دارس الجغرافية التاريخية أن يهتدى الى تحديد مواقعها على الخريطة مستعينا بوصف البكرى للمدن ، وما كتبه الجغرافيون عنها . وقد قام منهج الدراسة فى هذا الفصل على دراسة ممالك " الزنج والنوبة والبجاة والحبشة " [1] ثم الممالك الغربية التى تبدأ بمدينة ميناته ، والقسم الثانى من هذا الفصل عبارة عن ملحق كامل عن ممالك السودان فى مخطوطات البكرى عنى البحث بتحقيق نصوصها تحقيقا علميا ، ويشمل هذا الملحق ما أورده البكرى عن ممالك السودان فى كتاب المسالك والممالك ، ولعل هذه النصوص تجىء اسهاما فى نشر تراث البكرى ، وهو التراث الذى نشرت بعض اجزائه على أن القسم الخاص بممالك السودان لم تسبق دراسته . ومن هنا وقع الاختيار عليه ليضاف الى الجهود التى تبذل لجمع شتات المكتبة العربية السودانية .

ولما كان الدارس أحد أبناء السودان فان هذا التحقيق يلبى الحاجة التى تسعى اليها الجهة التى أعدته لتشجيع العمل فى حقل الدراسات السودانية .

---

(١) فضلت استعمال النصوص العربية الواردة فى كتاب المكتبة العربية السودانية للاستفادة من نصوصه المضبوطة والشروح الواردة فى الحواشى لتوضيح الالفاظ والمصطلحات وقد سهل مهمتى فى الرجوع بتلك النصوص الى أصولها .

وقد اعتمدت في تحقيق هذا النص على ثلاث مخطوطات كتبت أقدمها في القرن السابع الهجري ، منها مخطوطة مكتبة محمد المنوني بالرباط ، وهي أقرب الى الكمال من مخطوطتي نورعثمانية و" لاله لي " فقد سقطت أجزاء كثيرة من هاتين المخطوطتين ، وهي تمثل أقدم مخطوطات البكري ، ومن هنا اعتبرت نسخة مكتبة " محمد المنوني " المذكورة هي الاصل ورقمها ٤٩ وفضلت أن أشير اليها بكلمة الاصل .

أما المخطوطة الثانية التي اعتمدت عليها ، فهي مخطوطة مكتبة نورعثمانية باسطنبول وتاريخ نسخها ٨٥١هـ وقد تضمن هذا المخطوط تحريفات كثيرة أشرت اليها في التحقيق ، ورمزت اليها بالحرف (ن) وسقطت أجزاء كثيرة من هذا المخطوط أشرت اليها في مواضعها من التحقيق ورقم هذا المخطوط ٣٠٤٣ .

والمخطوط الثالث هو مخطوط مكتبة لاله لي اسطنبول ، ورمزت له بالحرف (ل) ويعد ومن مقارنته مع مخطوط نورعثمانية قلة الخلاف بينهما ، مما يدل على أن أصلهما واحد ، غير أن مخطوط نورعثمانية اكثر وضوحا من لاله لي ، ورقم هذا المخطوط ٢١٤٤ وتاريخ نسخه ٦٣٧هـ ورمزه (ل) .

أما بقية مخطوطات كتاب المسالك والممالك فلم استفد منها في تحقيق هذا النص اذ لا يوجد فيها ما يتعلق بممالك السودان وقد اعتمدت لينا على ما نقله

أبو عبيد البكرى عن المسعودى فى كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وكتاب التنبيه والاشراف ، وكذلك على نقوله من ابن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر والمغرب، فاعتبرت النقل الحرفى من تلك المصادر جزءا من الكتاب دعانى الى مقابلة نصوصه مع تلك المصادر لاكمال ما سقط فى مخطوطات كتابه .

وهناك عدة ملاحظات على هذا النص نثبتها هنا :

أولا :

يتضمن النص ذكر أربع ممالك من ممالك السودان وهى الزنج ، والنوبة ، والبجاه ، والحبشة .

ثانيا :

يعتبر المسعودى من أهم مصادر البكرى عن هذه الممالك .

ثالثا :

نلاحظ فى النص الذى بين أيدينا اختصار البكرى لاسماء المصادر ، فيشير للمسعودى بالحرف (س) وتوجد مصادر أخرى غير محددة مثل قوله قال (غير س) ، ويذكر مصادر التى بها وأخذ عنها مشافهة ، مثل قوله : حدثنى غير واحد وأخبرنى جماعة من الثقات . ومصدر مصادر البكرى شهود عيان مثل قوله ذكر بعض المصريين أنه

قرأ فى بعض الدواوين ، وأن بعض النساء المجاورات بمكة رأين ذلك وشاهدنه .

رابعا :

ورد فى نص البكرى الذى بين أيدينا عبارات كثيرة تدل على الخلط التاريخى فينقل عن المسعودى دون أن يشير الى اسمه ، وورد عبارة المسعودى بصورة مجسمة تكاد توقعنا فى الخطأ ، فقد نظن أن بعض العبارات خاصة بزمن البكرى مثل قوله : " وهى جارية الى الآن " ، " وصاحب المعدن فى وقتنا هذا من المسلمين أبو مروان بشر بن اسحاق " على حين انها لا تنطبق على زمنه وهى تنطبق على الواقع التاريخى أيام المسعودى .

خامسا :

تشيع الاساطير والخرافات فى النص الذى بين أيدينا مما يقلل من قيمة النص العلمية ، مثال ذلك : ما ذكر البكرى أنه فى أقاصى بلاد الحبشة قوم يمشون على أربع كالدواب لا تطول أعمارهم .

ممالك السودان عند البكرى

أورد البكرى فى كتاب المسالك والممالك أربع ممالك فى السودان ، وهى : ممالك الزنج ، والنوبة ، والبجاه ، والحبشة ، وبهذا مادة البكرى عن هذه الممالك يتحدث عن الهجرات الاولى لها ، ويوضح كيف أن أولاد كوش اتجهوا يمينا بين الشرق والغرب ، حيث استقر النوبة والبجة والزنج والحبشة ، فى الجزء الشرقى والاوسط من افريقية ، يقول البكرى : " صار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ، ثم افترقوا ، فصارت طائفة الى الشرق وطائفة الى المغرب ، فمن الشرقيين النوبه والبجاه والزنج والحبشة " (١) .

وقد رد البكرى عن هذه الهجرات اقوال مؤرخى العرب امثال اليعقوبى (٢) ، والمسعودى (٣) .

---

(١) مخطوط مكتبة المتحف ، الرباط رقم ٤٩ ملحق ممالك السودان ص ٢٨٧ .

(٢) تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢١٦ طبعة ليدن ١٨٨٣هـ .

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢ نشر ديمنار ودى كورتل باريس ١٨٦٦-١٨٦٧م - وكذلك طبعة الازهر سنة ١٣٠٣ هـ ، ج ١ ص ١٦٣ .

ومن ناحية أخرى فان الدارسين لم يجدوا ما يطمئنهم الى ربط أصل تلك القبائل بولد كوش أو غيره [١] .

اما أهل ممالك السودان ذكرا عند البكرى ، ملكة الزنج [٢] وهم - كما يفهم من كتاباته - قبائل متعددة ومختلفة ، يشير اليهم البكرى بقوله : " والزنج أصناف منهم مكيس وبربرا وهم غير البربر والمشكو وغيرهم " وهو فى ذلك يعتمد على المصدر الذى سبقه الى القول بأن الزنج ليسوا أمة واحدة ، بل هم قبائل شتى وشعوب مختلفة ، فمرة يشير اليهم بكلمة السود ومرة أخرى يقول بعض السود [٣] .

يعيش الزنج فى المساحة الممتدة مابين القرن الافريقى وموزمبيق ، وتنتهى مساكنهم الى مدينة سفالة ، يقول البكرى : " وقطعت الزنج دون سائر الاحابيش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذى يصب الى بحر الزنج ، فسكنت فى ذلك الصقع واتصلت مساكنهم الى بلاد سفاله " [٤] .

---

(١) الشاطر البصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ص ٣٥٧ - القاهرة ١٩٧٢م .

(٢) قامت مملكة الزنج فى القرن العاشر الميلادى وامتدت حتى القرن السادس عشر وكانت عاصمتها كلوه ، صلاح العقاد زنجبار ص ١ الالف كتاب رقم ٢١٩ .

(٣) ياذل دافدسن : افريقيا تحت اضواء جديدة ، ص ٢١٧ .

(٤) البكرى : مخطوط مكتبة لاله لى رقم ٢١٤٤ ، ممالك السودان ص ٢٣٨ .

ويشير البكرى الى أن سفاله التى تعتبر آخر بلاد الزنج تمثل مركزا تجاريا هاما بين بلاد الزنج وعمان " فمن أرضهم تجهز أنياب الفيلة الى الاقطار ، وأكثر ما يتجهز به الى عمان ، ومن عمان الى سائر البلاد " (١) .

ويؤكد المسعودى ذلك بقوله عن بلاد سفاله وهى " أقاصى بلاد الزنج ، واليها تقصد المراكب العمانية والسيرافية وهى غاية مقاصدهم فى أسافل بحر الزنج " (٢) .

ولا نجد ذكرا فى آثار البكرى للبلاد الواقعة جنوب سفاله ، ولعل ذلك يرجع الى أن مصدره الذى اعتمد عليه وهو الرحالة المسعودى توقف فى رحلته عند بلاد سفاله ولم يستطع أن يبحر جنوبا لصعوبة الوصول اليها ، اذ تشير المصادر العربية الى مشقة الوصول الى تلك البلاد (٣) ، ويعتبر البكرى أول كتاب المغرب الذين أشاروا الى مصر الحديد فى أفريقية حين تحدث عن مملكة " زنج الوقليمس " فهو يكشف لنا عن حرص الزنج الشديد على الحديد أكثر من حرصهم على الذهب ، موضح

---

(١) البكرى : مخطوط نور عثمانية رقم ٣٠٤٣ مسالك السودان ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(٢) مروج الذهب ج ص ١٦٤ ، الطبعة الازهرية ١٣٠٣ هـ .

(٣) باذل د احمد حسن : المرجع السابق ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

أنهم يتحلون بالحديد بدلا من العاج والذهب والفضة . يقول البكرى : " والزنج لا تتحلى بشيء من العاج على كثرة عددهم ، ولا بالذهب ، ولا الفضة ، وانما تتحلى بالحديد " (١) .

يذكر البكرى أن الزنج يزرعون بعض النباتات ويستحلونها فى الغذاء ، " والغالب على أقواتهم الذرة وبيت يقال له الكلارى يشبه القلقاس الذى يكون بالشام يقطعون أصوله ، والنارجيل أكثر شيء فى جزائرهم وهو من أقواتهم واللحم والعسل عندهم كثير وهو من أقواتهم " (٢) .

وصف البكرى الزنج بفصاحة اللسان وحب الخطابة ، فان خطباءهم يقومون يأمرون الزنج بالتقوى وطاعة الله ، وامتثال اوامره كما ينذرهم وبهذا بالعذاب الذى سيلحق بهم ، ويعيدون الى اذهانهم ذكرى اسلافهم الذين نالهم الخراب من جراء عدم خضوعهم لاوامر الله . يقول البكرى : " ولهم لسن وفصاحة بلغتهم ، وفيهم خطباء يقومون فى جماعتهم فيرغبون فى الطاعة ويذكرون من مضى من ملوكهم واسلافهم " (٣) .

---

(١) مخطوط مكتبة المتحف رقم ٤٩ ، البكرى : ممالك السودان ص ٢٤٦ .

(٢) البكرى : ممالك السودان ص ٢٤٧ .

(٣) ممالك السودان ص ٢٤٦ .

وسبقت الاشارة فيما تقدم من الدراسة الى اهتمام أبي عبيد البكري بالاعلام الواردة في مادته وهنا نجد نموذجا لهذا الاهتمام وهو تفسيره لاسم ملك الزنج المسمى وقليمى ، فيذكر أن هذا الاسم يعني ابن الرب . فالرب قد اختاره ليحكم الزنج ويعدل فيهم ، فان حاد عن منهجه وجار في عدله قتلوه وحرموا عقبه من الملك. يقول البكري: " وسمة ملكهم وقليمى وهو ملك ملوك سائر الزنج ومعناه ابن الرب ، تعالى الرب عن قولهم علوا كبيرا ، ومعناه أنه اختاره لملكهم والعدل فيهم ، فمتى جار الملك عددهم أوحاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ، يزعمون أنه اذا صار فعل ذلك الملك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذي هو ملك السماء والارض" (١) .

أما من ناحية القوة في الحروب ، فان جيش الزنج يبلغ كثرة هائلة في تعداده ، فقد وصف البكري ركب ملك الزنج وقليمى بأنه ينتهي الى ثلثمائة ألف فارس ، وهو عدد تبدو فيه المبالغة ، اذا علمنا أن البكري نفسه يصف بلاد الزنج بأنها لا تصلح للدواب.

يقول البكري: " وركب وقليمى في ثلاث مائة الف فارس وبأيديهم البيض وليس في ارضهم خيل ولا بغال ولا حمير ولا ابل ولا يعرفونها " (٢) ، ويصف البكري الزنج وصفا

---

(١) ممالك السودان ص ٢٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

خلقيا بانهم أطيب الامم أنواها ويعدد ذكر حيوانات بلادهم ويذكر طريقة الصيد عندهم .

وقد كشف البكرى التفاعل الحضارى بين افريقية وآسيا ، يقول البكرى : " واكثر ما يستعمل العاج بأرض الصين لانهم يتخذون منها الاعدة ويها يدخلون على ملوكهم ولا يدخل عليهم أحد من خدمتهم وحشمهم ، وتوادهم بحديد ، ويستعملونه ايضا فى دفن بيوت اصنامهم وابخرة هياكلهم " (١) .

كما يحتاج أهل الهند الى نفس العاج فيذكر البكرى أنه " يستعمل من انيابها كثير بهلاد الهند فى الشطرنج والنرد " (٢) ، ويضيف المسعودى أن أهل الهند يحتاجون للعاج فى نصب خناجرهم وقوائم السيوف(٣) .

ويبدو أن بعض الصلات التى قامت بين المسلمين والزنج اتت ثمارها حين دخل بعض من بلاد الزنج فى الاسلام ، يقول البكرى : " ومن بلاد الزنج اليوم من ملوكها مسلمون وسمة ملكهم المسلمين بامره " (٤) ، وكلمة اليوم هنا تشير الى القرن العاشر

---

(١) البكرى : المصدر السابق ص ٢٤١ .

(٢) البكرى : نفس المصدر ص ٢٤١ .

(٣) مروج الذهب ١ ص ١٦٤ ، الطبعة الازهرية ١٣٠٣ هـ .

(٤) البكرى : ممالك السودان ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

الميلادى ، فالعبارة للمسعودى أوردها البكرى فى مادته دون أن يذكر مصدره ولعله أراد بذلك أن يشير الى قرب الساحل الشرقى من افريقية لبلاد العرب فى الجنوب ، حيث اند فعت هجرات عربية ونشرت الاسلام فى تلك البقاع [1] ، وتتخلل مادة البكرى عن الزنج استطرادات عديدة كوصف أعمار الفيلة بارض الزنج ولعب الشطرنج فى بلاد الهند ، وبعض القصص عن حياة الحيوان ومقارناته بين الفيلة فى بلاد الزنج وبلاد الهند ، وقد ذكر البكرى أنه لا توجد تشريعات ثابتة تنظم حياة الزنج ، وانما هى مراسيم يصدرها الملوك تناسب المواقف وتحسم الخلافات ، يقول البكرى " وليس للزنج شريعة يرجعون اليها بل رسوم لملوكهم وأنواع من السياسات "[2]

النوبة :

تضمنت مادة البكرى عن بلاد النوبة الحديث عن ملكتى النوبة المسيحيتين ، فأشار الى أن احدى المملكتين ملاصقة لصعيد مصر والثانية جنوبها .

وبدأ بذكر مملكة علوة التى قامت فى منتصف القرن السادس الميلادى وتمتد رقعتها من منطقة كبوشيه شمالا حتى التقاء النيلين الازرق والابيض جنوبا [3] ويذكر

---

(١) احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٦ ص ٤٠٤ القاهرة ١٩٧٢ ، ويؤكد المسعودى صلة المسلمين بشرق افريقية عندما هاجر الزيديين الى شرق افريقية وثائق تاريخية جيان ص ٧٦ .

(٢) ممالك السودان ص ٢٤٦ .

(٣) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، ص ٤ القاهرة ١٩٦٠م .

البكرى أن طوة وسوبه اسمان لمدينة واحدة ، هى عاصمة المملكة فيقول "دار ملكتهم فى الشط الثانى سوبه وقال غير من اسمها طوة" [1] ، واطلاق اسم المملكة طوة على مدينة سوبه التى تقع جنوب شرقى الخرطوم حقيقة تاريخية ثابتة [2] ، أدركها البكرى من اعتماده على تعدد المصادر فى مادته .

فقد نقل عن المسعودى اسم سوبة ، وأشار اليه بالحرف (س) ونقل عن مصدر آخر لم يسمه اسم طوة .

وقد درج البكرى على الحديث عن تاريخ الدول من خلال عواصمها ، فقد سبق أن تحدث عن تاريخ عدد من الدول من خلال حواضرها [3] ولم نجد عند البكرى وصفا لمدن النوبة أو الزنج أو أى مملكة من ممالك السودان ، فهو يكتفى بالاشارة فقط الى اسم المدينة وهو منهج يختلف عن منهجه فى الحديث عن مدن السودان الغربى ، ففى هذه الناحية امتاز عليه بعض مؤرخى العرب الذين وصفوا تلك المدن [4] .

---

(١) ممالك السودان ص ٢٤٨ .

(٢) عاطر البصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط ص ٨١ القاهرة ١٩٧٢ .

(٣) وقف البكرى عند حاشية سجلماسة وكتب عن تاريخ بنى المدرار وعن غانا وكتب عن الادارسة وعن تكرور وكتب عن دولة بنى صالح وعن تيهرت وكتب عن الرستميين .

(٤) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ص ٢٨١ سنة ١٩٢٢ المعهد الفرنسى .

أما المملكة الثانية فتقع فى الشمال ، ويذكر البكرى أنها تحد باسوان وأشار اليها كعادته بحاصلها دنقله ، وحدد رقعتها كما وصفت الدراسات الحديثة من اسوان شمالا حتى كبوشية فى الجنوب[1] ، يقول البكرى : " ان ديار النوبة اتصلت بديار القبط من أرض مصر وبالصعيد من بلاد أسوان ، واتسعت ديارها على شاطئ النيل مسعدة ، ولحقوا قويا من أعاليه ، ودار ملكتهم دنقله باحد الشطين وبينها وبين حد مصر أربعون يوما "[2] .

والبكرى كغيره من مؤرخى العرب يشير الى دنقله العجوز وهى بحرف دنقله العرضى التى تقع غرب النيل ، وقد لاحظ البكرى بحاسته الجغرافية انعكاس نمط الحياة على الجماعات البشرية التى تعيش فى ممالك النوبة المسيحية فالسكان فى مملكة علوة أضعف الوانا من سكان مملكة المقرة ، وذلك لان الحياة فى علوة اكثر سهولة حيث تساعد مياه النهر والامطار على مباشرة الزراعة ، فى حين تلاحظ قسوة الاحوال المناخية فى بلاد النوبة الوسطى والسفلى اذ يقع الاقليمان فى نطاق عديم المطر[3] ، واذا كانت مملكة علوة مركزا لتجمع السكان فان السكان فى المقره يقلون تدريجيا كلما اتجهنا

---

(١) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة فى العصر الوسطى ص ٦٠

(٢) ممالك السودان ص ٢٤٨ .

(٣) مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ٤٠

شمالا ، حتى تصل الى مواطن المنزلة والطرد [1] ، يقول البكرى مبينا أثر الطبيعة على السكان فى علوة " وهذا الخط أوسع مملكة من الآخر وأهلها أصفى الوانا وأحسن زيا " [2] . ويلاحظ ابن سليم أيضا أن مملكة علوة أوسع وأخصب من مملكة المقره [3] .

اما من اصل النوبيين فان البكرى يوافق من سبقه من مؤرخى العرب على أن النوبه يرجعون باصلهم الى حمير وأصل كلمة نوبه يرجعه البكرى الى اسم نهر فى بلادهم يقال له نوبه ، يقول البكرى : " ان فى بلادهم نهر يقال له نوبه وبه سموا وقال الاكثرون انهم ولد نوب بن قولى بن معز بن نيصر بن حام " [4] . وقد ذكر الدارسون انه لازال النهر مابين الشلال الاول والسادس يعرف باسم النيل النوبى ، يعنى هذا أن النوبيين خلعوا اسمهم على النهر [5] وربما ساعد هذا فى قبول تفسير البكرى لكلمة نوبه اذا صح أن اطلاق الكلمة على النهر كانت أسبق من اطلاقها على الشعب نفسه .

---

(١) مصطفى مسعد : نفس المرجع ص ٥-٦ .

(٢) مسالك السودان ص ٢٤٨ .

(٣) مصطفى مسعد : المكتبة السودانية العربية ص ١٠٢ .

(٤) مسالك السودان ص ٢٥١ .

(٥) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٦ هامش ١ .

أما عن ديانة النوبة فالبكرى يذكر أنهم اعتنقوا المسيحية على مذهب الكنيسة المصرية ، وهو المذهب اليعقوبى المنتشر فى مصر والقدس وفلسطين [١] . فيقول عن النوبة أنهم نصارى يعقوبية ، وتؤكد كتابات المؤرخين العرب نفس هذا الرأى [٢] غير أن عبارة البكرى تفيد أن المناصرين لهذا المذهب وهم أتباع المذهب الملكانى استطاعوا أن يضعوا أساسا لمذهبهم فى بلاد النوبة ، يقول البكرى : " ويقرأون الانجيل بلسان الروم الملكانية " [٣] والظاهر أنهم ترجموا منها النصوص الدينية التى لفتهم النوبية فيما بعد " [٤] .

أما عن اهتمام أهل النوبة بالزراعة وتربية الحيوان فيقول البكرى : " وملوكهم يتخذون الخيل الصتاق يركبون عليها البرازين ولهم النخل والكرم والذرة والعسل والحنطة والانوج عندهم كثير وفى بلادهم يسقيها النيل وهناك غياض كثيرة وحوالى هذه الكروم معادن الذهب والفضة " [٥] .

---

(١) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ج ١ ص ٢٠٦ .

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٥١ ليدن ١٨٩٤م .

(٣) ممالك السودان ص ٢٤٩ .

(٤) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ج ١ ص ٢٢٢ .

(٥) ممالك السودان ص ٢٥٠ .

وتعرض البكرى بالتفصيل ذكر عادات النوبة مثل طريقة كتابتهم فى ورق الشجر ومعاشرة النساء فيقول عنهم انهم يغتسلون من الجنابة ولا يتطاهرون فى الحيضة " [1] ، " وأنهم يتكاتبون فى ورق الدوم " [2] ، " ومن النوبة النساء المعروفات بالمقصودات لا يقدر على إفضاء ابكارهن ولا مباشرتهن حتى تفتق القوابل من قبلهن بقدر ما يحتاج للجلى " ، ومن أطيب النساء خلقا فاذا حملت المرأة منهن وقربت الوضع زاد القوابل فى شق ذلك المكان فاذا وضعت حملها عادت تلك الزيادة بالادوية الملحمة حتى تلتحم ، أخبرنى بذلك جماعة من الثقات عن جماعة من النساء المجاورات بمكة شهن رأين ذلك وشاهدنه " [3] .

واهتمام البكرى بالحديث عن عادات السكان وأحوالهم الاجتماعية ونظام الحكم ظاهرة تستحق الاهتمام اذ لم يكن ذلك موضع عناية بالنسبة لكثير من المؤرخين [4] .

أما عن علاقة المسلمين بالنوبة فأوضح البكرى أن نية الظيفة عمر اتجهت الى فتح بلاد النوبة بعد أن تم له فتح مصر، يقول البكرى : " ولما انتظمت مصر امر عمر أن يغزو النوبة فوجوههم المسلمون يومئذ الحدق " [5] .

---

(١) ممالك السودان ص ٢٤٩ .
(٢) نفس المصدر ص ٢٥٠ .
(٣) نفس المصدر ص ٢٥٢ .
(٤) هوقيل المجدل : تاريخ سودان وادى النيل ج ١ ص ٢١٨ .
(٥) ممالك السودان ص ٢٥٢ .

وقد وقع المسلمون عقد أمان بينهم وبين النوبة ، لم يكن هذا العهد صلحا لان عمرو بن العاص رفض مصالحتهم ، يقول البكرى : " قال يزيد بن أبى حبيب أن الفرة ليس بينهم وبين المسلمين عهد ولا ميثاق ، وانما هو أمان لبعضهم من بعض على أن يؤدوا كذا وكذا رأسا ... فذهبوا للمصالحة ، فأبى عمرو بن العاص من مصالحتهم " (١) .

وهذا النص البكرى يدلنا على تصديق ما ذهب اليه المقريزى حين قدر جيش المسلمين بـ ٢٠ ألف مقاتل (٢) ، ولولا هذا العدد لما استطاع المسلمون أن يرفضوا الصلح مع النوبة ، وقد كانت هذه الحملة بقيادة عقبة بن نافع سنة ٦٤١م (٣) ، ولكن عهد الأمان بين المسلمين والنوبة لم يدم طويلا ، فبعد أن أبعد عمرو بن العاص من مصر تولى الامر فيها عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى خلافة عثمان فشب القتال مرة أخرى سنة ٦٥١م ، وانتهى هذه المرة بالصلح بين الطرفين . يقول البكرى " أبى عمرو بن العاص من مصالحتهم حتى صرف عن مصر وليها عبد الله بن أبى سرح سنة

---

(١) ممالك السودان ص ٢٥٢ .

(٢) المقريزى : المواعظ والاعتبار ص ٢٩٠ .

(٣) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى فى القرن الاول ص ١٢٩ ، بيروت ، بدون تاريخ .

احدى وثلاثين فصالحهم " [1] . وقد وقع البكرى فى الخطأ حين صور حملة عبد الله بن سعد الثانية ، ووصف المسلمين بالضعف فهو يقول عن حملة عبد الله بن سعد الثانية على النوبة أنهم " قاتلوه قتالا شديدا فصالحهم عبد الله بن سعد على رؤوس من السبى معاونة " [2] .

ورتب البكرى على ذلك خطأ آخر حين اعتقد أن الخليفة عثمان قبل هذا الصلح نتيجة لضعف المسلمين ولعله تأثر فى هذا الرأى بقول الطبرى عن قبول الخليفة عثمان للصلح بأنه تم " نظرا منه للمسلمين وابقاء عليهم " [3] .

والصحيح أن المسلمين كانوا فى موقف القوة ، وقد حققوا نصرا حربيا ، فان جيش عبد الله بن سعد وصل سنة ٢٥ هـ/٦٥٢م الى " الدقرة " وحاصرهم بمدينة دنقلة حصارا شديدا وهاجمها بالمنجنيق ، ولم تكن النوبة تعرفه ـ وخسفجهم كنيستهم بحجر فهدم ذلك وطلب ملكهم واسمه قليدروت الصلح " [4] وعلى هذا فان الخليفة عثمان لم يوافق

---

(١) مسالك السودان ص ٢٥٢ـ٢٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ج ٥ القسم الاول ص ٢٥٩٣ ليدن ١٨٩٣م .

(٤) المقريزى : المواعظ والاعتبار ص ٢٩٠ . المكتبة الفرنسية السودانية ص ٣٠١ .

على هذا العقد ، وهو في موضع ضعف ، وانما تهله لاعتبارات أخرى منها : " أن المعاهدة فتحت للمسلمين فتح النوبة للتجارة ، والسماح للمسلمين بالزيارة ، بجانب ذلك دور التجار في نشر الدعوة الاسلامية ، واقتنع الولاة بكفاية هذا الدور في نشر الدعوة التي لا تفرض بحد السيف ، الى غير ذلك من الاسباب مثل حماية مسجد المسلمين بدنقله [1] .

وتضمنت مادة البكري خلطا آخر حيث ذكر أن المسلمين سموا بولاة الخندق في حملة عبد الله بن سعد الثانية ، فوصف تلك المعركة وقال : " أصيبت عين معاوية بن خديج وعين بن ابي عمرو بن أبوحة وعين جماعة من المسلمين فحينئذ سموا رماة الحدق " [2] ، والصحيح أنهم سموا بهذا الاسم في الحملة الاولى وهي الحملة التي قادها عقبة بن نافع [3] . اما عن مقدار الصلح بالبقط في قول البكري : " وعدد ذلك ثلاثمائة وخمس وستون رأسا وانما اراد بعدد أيام السنة وهي جارية الى الآن " [4] ، وعبارة الآن هي عبارة المسعودي وهي من نهج الخلط التاريخي الذي يقع فيه البكري

---

(١) مصطفى سعد : الاسلام والنوبة ص ١١٤ .

(٢) ممالك السودان ص ٢٥٢ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ قسم ١ ص ٢٥٩٣ ليدن ١٨٩٣م .

(٤) ممالك السودان ص ٢٥٣ .

كثيرا عندما ينقل من مصادره دون اشارة الى تلك المصادر وتواريخها .

البجـــاة :

وتحدث البكرى فى مسالكه عن شعب البجاة ، وبدأ بتحديد موضع سكنهـــم بين النيل والبحر الاحمر ، وحدد مبتدأ بلادهم من حدود أسوان بقوله : " فامـــا البجاة فانها نزلت بين بحر القلزم وبين مصر ... وأول مسالك البجاة من حد أســوان وبدينتهم يقال لها هجر " (١) وقد اهتم المسلمون ببلاد النوبة أكثر من اهتمامهـــم بالبجاة ، وربما تكون المقارنة التى عقدها البكرى بين شعبى النوبة والبجاة تفيدنـــا فى الكشف عن اهتمام المسلمين بالنوبة يقول البكرى : " وقد كانت النوبة أشـــــد بأسا منهم " (٢) وعبارة ابن عبد الحكم فى هذا الصدد أكثر وضوحا فهى تفسر اهمال عبد الله ابن سعد للبجاة عندما علم بضعفهم يقول " فتجمع له فى انصرافه على شاطىء النهـــل البجاة فسأل عنهم فاخبر بمكانهم فهان عليه امرهم فنفذ وتركهم " (٣) .

---

(١) البكرى : ممالك السودان ص ٢٥٩ .

(٢) البكرى : المصدر السابق ص ٢٥٦ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ١٨٩ نشر توري ليدن ١٩٢٠م .

ولهذا فان المسلمين لم يعقدوا معهم أى معاهدة ، فيذكر البكرى أنه " لم يكن للبجاة عهد ولا صلح " (١) ، ولكن ضعف البجاة لم يمنعهم من استعمال قوافل الجمال فى الاغارة على أرض النوبة لوجود حواجز جبلية تقيهم خطر النوبة ، فيخبرنا البكرى قائلا : " وتتصل سراياهم على النجب ببلاد النوبة فيغيرون وبين وبين بلادهم الى بلاد النوبة جبال منيعة جدا " (٢) ولم يحاول المسلمون حماية النوبة من غارات البجاة اذ لم يلتزم المسلمون فى معاهدتهم مع النوبة بحمايتهم من خطر الشعوب التى تعاديهم ، كما أن النوبة لم يدخلوا الاسلام (٣) ، ولكن البجاة لم تقف بغاراتها عند بلاد النوبة فتمتد بها الى الاغارة على أرض مصر (٤) فذكر المؤرخون أن البجاة خربوا قرى عديدة فى صعيد مصر (٥) ويعتبر المسلمون بأن الاعتداء على صعيد مصر اعتداء مباشر على المسلمين ، ومن هنا جاء اهتمامهم بأمر البجاة وخرج اليهم عبيد الله بن الحبحاب فى أواخر القرن الاول الهجرى وكان واليا على صعيد مصر

---

(١) البكرى : ممالك السودان ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٦ .

(٣) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١١٥ .

(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٥٦٧ .

(٥) ابن سليم الاسوانى . المكتبة السودانية العربية ص ١٠٨ .

نفزاهم وقد منهم معاهدة ذكرها البكرى بقوله : " وأول من صالحهم عبد الله بن الحبحاب وهم بصنى الشيخ أنه قرأ فى كتاب ابن الحبحاب فاذا فيه ثلاثمائة بكر كل عام حتى ينزلوا الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلما ولا ذميا وان قتلوا فلا عهد لهم ولا يأووا عبد المسلمين وان يردوا اباقهم " [1] . وأضافت بعض المصادر شرطا آخر لم يذكره البكرى وهو أن يظل وكيل البجاة فى الريف رهينة فى يد المسلمين [2] واستمرت العلاقات بين المسلمين والبجاة تسير وفقا لهذه الهدنة ، وبعد مضى قرن على هذه المعاهدة نقض البجاة الهدنة بينهم وبين المسلمين ، واغاروا على صعيد مصر فهاجمهم المسلمون بقيادة عبد الله بن الجهم سنة ٢١٦ هـ [3] .

أما عن كيفية انتشار الاسلام فى بلاد البجاة فان البكرى لا يعطى تفصيلا واضحا ولكنه أشار الى هجرة قبائل عربية الى بلاد البجاة حين بهرتها أنباء المعادن الموجودة فى بلاد البجاة ، فذكر البكرى أنه فى " بلاد البجاة يتصل معدن الزمرد

---

(١) البكرى : ممالك السودان ص ٢٥٩ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ١٨٩ نشر توري ليدن ١٩٢٠ م .

(٣) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١١٦ .

وهو موضع يعرف بالخوبة غلوز وجبال تحبه البجاة ، وهو متصل بالصعيد الاعلى من مدينة قفط " [1] ، فقامت القبائل العربية وهجرت الى بلاد البجاة واستقرت هنـــاك " ساكن البجاة جماعة من المسلمين لصادن الذهب التي عندهم ، واستوطنها خلق من العرب من رببعة وتزوجوا في البجاة فاشتدت شوكتهم بهم " [2] وامتدت مساكـــن البجاة بعد اختلاطهم بتلك القبائل الى محازاة سواكن [3] ، ويبدو أن نشـــاط العرب في هجرتهم لارض البجاة واستغلالهم للمناجم بدأ في القرن الثامـــن الهلالي [4] ، والدارس لهذه الهجرات التي أوردها البكري يمكنه أن يفترض قيـــام جهود لنشر الاسلام بين البجاة تأسيه القبائل العربية التي سكنتهم ، وتقف مصرة أخرى هنه ظاهرة الخلط التاريخي في مادة البكري حين يذكر عن البجاة خبر صاحب المعدن أبو مروان بشر بن اسحاق دون أن يشير الى مصدره ، ليرد عبارة المسعودي في القرن الرابع الهجري : " وصاحب المعدن في وقتنا هذا من المسلمين أبو مروان

---

(١) البكري : مسالك السودان ص ٢٥٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٦ .

(٣) شاطر البصيلي : تاريخ وحضارات السودان القديم والاوسط ص ١٦٧ .

(٤) شاطر البصيلي : المصدر السابق ص ١٥٨ .

بشر بن اسحاق بن ربيعة " [1] .

فعبارة في وقتنا هذا تنطبق على الواقع التاريخي في القرن الرابع الهجري زمن المسعودي ، واستعملها البكري ملكا له وهي لا تنطبق على القرن الخامس الهجري [2] وقد اهتم البكري في مادته عن البجاة بأخبار مناجم الذهب والزمرد ، وفصل القول في أنواع الزمرد ونوعها حسب جودتها فسمى اعلاها بالمر ، والذي يليه بالبحري ، والثالث بالمغربي ، والنوع الرابع والاخير يسمى بالاسم [3] .

أما عن أصل البجاة فيرى البكري انهم فصيلة من الجنس الحبشي " والبجاة جنس من الحبش واسم مدينة ملكهم هجر " [4] يشاركه البكري في هذا الاعتقاد بعض مؤرخي العرب [5] اما عن ديانة البجاة قبل الاسلام فالبكري يتفق مع مؤرخي العرب

---

(١) البكري : ممالك السودان ص ٢٥٦ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٣٣ ، كذلك الطبعة الازهرية ج ١ ص ١٦٩

(٣) ممالك السودان ص ٢٥٨ .

(٤) ممالك السودان ص ٢٥٩ .

(٥) المقريزي : المواعظ والاعتبار ص ٢٨٠ .

يشير بهذا الحمير الى تاريخ ذى نواس بن تبان أسعد ملك اليمن ، وهو آخر ملوك حمير ، وهو صاحب الاخدود المشار اليه فى القرآن الكريم بقوله تعالى " قتل أصحاب الاخدود" وقد كان ذو نواس يعتنق اليهودية فصار الى نجران التى يعتنق أهلها المسيحية ودعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل فخد لهم الاخدود فحرقهم وقتلهم بالسيف ، وقد أفلت من نصارى نجران رجل من سبأ يقال له دوس ، فمضى حتى أتى قيصر الروم يستنصره على ذى نواس وجنده ، فاستنصر القيصر بلاد نجران وكتب له الى النجاشى ملك الحبشة الذى على دين المسيحية ، وأجابه النجاشى الى طلبه وبعث معه سبعين الفا من الحبشة وأميرهم يدعى ارياط فنزل الجيش بساحل اليمن وهزم ذى نواس وجنده وملك ارياط بلاد اليمن [1] هذا تفصيل للرواية الاسلامية التى أشار اليها البكرى فى اختصاره .

وحديث البكرى عن النجاشى الذى كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيه اشادة بالعلاقة التى قامت فى أيام الهجرة الاولى بين الحبشة والمسلمين ، وقصد البكرى حين تكلم عن النجاشى فى عهد الرسول أن يكشف عن تلك العلاقة الطيبة التى قامت فى أيام الهجرة الاولى بين الحبشة والمسلمين عندما " رأى رسول الله صلى الله

---

(١) عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥ وما بعدها .

عليه وسلم ما يصيب اصحابه من البلاء ، وهو فيه من المعافية بمكانة من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة قعت في الاسلام »[1] .

وقد ذهب بعض الدارسين الى أن تلك العلاقة الحسنة بين المسلمين والنجاشي هي التي جعلت المسلمين لا يوجهون حملاتهم الى الحبشة في العهد الاول[2] . وقد امتد اكرامهم الى بلاد النوبة لانها تجاور الحبشة فذكر الدارسون أن عبد الله بن أبي سرح رض يصلح النوبة وفيه بعض الالتزامات على المسلمين ، لان المسلمين لم يشاءوا أن يتاربوا الحبشة تقديرا لصنعها في ايواء أصحاب الهجرة الاولى[3] ، ويحملنا نص الحديث النبوي على قبول تعليل ترك المسلمين للحبشة

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام (عبد السلام هارون) ص ٩٢ .

(٢) فتحي غيث : المرجع السابق ص ٥٩ .

(٣) شكري فيصل : حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ص ١٣٠ .

عروة، أن النبي صلى الله عليه وسلم نصح بتركهم قائلاً : "اتركوا الحبشة مـــا تركوكم" (١) .

ولكننا نجتري على التاريخ ان اخذنا هذا التفسير بالنسبة للنوبة اذ لا يوجد نص يقطع الشك باليقين ليمكن الركون اليه في هذا الزعم .

اما عن علاقات بلاد الحبشة التجارية فيذكرها البكري بقوله : " وتجهـــز اليها بالامتعة من مصر واليمن " (٢) ، كما كانت "مراكب زبيد وعلايقة من ساحل اليمن تختلف الى ساحل الحبشة" (٣) ، وقد اهتم البكري بالحديث عن عادات الحبشـــة ودياناتهم ، وما ذكره عن الحبشة لا تخلو من بعض الخرافات كقوله أن بعضهم يمشـي على أربعة أرجل وفي وصف الحبشة يقول البكري : " لهم حذق وسرعة يتباينـــون بها من سائر قبائل السودان وهم أجمل السودان ولهم الثغا والكحل والشعـــر المسترسلة وليس فيهم من دقر السودان شيء، وأكثرهم نصارى، يكون جماعتهـــم فيهم من يكوى وجهه ، وفي بلاد الحبشة قوم يمشون على أربع كالدواب لا تطـــول

---

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٢) مسالك السودان ص ٢٦١ .

(٣) مسالك السودان ص ٢٦١ .

اصارهم ، وغاراتهم الحبشة وجميع ما عندهم من الكتب فى فنون العلم انما هو فى ورق الموز" (١) . وقد اعتمد البكرى على بعض شهود العيان فى نقله لمادته اذ يقول وأخبرنى من رأى تواريخها مما نقل الى بلاد الاسلام منها (٢) .

وللدارس أن يتساءل هنا كيف يمكن التوفيق بين القول فى اعتماد البكرى على شهود عيان ، ووقوع بعض الخرافات فى مادته .

والراجح أن تكون تلك الخرافات قد أوردها التجار والمغامرون الذين وصلوا الى أسبانيا ونقلوا أخبار افريقية بعد أن أضفوا عليها كثيرا من خيالهم ليطيب سماعها .

آثار البكرى عن السودان الغربى :

تنقسم مادة أبى عبيد البكرى عن السودان الغربى الى قسمين ، قسم يمثل دراسة متكاملة استوفت الموضوع الذى تناولته وتفردت فى كثير من الاحيان بحقائق لم ترد عند غيره من المؤلفين ، ونقصد بهذا القسم الجزء الخاص بمملكة غانة ، وقد

---

(١) مسالك السودان ص ٢٦٢ .

(٢) مسالك السودان ص ٢٦٢ .

فهد الدارسون بفضل البكرى وعظم مكانته فى هذا الجانب ، فذكر باذل واحد من اعترافا بفضل البكرى قائلا : " كانت غانة فى ضمير الغيب ، وضعت ، فلما عام تهل أن يكتب عن هذه الدولة الجديدة كاتب يفصل للناس دقائق الحياة فيها والتقدم وجد عبد الله بن عبد العزيز الذى اشتهر بلقبه أبو عبيد وعرف أكثر بنسبته البكرى وقد جمع كل ما وصلت اليه يده من وصف دقيق مثير لفاتنه ولم يترك حقيقة ذات بال الا وتصدى لها بفكر ذكى " (١) .

وتجنبا للتكرار فسوف نترك هذا القسم الذى سبقت الاشارة اليه ضمن الدول التى عاصرها أبو عبيد البكرى .

اما القسم الثانى : فهو عبارة عن نصوص واشارات مختصرة عن بعض المدن والدول التى قامت فى السودان الغربى ، وهذه الاشارات المختصرة لاقت لدارس غرب افريقية شيئا لانها تعتبر من أقدم التقارير التى حفظت من تاريخ السودان الغربى ، ثم أن معلومات البكرى عن السودان الغربى أقرب الى الحقيقة لان كاتبها عمل على تحليلها بقدر الامكان من شتى الرواة الذين نقلوا اخبار تلك البلاد .

---

(١) افريقيا تحت أضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد احمد ص ١٣٧ — بيروت — بدون تاريخ .

وتبدأ مادة البكري عن السودان الغربي بالحدود الشمالية لبلاد السودان

وهي المنطقة المجاورة لبلاد البربر من ناحية الجنوب ، وأول البلاد ذكرا في مسالك البكري هي بلاد صنفانه التي تقع على ضفة النيجر اليسرى ويشير البكري الى النيجر بالنيل [1] ، ويذكر البكري أن بلاد صنفانه تجاور قبيلة جدالة البربرية بهذا الجوار تكشف عن دور قبيلة جدالة في نشر الاسلام في بلاد السودان الغربي ، وقد سيطرت جدالة على الطرق التجارية بين الشمال والجنوب [2] ، ويقول البكري : " المسافة من لمتونة السودان بئر جدالة هم آخر الاسلام قبلة والاوربلاد السودان بعدهم عن مدينة بلادهم وبينها مسيرة ستة أيام ومدينة صنفانه مدينتان على ضفتي النيل ، ومسافة ما بينها الى البحر المحيط " [3] ، وتستمر مسالك البكري حتى حوض السنغال حيث تقع بلاد تكرور ووصف البكري مدينة تكرور بأهلها وبلادهم وأورد سيرة ملكهم وارجابي بن رابيس [4] ، ويرد في نشر الاسلام بين التكارير ورد ذكره في قبر البكري :

---

(١) هذه الناحية تجتلب الدقة والحذر في دراسة مادة البكري ، فقد درج كثير من مؤلفي العرب على المغالطة بين نهر النيل ونهر النيجر . انظر : مصطفى مسعد الكتبة العربية المصرية ، ص ٢١١ حاشية رقم ١ .

(٢) حسن ابراهيم : الاسلام والثقافة العربية في افريقية ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

(٣) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١٧٢ .

(٤) اسمه وارجابي بن رابيس الاسلامي القرن الحادي عشر طوبنامي غانة ص ٤٣ .

" وعلى مدينة صنفانه مابين الغرب والقبلة على النيل مدينة تكرور أهلها سودان وكانوا على ما سائر السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير والذكور عندهم الصنم حتى وليهم وارجابى بن رابيس فاسلم وأقام عندهم شرائع الاسلام • وحملهم عليها وحقق بصائرهم فيها وتوفى وارجابى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فأهل تكرور اليوم مسلمون " (١) .

وتتضمن مسالك البكرى أيضا ذكر البلاد المتاخمة لبلاد تكرور ، فوصف مدينة سلى وجهود وارجابى بن رابيس فى نشر الاسلام بين أهل تلك البلاد • يقول البكرى : " وتسير من مدينة تكرور الى مدينة سلى وهى مدينتان على شاطئ النيل أيضا وأهلها مسلمون أسلموا على يدى وارجابى بن رابيس رحمه الله " (٢) ، وقد قام ملك سلى بجهود موفقة فى نشر الاسلام فى بلاد السودان الغربى • فقد ذكر صاحب الاستبصار ان هناك عددا من الممالك السودانية تجاور صاحب سلى (٣) ، ويبدو أن هذه الممالك التى أشار اليها صاحب الاستبصار هى الممالك الواقعة بين سلى ومملكة " غانة " والتى عناها البكرى بقوله : " وبين سلى ومدينة غانة مسيرة عشرين يوما

---

(١) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ١٧٢ •

(٢) المصدر السابق ص ١٧٢ •

(٣) الاستبصار فى عجائب الامصار (مؤلف مجهول) ص ٢١٧ نشره الدكتور سعد زغلول الاسكندرية ١٩٥٨ م •

وبين دراسته لمدن السودان الشرقي حيث اكتفى بذكر اسماء المدن فقط.

وقد سبقت الاشارة الى هذا فيما تقدم ، يقول البكري " وتبايع أهل سلسى بالدرة والملح وحلق النحاس واذر لطاف من قطن يسمونها الشكيات ، والبقر عندهم كثير وليس عندهم ضان ولا معز واكثر نبات ارضهم الابنوس ، وبه يحتطبون وفيما يتصل ببلادهم من النيل فى موضع يقال له صحابى حيوان فى الماء يشبه الفيل فى عظم خلقته وقصر يستسه وأنيابه يسمونه " فقوا " وهو يرعى فى البرارى ويأوى الى النيل وهم يميزون موضعه من النيل بمزاريق حديد قصار فى اسافلها حلق قد عقدت فيها الحبال المديدة فيرمونه بالعدد الكثير منها فيغوص ويضطرب فى اسفل النيل فاذا مات طفا على الماء فجذبوه وأكلوا لحمه وصنعوا من جلده هذه الاسواط التى تسمى السياسات

---

(١) البكري : المصدر السابق ص ١٧٢ .

ومن هناك تحمل الى الآفاق " (١) .

بعد هذا الوصف لبلاد سلى تأخذ مادة البكرى فى التعريف بالممالك والمدن التى تقع بين سلى وبلاد غانة وهى المدن والممالك التى قام ملك سلى بنشر الاسلام بين ربوعها كما ذكرها البكرى تتكون من بلد قلنبو التى تقع فى حوض السنغال وتبعد من بلدة سلى (٢) بمسافة يوم وبلد ترنقه (٣) وبلد زاقنوا وتلى زاقنوا بلاد الفروبين (٤) .

ويؤكد صاحب الاستبصار ما قاله البكرى عن دور صاحب سلى فى نشر الاسلام بين أهل هذه البلاد فيقول عن صاحب سلى " وملكها واسع المملكة كثير العدد يقاوم صاحب غانة وبينها وبين غانة مسيرة عشرين يوما فى عمارة متصلة للسودان القباة بحسب القبيلة وصاحب سلى يحارب من جاوره من كفار السودان " (٥) . وذكر البكرى نفسه

---

(١) المغرب ص ١٧٣ .

(٢) تقع سلى فى حوض نهر السنغال الادنى الاد ريس صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ص ٧٢ طبعة ليدن .

(٣) ورد ذكرها بالكاف . انظر الاستبصار ص ٢١٨ .

(٤) المغرب ص ١٧٢ـ١٧٣ .

(٥) الاستبصار ص ٢١٧ (مؤلف مجهول) نشره سعد زغلول .

منعطفة عن كل مملكة من الممالك الصغيرة الواقعة بين سلى وغانة وحديثه عنها لا يعبر على وتيره واحدة في الوصف ، فمن بلاد قلنبو يكتفي بالاشارة الى موقعها في منطقة حوض السنغال ووصف اهلها بالعرك .

وبلاد تونقه يذكر أنها بلاد واسعة وقوم أهلها بعض الصناعات البسيطة ، ويصف أيضا طريقة اجراء المداولة بين أهلها ، أما مملكة واقفو فيقصر الحديث عنها في الممالك على العبادة فيذكر البكري أنهم يقدسون حية ويؤسسون حياتهم على تلك الحية فهي التي تعين ولاتهم وتحدد مدة ولايتهم " فاذا هلك وال من ولاتهم ، جمعوا كل من يصلح للملكة وقربوهم اليها ، وتكلموا بكلام يعلمونه ، فتدنو الحية منهم ، فلا تزال تشمهم رجلا رجلا حتى تنكز احدهم بأنفها فاذا نكزته ولت الى المغارة فيتبعها ذلك المنكوز بأجد ما يقدر عليه من السير ليجذ بها من ذنبه أو عرقوبه بأشد ما يقدر عليه شفرات فتكون مدة ملكه لهم بعدد تلك الشفرات لكل شفرة سنة لا يخطئهم ذلك بزعمهم " (١) ويختتم حديثه عن هذه الممالك بمملكة الفروسين ويوضح أن بلادهم تمتاز بنوع من النبات يقوى الباءة وجعلهم يكثرون من الزوجات بعد أن يفرغ البكري من ذكر الممالك التي تقع بين سلى وغانة يواصل حديثه عن مدينة غانة

---

(١) البكري : المغرب ص ١٧٣ـ١٧٤ .

نفسها وقد فصلنا القول عن غانة في الفصل الثالث.

وتسمية البكري لهذه الاماكن بالممالك فيه نوع من التجوز فهي في تقديرنا زعامات محدودة السلطة في المدينة والقرية وهو مسلك طرقه بعض المؤرخين قبله [1] .

وعلى بعد ثمانية عشر يوما من غانة يتوقف البكري عند وصف مدينة غيارو موطن الذهب الجيد .

وعلى بعد اربعة أيام من غيارو تقع مدينة سانقندى ، يصف البكري أهلها بأنهم أرمى السودان بالنشاب ، وعلى بعد يومين من سانقندى تتم بك تسعى طائفة من سانقندى الى مملكة تسمى غرنطل تربطهم علاقات طيبة بالمسلمين مع أنهم على غير دين الاسلام .

ثم بعد ذلك يبدأ البكري في وصف بلاد السودان الواقعة غرب غيارو مبتدأ بوصف مدينة يرسني وهي بلاد اعتنق اهلها الاسلام ، وذكر البكري طريقة تربيتهم للماشية فيذكر أنه " بضربن غيارو على النيل مدينة يرسني يسكنها المسلمون وأخواتها شركون وفي يرسني مزقصار فاذا وضعت الناقة ذبحوا الذكر وابقوا الانثى " [2] .

---

(١) شاطر البصيلي : تاريخ وحضارات السودان ص ١٤٧ .

(٢) البكري : المغرب ص ١٧٧ .

وبعد مملكة يرسنى يصف البكرى مملكة دو وقد ذكر الدكتور طرخان على سبيل الاحتمال أن يكون البكرى قد قصد بدو تلك الاسرة التى حكمت غانة قبل الاسلام وهى أسرة الكرناتيين فى اقليم دو دو جنوب مالى منطقة كيرى (١) .

وبعد مملكة دو وينتقل البكرى الى اقليم مالى وهذا الجزار يوضح صلاتهم بالكرناتيين متكلم مالى القديم يقول البكرى : " ومن يرسى يجلب السودان العجم المعروفون بدوتنمارت ، وهم تجار التبر الى البلاد وما وازاها من ضفة النيل الثانية مملكة كبيرة أزيد من مسيرة ثمانية أيام سمة ملكهم دو وهم يقاتلون بالنشاب يرمى بلسد اسمه ملل " (٢) .

مالـــى :

اذا كانت مادة البكرى عن دولة غانة تمثل أوفى وأغزر مادة وصلت الينا عن تلك الدولة ، فان كتابته عن مالى لا تعدو أن تكون مجرد اشارات سيئلة اذا ما قيست

---

(١) طرخان : دولة مالى الاسلامية ص ٣٢ ـ القاهرة ١٩٧٣م .

(٢) المغرب ص ١٧٨ .

بالمادة التي كتبها ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الابصار فان صفحـــات كتابه تناولت مالي بالتفصيل • وتضمنت ذكر أقاليم مالي حين أصبحت تضم غانة وتكـرور وسنغانة وكركو وبعض المدن الاخرى [1] • وقد خلت مادته من ذكر شعب الماندنجـي الذي أسس دولة مالي وهو تعريبات من مصادر أخرى غير مسالك البكري [2] • ومع ذلـك فقد أثبت الدارسون للبكري الفضل في أنه قد سبق غيره من المؤرخين والجغرافيين العرب الى استعمال اسم مالي [3] ووصفه مالي وتابعه المؤرخون على هذا الاسم فوجد نـاه عند ابن بطوطة [4] وابن خلدون [5] والقلقشندي [6] مع اختلافات في الرسم ولكـن ذلك لا يمثل اختلافا جوهريا فوردت عندهم بصور مختلفة في الرسم مثل مل ومال مالي وملي • وقد تضمنت اشارة البكري لدولة مالي قصة دخول أول ملوكها في الاسلام يقـول البكري : " وملكهم يعرف بالمسلماني وانما سمي بذلك لان بلاده اجدبت عاما بعـــد عام فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ولا يزدادون الا قحطا وشقـــاء

---

(١) مسالك الابصار المجلد الثالث ج ٢ ص٤٩٤ حتى ٥٠٧ مخطوط بدار الكتب برقم ٦٨ ٢٥ •

(٢) العمري : تاريخ السودان ص ٩٠

(٣) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقية ص

(٤) رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٣٩٧ •

(٥) العبر ج ٥ ص٤٣٢ •

(٦) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٨٠ •

وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة فشكى اليه بذلك " (١) . وقد استغل الضيف الفرصة ووجه الملك الى الدخول فى الاسلام حتى تنقشع عنه ظلمة القحط " فقال له أيها الملك لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته ومحمد عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته ، واعتقدت شرائع الاسلام كلها لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك وأن تعم الرحمة أهل بلدك وأن يحمدك على ذلك من عداك وإياك فلم يزل به حتى أسلم بإخلاص نيته وأقراه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه من الفرائض والسنن مالا يسع جهله ثم استأذنا به الى ليلة جمعة فأمره فتطهر فيها ولبس ثوبا طاهرا سابغا ، وألبسه العمام فوجب قلبه كان عنده وزرا الى وبرة من الارض فقام المسلم يصلى والملك عن يمينه يأتم به فصليا من الليل ما شاء الله ، والمسلم يدعو والملك يؤمن ، فما انفجر الصباح الا والله قد اعمهم بالسقى فأمر الملك بكسر الدكاكير واخراج السحرة من بلاده وصح اسلامه واسلام عامة وخاصته " (٢) .

ويتضح مما كتبه البكرى أن أهل مالى لم يتأثروا باسلام ملكهم فاستمروا على دياناتهم ولم يتابعوه فى تلك الفترة ، يقول البكرى : " واهل مملكته مشركون فوسموا ملكهم بذلك بالمسلمانى " (٣) .

---

(١) و(٢) و(٣) البكرى : المغرب ص ١٧٨ .

ولم تحدد مادة البكرى اسم هذا الملك الذى دخل فى الاسلام ، ولكن البكرى اعطانا علامات تميز هذا الملك امكن من طريقها الرجوع الى المصادر الاخرى وكشف شخصية ذلك الملك . فالبكرى يذكر أنه أول من دخل الاسلام من ملوك مالى وللقلقشندى نص يقول فيه " وكان ملوك مالى قد دخلوا الاسلام منذ زمن قديم وأول من اسلم منهم ملك اسمه برمندانه وحج بعد اسلامه فاقتفى سننه فى الحج من جاء بعده من الملوك " (١) . ونرجح أن برمندانه هو الملك الذى هناه نص البكرى السابق ونرتضى هنا رأى الدكتور طرخان الذى يحدد شخصية الملك بأنه برمندانه الاول (٢) ، لان برمندانه لقب يطلق على برمندانه الاول وبرمندانه الثانى : فالاول عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى والثانى عاش فى القرن الثانى عشر ، ويدعم ترجيحنا رأى الدكتور طرخان على عدم معاصرة البكرى لعصر برمندانه الثانى ، فقد أشرنا من قبل الى أن البكرى عاش فى القرن الحادى عشر فلا يحتمل أن يكتب عن احداث فى المستقبل لم تتح حتى زمانه .

ويلاحظ الدارس لدولة مالى أن بعض المؤرخين يجمعون بين تاريخها وتاريخ التكرور على حين نجد أبا عبيد البكرى يذكرها فى كتابه المسالك والممالك منفصلة تماما

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٣ .

(٢) طرخان : دولة مالى الاسلامية ص ٥٣ .

عن تاريخ مالى ، ويتضح لنا أن السبب فى ذلك يرجع الى أن القوم الاوائل من المؤرخين كتبوا عن تاريخ مملكة التكرور عندما كانت تخضع لدولة مالى الاسلامية يقول ابن فضل الله العمرى : " ويغلب على سلطان مالى عند أهل مصر سلطان تكرور ولوسمع هذا أنف منه لان التكرور اقليم من اقاليم مملكته ، والاحب اليه ان يقال صاحب مالى لانه الاقليم الاكبر والتكرور مدينة من مدنها " (١) .

اما البكرى فانه يفصل تاريخ مالى عن تاريخ التكرور لانه كتب عن التكرور فى فترة مبكرة عندما كانت لهم سيادة مستقلة عن دولة مالى .

أما عن مملكة السنغى ، فلم يكن لمسالك البكرى نصيب كبير فى افادة الدارسين عن تاريخها فى الفترة التى بسطت نفوذها كدولة ناشئة فى سهول السودان سنة ٤٦٤ هـ فلم يكتب للبكرى معاصرة هذه الفترة من عمر الدولة . ولهذا ذكر الدارسون انهم لم يستفيدوا كثيرا مما كتبه البكرى (٢) .

ولكن مادة البكرى لم تخل من الاشارة الى بداية الاسلام فى السنغى فى بداية القرن الحادى عشر فهو يذكر ان قسما كاملا من مدينة كركو يسكنه المسلمون (٣) ويذكر لنا

---

(١) مسالك الابصار المجلد ٣ ج ٢ ص ٢٩٤ مخطوط بدار الكتب رقم ٢٥٦٨ .

(٢) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقية ص ٤٩ .

(٣) البكرى : المغرب ص ١٨٣ .

البكرى بعض المعلومات عن مدينة كركو التى اصبحت عاصمة للصنف فيما بعد ، وكانت من أعظم مدن الصنف لدرجة جعلت بعض المؤرخين يطلقون على دولة الصنف اسم كركو [1] ، ونص البكرى عن كركو يشمل وصف موقعها بحاذية لمكة من الشط الثانى ، وذكر البكرى أن العلة فى تسميتهم بالكركو جاء من نغمة طبلهم التى تحكى ذلك ، كما وصف البكرى عمل أهو كركو وتجارتهم فى الملح وذكر البكرى أيضا عادات الشعب وعبادته ونص البكرى عن مدينة كركو يحسم الخلاف الذى بينه وبين المؤرخين فقد وصف بعضهم اهل كركو بانهم مسلمون [2] ووصفها البعض الآخر بانها بلاد كفار [3] ، والتفسير الواضح لهذا الخلاف هو الذى أورده البكرى حين أشار الى أن أحد اقسام المدينة يسكنه المسلمون ، والقسم الآخر يسكنه الكفار فنظر ياقوت الى القسم الاسلامى من المدينة ووصف أهلها بالاسلام ، ونظر ابن سعيد الى القسم الثانى الذى يسكنه الوثنيون فوصفها بانها بلاد كفار يقول البكرى : " وبين تادمكة ومدينة كركو تسع مراحل والعرب تسمى اهلها البرزكانيين وهى مدينتان مدينة الملك ومدينة المسلمين وملكهم يسمى

---

(١) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقية ص ٤٧ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٢٩ ، طهران ١٩٦٥م .

(٣) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ٩٣ ، بيروت ، حققه اسماعيل العربى ١٩٧٠م .

لحداً وبينهم كرى السودان من الملاحف وثياب الجلود وغير ذلك وهم يعبدون الدكاكير كما تفعل السودان ... ويزعمون انهم انما صنعوا كركوا لا الذى يغنيهم من نقمة طبلهم ذاك» (١) .

وتفيدنا نصوص البكرى عن كركو فى القاء بعض الاضواء على بداية دولة السنغى فى القرن الحادى عشر الميلادى لغموض تاريخها فى هذه الفترة (٢) .

اما عن دولة الكانم : فان نصوص البكرى واليعقوبى تمثل أقدم مادة وصلت الينا عن تاريخ تلك الدولة .

فذكر البكرى مرتعها ومعتقدات شعبها وصعوبة زيارتها كما أشار الى بعض سلالات الامويين التى وصلت اليها ، حين اضطهدهم العباسيون ، يقول البكرى : « وبين زيله وبلد كانم أربعون مرحلة ، وهم وراء صحراء بلاد زيله لا يكاد أحد يصل اليهم وهم سودان مقرنون ويزعمون ان ملكهم قبيل من بنى أمية صاروا اليها عند محنتهم

---

(١) البكرى : المغرب ص ١٨٣ .

(٢) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ص ١٨٣ .

بالعباسيين » (١) .

ويتضح من مادة البكرى ان تلك السلالة الامية لم تتأثر بالشعب الزنجـــى فى كانم فيشير الى احتفاظهم بزيهم وعاداتهم وصفهم بانهم على زى العرب وأحوالهـا

وبناء على ما تقدم : فان البكرى لم يتحدث عن كانم الاسلامية فحسب بل كانـــت حتى عصره كانوا مشركين (٢) .

---

(١) البكرى : المغرب ص ١١ .

(٢) احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ج ٦ ص ١٣٩ .

وكركو [1] وغانه [2] وغيرهم من انواع الاحابيش •

فالزنج اصناف منهم مكيس [3] وبربرا [4] وهم غير البر والمشكو [5] وغيرهم •

وبحر السودان الزنج والاحابيش وغيرهم [6] وهو [7] من يمين الهند وقطعت الزنج دون سائر [8] الاحابيش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذى يصب الى بحر الزنج • فسكنت [9] فى ذلك الصقع •

---

(١) يذكر البكرى انهم سموا كركو لان مايفهم من نغمة طبلهم ذلك •

(٢) واحدة من ممالك السودان التى قامت فى الاقليم بين السنغال والنيجر •

(٣) و(٤) و(٥) فى (ن) و(ل) " والزنج اصناف منهم مكس وبربر وهم غير البربر والمشكو ولم اعثر فى المصادر العربية على التعريف بمكيس والمشكو واما بربرا فقد ذكر ياقوت انها تقع بين بلاد الحبش والزنج واليمن على ساحل بحر اليمن وبحر الزنج فى نص طويل ج ١ ص٤٣ ٥ •

(٦) " السودان " • و" غيرهم " سقطت من الأصل واضيفت من (ن) و(ل) •

(٧) فى الاصل هو بدون واو •

(٨) سقطت من (ن) و(ل) •

(٩) الضمير فى سكنت يشير للزنج انظر المسعودى المروج ج ٢ ص٦ •

واتصلت مساكنهم الى بلاد سفاله[1] وسفاله متصله ببلاد سودان المغـــرب واقاصى مساكنهم فى المشرق ، وبلاد الواق واق[2] واتخذها الزنج[3] دار مملكة وسمة ملكهم " وقليمى[4] " وهو ملك ملوك سائر الزنج ومعناه ابن الرب تعالى الرب [عن قولهم علوا كبيرا][5].

ومعناه انه اختاره لملكهم بالعدل فيهم ، فمتى جار[6] الملك عندهـــم أو حاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ، ويزعمون أنه اذا ماقتل ذلك ملـــك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذى هو ملك السماء والارض يركب وقليمـــى[7] فى ثلاث ماية ([الف[8]]) فارس ودوابهم[9] البقر وليس فى ارضهـــم

---

(١) سفالة هى اقاصى بلاد الزنج وايها تقصد مراكب العمانيين واليرافيـــين انظر المسعودى التنبيه والاشراف ص٥٠ ليدن ١٨٩٤ .

(٢) هى ارض كثيرة الذهب كثيرة العجائب المسعودى ج ٢ ص٦ .

(٣) من " الى بلادهم " الى " الزنج " سقط من نسختى (ن و) و(ل) .

(٤) وقليما فى (ن) و(ل) .

(٥) مابين الحاصرتين سقط من الأصل .

(٦) فى الاصل جاد .

(٧) فى (ن) و(ل) اقليما .

(٨) سقط من الأصل واثبتنا من (ن) و(ل) .

(٩) دوابهم بدون واو فى (ن) و(ل) .

[خيل] ولا بغال ولاحمير[1] (ولاابل ولايعرفونها[2]) والزنج اطيب الامم افواها لرطوبة أفواههم وكثرة الريق فيها ، ومن دخل بلاد الزنج فلابد له ان يحرب فيها[3] .

ومن أرضهم يحمل الذبل[4] من ظهور سلاحفهم ، وفي بلادهم تكون الزرافة[5] وهي من الدواب التي تألف[6] وتتردد الى اهلها[7] وبها تحمل وتهدى الى الملوك ، وعندهم جلود النمور الحمر، وهي لباسهم ، وبلادهم اكثر تلك البلاد[8] فيلة الا أنها وحشية لاتقاد ولايستعملونها[9]

---

(١) لم ترد في الاصل وماهنا من (ن) و(ل) .

(٢) لايعرفون شيئا منها في (ن) و(ل) .

(٣) يحرب فيها ، مكانها بياض في (ن) و(ل) والعبارة غير واضحة .

(٤) الذبل هو الذي تتخذ منه الامشاط كالقرون . انظر المسعودي مروج الذهب ج ٢ ص٤ .

(٥) اورد الكتاب العرب خرافات كثيرة حول اصل الزرافة المشترك مابين الابل والنمر وغيرها لم يشر الهمذاني الى شيء من ذلك .

(٦) يذكر المسعودي ان بعضها وحشي كالفيلة . مروج الذهب ج ٢ ص٥ .

(٧) في (ن) و(ل) اليها .

(٨) اكثر بلاد الله في نسختي (ن) و(ل) .

(٩) يستعملو ، هكذا وردت في الاصل ويقصد استعمالها في الحروب .. المسعودي ج ٢ ص٦ .

وهم يقتلونها بشجر يطرحونه [١] لها [٢] فى مغاربها يسكرها [٣] فتقع ولا مفاصل [٤] لها فيخرجون اليها باعظم مايكون من الحراب فيقتلونها لاخذ انيابها ، فمن ارضهم تجهز انياب الفيلة الى الاقطار [٥] .

واكثر مايتجهز به الى عمان ، ومن [٦] عمان الى سائر البلاد واكثرمايستعمل العاج بارض الصين ، لأنهم يتخذون منها [٧] الاعمدة [٨] وبها [٩] يدخلون على ملوكهم لايدخل عليهم أحد من خدمتهم وحشمهم وقوادهم [١٠]

---

(١) يطرحون ، وردت فى الاصل .

(٢) سقط من نسختى (ن) و(ل) .

(٣) تسكرها بالتا وردت فى الاصل .

(٤) معناه لامفاصل لقوائمها المسعودى ج ٢ ص ٦ .

(٥) فى (ن) و(ل) الاغاق .

(٦) ومن عمان سقط من (ن) و(ل) .

(٧) منه فى (ن) و(ل) .

(٨) يقول المسعودى لولا استعمال العاج فى الاعمدة لكان بارض الاسلام كثيرا مروج الذهب ج ٢ ص ٧ .

(٩) فى (ن) و(ل) وفيها .

(١٠) ولايدخلون عليهم احد من حشمهم وقوادهم بحديد فى (ن) و(ل) .

بحديد ويستعملونه ايضا فى دخن[1] بيوت اصنامهم وابخرة[2] هياكلهم وأهل الصين لايتخذون الفيلة فى الحروب كاتخاذ الهند ، ويتطيرون من[3] ذلك [الخبر][4] كان لهم فى قديم[5] الزمان فى بعض حروبهم يستعمل من اثيابها كثير بهلاد الهند فى[6] الشطرنج والنرد وصور الشطرنج عندهم لايصرفها اللاعب بها الا قائما لكبرها ، ولاستعمال الفيلة فى سائر مواضعها من الممالك[7] وشدة[8] حاجتهم اليها لايقتنونها قال ولعب اهل الهند بالنرد والشطرنج قمار فاذا[9] نفد مامعه[10] لعب على قطع

---

(١) دخن بيوتهم اصنامهم فى (ن) و(ل) .

(٢) انجدة بالدال فى (ن) و(ل) .

(٣) بذلك فى (ن) و(ل) .

(٤) سقط من الاصل وهنا من (ن) و(ل) .

(٥) فى (ن) و(ل) قدم .

(٦) كثير البلاد بلاد فى (ن) و(ل) .

(٧) المماليك فى (ن) و (ل) .

(٨) سقط من نسختى (ن) و (ل) .

(٩) واذا فى (ن) و (ل) .

(١٠) مامع اللاعب فى (ن) و (ل) .

انضاء [1] جمعه اصبعا اصبعا حتى ربما اتى على الزند والزراع • ولهم دهن أحمر مركب يغلى ويغمس فيه موضع القطع فيمسك الدم ويدمل لحينه ويعود صاحب القطع الى لعبه لايكترث [2] ويعمر الفيل بأرض الزنج [3] نحوا من اربع مائة سنة [4] ولاينتهى عمره فى سائر مواضعه هذا [5] • وحدثنى غير واحد عن ابى ذر عن [6] ابن احمد بن محمود بن سبكتكين [7] صاحب غزنه [8] وما والاها

---

(١) اعضاء فى (ن) و(ل) •

(٢) ولايكترث فى (ن) و(ل) •

(٣) " الهند " وردت فى الاصل وماهنا من (ن) و(ل) • وكذا فى المسعودى ج ٢ ص ٨٠

(٤) " عام " فى (ن) و(ل) •

(٥) " هذا " هكذا وردت فى جميع النسخ والمناسب قبلها •

(٦) فى الاصل " عبد " وماهنا من نسختى (ن) و(ل) •

(٧) سبختكين فى جريح النسخ وهو تصحيف انظر ابن خلدون • العبر ج ٤ ص ٧٧١ وهى دولة من تروج دولة بنى سامان وكان مبدأ امرهم فى غزنه •

(٨) عدته بالدال فى (ن) و(ل) وفى الاصل غزنى وهو تصحيف ايضا " غزنه " وهى مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان وهى الحد بين خراسان والهند • انظر العبر ج ٤ ص ٧٧١ بيروت ١٩٥٨ وكذلك ياقوت معجم البلدان ج ٣ ص ٧٩٨ •

من البلاد انه اصاب فى تصيده،[1] فيلا ابيض فوجد عليه وسما لبعض ملوك الفرس " شاهاشاها " كان قبل الاسلام فوسمه محمود هذا وأرسله وحمل اناثها سبع سنين ،ولها بأرض الهند آفة عظيمة ، وهى دابة اصغر من الفهد تعرف بالزبرق احمر ذو زغب سريع الوثبة تبلغ وثبته الخمسين زراعا فاذا أشرف على الفيل رشق عليه بوله بزنه [2] فيحرقه [3] ويقتله وان لحق الانسان منه شيء اتى عليه وقد يتحصن منه الرجل فى أعلى مايكون من شجر الساج [4] وهى كسحوق النخل واطول الاانهما قشوا [5] فيدركه هذا الزبرق بوثبته وان عجز عنه رشق بوله الى اعلى الشجرة فان سقط الانسان باصابه ذلك ، والا وضع رأسه فى الارض وصاح صياحا مفرطا فتخرج من فيه قطيع دم وموت من ساعته ،

---

(١) مابين قصيده ساقط من (ن) و(ل) وسوف يكون اعتمادنا على مخطوط المتحف والمصادر الاخرى .

(٢) فى الرسم غرض ، انظر مروج الذهب ج ٢ ص ٨ .

(٣) فى الاصل فيجرقه ، واهنا من المسعودى ج ٢ ص ٨٠

(٤) الساج شجر اكبر من النخل المسعودى ج ٢ ص ٩٠

(٥) كذا فى الاصل والكلمة غير واضحة وعبارة المسعودى فى المروج ج ٢ص ٩ ، فاذا تعلق الانسان باعلى تلك الشجرة وعجز هذا الحيوان من ادراكه لصق بالارض ووثب الى اعلى الشجرة فان لم يلحق الانسان فى وثبته رشق من بوله الى أعلى الشجرة والا وضع رأسه فى الارض وصاح صياحا عجيبا فيخرج من فيه قطع دم وموت من ساعته .

وأى موضع من الشجر سقط عليه من بوله احرقه ومرارة هذا الحيوان سم لا يلبث وهذا الزمرق لا يأوى [1] فى موضع يكون فيه النوشان [2] وهو الكركدن والفيل ايضا يحذره ويرهبه ولا يقرب مكانا هو فيه •

ومن عجائب الفيل على عظمه انه يهرب من السنانير [3] على وجهه وقد احتال بذلك بعض ملوك المولتان [4] من العرب المتقدم ذكرهم وهو هارون بن موسى فى حربه مع بعض ملوك الهند فخلى القط على رئيس فيلتهم وقدمهم فى عسكره فكان سبب انهزامهم والظفر بهم وفى ذلك يقول :

---

(١) هكذا ورد فى الاصل وكذا فى المسعودى • مروج الذهب ج ٢ ص ٥٩ •

(٢) الكركدن حيوان مثل العجل وفى جبهته قرن يقاتل به وآخر صغير اسفل منه بين عينيه يقلع به الحشيش يطعن الاسد والفيل • انظر ابن الفقيه كتاب البلدان ص٧٦ النص من كتاب المكتبة العربية السردانية ص٣٠ •

(٣) السنانير هى القطاط المسعودى مروج الذهب ج ٢ ص ٥٩ •

(٤) من الثغور الاسلامية فى الهند وملوكها من العرب وقد فتحت فى أيام الاسلام • انظر ياقوت معجم البلدان ج ٤ ص ٦٨٩ •

الصيني والتبتي واللمطي [1] وغيرها ، والفيلة لاتتوالد الا بأرض الزنج والهند والسند ولايعظم [2] منها في كفيلة الزنج ويظهر في وقت من السنة من جياد الفيلة بأرض الهند ووسمها عرق هو كالمسك أو أطيب ، وهم يراعونه فيكون أطيب طيب ملوكهم وفيه من المنافع غير فائق طيبه ، مايؤثر في الانسان ضده من الشبق والاغتلام والطرب والاريحية ، وشجعان الهند وفتاكها يستعملونه عند اللقاء لتقويته للنفس وحثه على الاقدام وأكثر مايظهر هذا العرق فيها في وقت اغتلامها وهيجانها وعند هروب سواسها عنها وفزعهم منها ، والفيل حينئذ يندمن بلد ويفارق وطنه مسيرة الشهر وأكثر فاذا ذهب ذلك عنه عاد

---

(١) الزندبيل هو العظيم من الفيلة ، انظر المسعودي ج ٢ ص ١٠ .

(٢) لمطه بالفتح ثم السكون وطاء مهملة ارض لقبالة من البربر بأقصى المغرب من البر الاعظم يقال للارض والقبيلة بها لمطه وانهم ينسبون الى ذلك اللمطيه ، انظر ياقوت معجم البلدان ج ٤ ص ٣٦٥ .

(٣) اى لاتعظم اجسامها وهى فى السند والهند كانيابها فى بلاد الزنج ، انظر المسعودي ج ٢ ص ١١ .

الى وطنه سقيما عليلا .

والزنج لاتتحلى بشيء من العاج على كثرته عندها [1] ولا بالذهب ولا الفضه وانما تتحلى بالحديد [2] ودوابهم البقر كما ذكرنا وعليها يقاتلون بدلا [3] من النجب [4] والخيل وهى [5] تجرى كالخيل بالسرج واللجم . وليس للزنج شريعة يرجعون اليها بل رسوم لملوكهم وانواع من السياسات ولهم لسن وفصاحة بلغتهم وفيهم خطباء يقومون فى جماعتهم فيرغبون فى الطاعة . ويذكرون من مضى من ملوكهم واسلافهم [6] . ومن بلاد الزنج اليوم امصار وبدن ملوكها مسلمون من الفرس مثل مرك [7] يجلب منها العاج والزرافات والصندروس [8] وجميع مافى بلاد الزنج . ومدينة يقال لها مكوى ومدينة يقال لها تلو ومدينة يقال لها نفسية [9] وهو بلد جليل من بلاد الزنج وملكهم مسلم خير وسمة ملوكهم

---

(١) يذكر ابن وصيف شاه انهم يبيعون انياب الفيلة الى تجار البلدان . مخطوط عجائب الدنيا . ج ٢ ق ٢١ .

(٢) يستخرج الودع من جزائر الزنج . انظر ابن وصيف شاه . المصدر السابق ج ٢ ق ١٥ .

(٣) " يدسل " فى الاصل وماهنا من المسعودى . مروج الذهب ج ٢ ص ١٥ .

(٤) النجب هى الابل النجيبه . المصدر السابق ج ٢ ص ١٥ .

(٥) يعنى بذلك البقر . انظر المسعودى ج ٢ ص ١٥ .

(٦) يلاحظ ان البكرى ينقل فى هذا الموضع بتصرف قارن بين نصه ونص المسعودى ج ٢ ص ١٦ـ١٧ .

(٧) سبق التعريف بها .

(٨) معدن شفاف تعمل منه المصابيح .

(٩) لم ترد هذه المدن فى المعاجم .

والنارجيل ٧٠ اكثر شيء في جزائرهم ، وهو من اقواتهم ، واللحم والعسل عندهم كثير وهو من اقواتهم وجزائر لاتحصى كثرة منها جزيرة بينها وبين ساحلهم يومان يتوارثها الملوك من المسلمين يقال لها قنبلو[1] وقد تقدم ذكرها .

---

(١) الكلارى بالراء عند المسعودى ج ٢ ص١٧٠

(٢) النارجيل هو جوز الهند .

(٣) اختلف الدارسون حول قنبلو فذكر البعض انها مدغشقر . ويرى البعض انه لايمكن الجزم بأن قنبلو هى جزيرة مدغشقر ، وقد سكنها المسلمون نتيجة لهجرة الزيديين الى الشاطىء الافريقى الشرقى ، انظر حورانى ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى ص ٢٣١ ترجمة الدكتور يحى الخشاب ، القاهرة ١٩٥٨ وكذلك جيان ، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشرقية ص ٧٦ ـ القاهرة ١٩٢٧م ، والمسعودى ، المصدر السابق ج ٢ ص١٧٠

ذكر النوبة [1]

فافترقت فرقتين فى غربى النيل وشرقيه وإناخت على شطيه فاتصلت ديارها بديار القبط من ارض هموه وبالصعيد من بلاد اسوان ، واتسعت ديارها على شاطئ النيل مصعدة ، ولحقوا قريبا من اعاليه بدار مملكتهم دمقله [2] بأحد الشطين ، وبينها وبين عمل مصر اربعون يوما ، ودار ملكهم فى الشط الثانى سوبة [3] .

وقال غيرس [4] اسمها علوة [5] وهذه من ناحية الصعيد وهذا الشط اوسع مملكة [6] من الآخر واهلها [7] اصفى الوانا ، واحسن زيا وملوكهم

---

(١) يلاحظ هنا اعتماد البكرى على المسعودى والعبارة فى المروج واما النوبة فافترقت ج ٢ ص ١٧ .

(٢) ترد فى المصادر العربية دنقله بالنون اكثر من دمقله بالميم . انظر المسعودى ج ٢ ص ١٧ .

(٣) سرته فى الاصل وهى تصحيف لسوبه .

(٤) يلاحظ ان البكرى يعتمد على مصادر خلاف المسعودى .

(٥) علوية فى الاصل وهى تصحيف و" علوه " وكذلك وردت فى المروج ج ٢ ص ١٧ .

(٦) وهنا ينتهى الجزء الساقط من (ن) و(ل) .

(٧) فى (ن) و(ل) واهله .

وكسب عوامهم البراذين ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة [7]
والاثرج عندهم كثير وغرس بلادهم يسقيها النيل • وهناك غيـــاض

---

(١) وعلى هذا الرأى المسعودى فى المروج • وهذا يعنى ان الملوك يمثلون طبقة قائمة بذاتها والشعب النوبى يمثل عبد الملوك • انظر مصطفى محمد الاسلام والنوبه ص٩٩•

(٢) المسعودى فى (ن) و(ل)•

(٣) سقط من (ن) و(ل) وتكرر الاسم فى الاصل•

(٤) تتفق نصوص البكرى مع ابن الفقيه والمسعودى ان المسيحية فى بلاد النوبة كانت على مذهب الكنيسة المصرية • انظر التنبيه والاشراف ص١٥١ والبلدان ص٧٧•

(٥) القرآن فى الاصل وهو تصحيف • انظر الدمشقى نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ص٢٦٩ ليبزج سنة١٩٢٣م وفى هذا النص اشارة الى وجود اساس للمذهب الماكانى فى بلاد النوبه •انظر مصطفى محمد •الاسلام والنوبه ص٦٤•

(٦) وهم لايظاهرون فى الحيضة بغتسلون من الجنابة "هكذا وردت العبارة فى (ن) و(ل)•

(٧) فى (ن) (ل) الذره والحنطة والموز• وهذا يشير البكرى الى اعتماد النوبيين على حرفة الزراعه•

كثيرة وحوالى هذه الكور[1] معادن الذهب [والفضة [2]] وتسير من دمقلة في جبال وشعاب حتى تنتهى الى صورى وهى آخر بلادهم وهى مدينة كبيرة على شاطىء النيل والزراقات فى بلاد النوبة كثيرة [3] يتخذون من جلودها النعال [4] يلبسونها فلاتكاد تنقطع الا فى الدهر الطويل ، وبين بلادهم واسوان قودة صغار فى مقدار الهررة [5] يسمونها النسناس ، والابل فى بلاد النوبة [6] صغيرة [7] الخلق والنمور [8] عندهم عظيمة الخلق بخلاف المعهود وهم يتكاتبون فى ورق البز ويقال [9] ان فى بلادهنهر يقال [10] له نوبه

---

(١) سقطت من (ن) و(ل) .

(٢) سقطت من الاصل وماهنا من (ن) و(ل) .

(٣) كثير بدون تاء فى الاصل .

(٤) فى (ن) و(ل) النعل .

(٥) النهدده فى (ن) و(ل) .

(٦) فى بلادهم فى (ن) و(ل) .

(٧) صغيرة الخلق، صغيرة التوام فى (ن) و(ل) .

(٨) النمر فى (ن) و(ل) .

(٩) قيل فى (ن) و(ل) .

(١٠) فى الاصل نهرا وفى (ن) و(ل) يسمى .

ولعامله باسوان عدد وللحاكم بها ايضا عدد تبلغ نحو الثمانين [1] رأســـا .

وبلد اسوان اهله العرب من قحطان وربيعة ومضر وقريش نازلة من الحجـاز وهو [بلد [2]] خصيب كثير النخل توضع النواة فى تربته فتنبت نخله فتثمـــر لسنتين ثمرا وبلاد البصرة وغيرها لايغرس النخل الا فى الفسيل [3] ويخـــرج من النواة فليس بثمر ولأهل اسوان فى بلاد مريس من ارض النوبة ضياع كثـيرة خطيرة [4] ابتاعوها فهم فى زمن بنى امية يؤدون خراجها الى ملك النوبـــة وقال مجاهد كان لقمان عبدا نوبيا اسود ذا مشافر [5] ومن النوبة النســـاء المعروفات بالعقيرات لايقدر احد على اقتضاض ابكارهن ولا مباضعتهن حـــتى تفتق القوابل من قبلهن بقدر مايحتاج للوطء وهن أطيب النساء خـــلوة

---

(١) يختلف السعودى فى تقديراته للارقام من البكرى فيجعل للحاكم ٥ وللامير ٢٠ وللشهود ١٢ . انظر مروج الذهب ٣ ص ٤٠ .

(٢) سقطت من الاصل وهاهنا من (ن) و(ل) .

(٣) يشير البكرى الى ان تربة اسوان ليست كتربة البصرة وغيرها مـــن ارض النخل لأن النخل بالبصره لاينبت من النوى بل ينبت من الفسيل وهـــو النخيل الصغير .

(٤) سقطت من (ن) و(ل) .

(٥) لقمان الحكيم الذى كان مع داود عليه السلام فقد كان من النوبة ابو الفـداء . انظر المكتبة السيدانية ص ٢١١ .

التى يوجد فيها الزمرد متصل بجبل القطم الذى على مصر ولايعرف معدن للزمرد [١] سواه إلا ببلاد البلهرى [٢] من أرض الهند ولايلحق بهذا والهندى [٣] هو الذى [٤] يصرف بالمكى لأنه يحمل الى عدن ويؤتى به الى مكة فاشتهر بهذا الاسم .

والزمرد الذى ينبع من الخربه يتنوع أربعة أنواع فاعلاها الذى يعرف بالمر وهو كثير الدائية [٥] شبيهة [٦] خضرته باخضر مايكون من السلق ولا يضرب [٧] الى شىء من السواد والنوع الثانى البحرى وهو فى لون [٨] ورق الآس وانما غلب عليه هذا الاسم لأن ملوك البحر من الهند والسند والصين ترغب فيه وتؤثره لتيجانها واكاليلها وسائر حليها [٩] .

---

(١) الزمرد بلام واحدة (فى (ن) و(ل) .

(٢) بلاد البلهرى نسبة الى ملك الهند الاكبر بلهرا . المكتبة السودانية ص٣٣ .

(٣) رسمها فى الاصل غير واضح .

(٤) سقطت من (ن) و(ل) .

(٥) هكذا وردت فى جميع النسخ .

(٦) فى (ن) و(ل) يشبه .

(٧) لايميل فى (ن) و(ل) .

(٨) نوع فى (ن) و(ل) .

(٩) سقط من نسختى (ن) و(ل) من " وتؤثره " الى حليها .

المدسة •

ولا خلاف بين الناس ان الحيات والافاعي سائر انواع الهوام والثعابين لاتقرب هذا المعدن وقد قالوا ان هذه الانواع اذا ابصرت الزمرد (٧) الخالص سالت احداقها وان الملمع اذا سقي منه وزن [دانق او (٨)] دانقين (٩) امن على نفسه وقد كانت ملوك اليونانيين اصحاب الحكمة تفضله على سائر الاحجار طرا واهل العلم به يقولون ان شعاعه النوري وخضرته تقوى بزيادة القمر وامتلائه •

---

(١) الروس في جميع النسخ •
(٢) يتنافسون في (ن) و(ل) •
(٣) يسمى بالاضم في (ن) و(ل) •
(٤) لكدرته في (ن) و(ل) •
(٥) في (ن) و(ل) واكبر وهاهنا من الاصل •
(٦) مابعد الزمرد سقط من (ن) و(ل) •
(٧) هنا ينتهي ماسقط من (ن) و(ل) •
(٨) سقط من الاصل وهاهنا من ن و (ل) •
(٩) ورد هكذا في الاصل وبقية النسخ •

والبجاه جنس من الحبش ولهم قلاع كثيرة واسم مدينة ملكهم هجـــر [1] وهم اصحاب ابل ولهم حراب يحاربون بها على ابلهم وهم عبدة اوثـــان [2] واهم صنم من حجارة فى صورة الصبى يسجدون له واحكامهم احكام التورات ولم يكن للبجاه عهد ولاصلح [3] وأول من صالحهم عبيد الله بن الحبحاب [4] وزعم بعض الشيوخ انه قرأ فى كتاب ابن الحبحاب فاذا فيه ثلاث ماية بكر فى كـــل عام حتى [5] ينزلوا الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على ان لايقتلوا مسلمـــا ولازميا وان قتلوا فلاعهد لهم ولايأوا عبيد المسلمين وان يردوا اباقهـــم واسم بلاد البجاه بفلال وأول ممالك البجاه من حد اسوان ومدينتهم يقـــال لها هجر.

فاما الحبشه فاسم دار مملكتهم كعبر [6] وعدة ملكهم النجاشى وفيهـــا كان الذى آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم من ولد حبش بن حـوش [7]

---

(١) هنا ينتهى ماسقط من (ن) و (ل).

(٢) يخالف الادريس اجماع المؤرخين فيجعل البجا نصارى خوارج على مذهب اليعقوبيه. انظر صفة المغرب والسودان ص٢٧ طبعة ليدن ١٨٦٤م.

(٣) لم يشمل صلح النوبة على البجاه فابن عبد الحكم يشير الى أن عبد اللـــه ابن سعد لم يكترث بهم.

(٤) صالح عبيد الله بن الحجاب البجاه وفى (ن) و(ل) ابن الجبهـــات وقد صالحهم بسبب اغارتهم على مصر. انظر المكتبة السودانية العربيـــة ص١٦٦.

(٥) حين فى (ن) و(ل).

(٦) كعبر فى المسعودى ج ١ ص٣٣٤.

(٧) كوش فى (ن) و(ل) وهنا ورد فى الاصل.

ابن حام وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة تتصل بالبحر الحبشى ومن مدائنهم المشهورة مدينة تسمى عاوه وساحل الحبشه مقابل لبلاد اليمن وهم على ساحل ممتد على ساحل البحر الغربى واقرب عرض البحر هناك ثلاثة ايام وهو[1] [على][2] ساحل زبيد من ارض اليمن ومن هذا الموضع[3] عبرت الحبشه البحر الى اليمن[4] فى ايام ذى نواس وهو صاحب الاخدود وبين هذين الساحلين جزيرة يقال[5] لها جزيرة المقل فيها ماء يعرف بماء المقل يستقى منه أهل المراكب ويفعل فى القرائح فعلا عجيبا[6] وذكر الفلاسفة خواص هذا الماء وتأثيره وقد غلب ابن زياد على هذه الجزيرة وله فيها رجال مرتبون وفى هذا البحر مما يلى بلاد عدن جزيرة سقطره واليها يضاف الصبر السقطرى ولا يوجد فى الارض الا فيها[7] وقد كتب اريسطاطاليس الى الاسكندر

---

(١) هو، فى النسخ الثلاث .

(٢) سقط من الاصل وماهنا ورد فى (ن) و(ل) .

(٣) المكان فى (ن) و(ل) .

(٤) فى الاصل عبرت الحبشه البحرمن ملك اليمن .

(٥) سقطت من (ن) و(ل) .

(٦) عظيما فى (ن) و(ل) .

(٧) فى (ن) و(ل) فى غيرها .

يرجيه بهذه الجزيرة وان يبعث اليها جماعة من اليونانيين فيسكنهم فيها لئلا يغلبوا عليها فى مستقبل [1] الاعصر مراعاة للصبر ففعل الاسكندر ذلك فليس فى الدنيا • والله اعلم موضع فيه من اليونانيين قوم [2] يحفظون انسابهم لم يدا خلهم فيها روم [3] [ولاغيره] الا أهل هذه الجزيرة وهم نصارى •

ولهذه الجزيرة اخبار عجيبة من غواص النبات وبلاد الحبشة واسعة جدا ويتجهز اليهم التجار بالامتعة من مصر واليمن وجاورها من البلاد [4] الزيلع واضع [5] وسواكن ودهلك [6] وفى هذه المدن [7] والجزائر المسلمون والمساجد والحكام ومراكب صاحب زبيد وغلافقة [8] من ساحل اليمن تختلف الى ساحل الحبشة [الى بلاد النوبه [9]] وبينهم وبين الحبشة مهادنة ومن بلاد الحبشة الى بلاد النوبه مسيرة شهر للحبشه حذق ومعرفة يتباينون

---

(١) فى سائر (ن) و(ل) •

(٢) قوم من اليونانيين فى (ن) و(ل) •

(٣) سقط من الاصل وهاهنا فى (ن) و(ل) •

(٤) من بلاد فى (ن) و(ل) •

(٥) تقع جنوب سواكن الشاطر حضارات السودان ص١٤٥ •

(٦) مجموعة من الجزائر فى البحر الاحمر امام ميناء مصوع الشاطر المرجع السابق ص١٤٥ •

(٧) ملايقسة فى (ن) و(ل) •

(٨) سقط من الاصل •

(٩) مابين الحاصرتين سقط من الاصل •

وفي بلاد الحبشة قوم يعبدون على أربع قوائم وأما لا تطول أعمارهم ..

ومخاطبات الحبشة وجميع ماعندهم من الكتب في فنون العلم انما هو في ورق الموز واخبرني [4] من رأى [5] تواريخها مانفذ الى بلاد الاسلام منها مايدل [6] على بقائها وقلة تغيرها واما غير هؤلاء من الحبشة المغربيين [7] مثل الزغاوة والكركو وغيرهم فلهم ممالك هناك وبلاد قد أتى على ذكرها في غير هذا الكتاب [8] .

---

(1) وهم في (ن) و(ل) .

(2) المتون هو طرف اللحية . انظر ابن منظور لسان العرب ج ١٧ ص١٤٨ بولاق سنة ١٣٠٣ هـ .

(3) يعتبر هذا من امثلة الاساطير التي ترد في كتابات البكري وقد نقلها عن غيره .

(4) اخبرني من غير واو وردت في (ن) و(ل) .

(5) البكري يروي عن شاهد عيان .

(6) مايدل في (ن) و(ل) .

(7) المتقدمين في (ن) و(ل) .

(8) هذه عبارة المسعودي وهي من مواطن الخلط التاريخي .

من الأطلس التاريخ الإسلامي

الخاتمـــــة

انتهت هذه الدراسة التى تدور حول شخصية البكرى المؤرخ الى عدد من النتائج • ونكتفى بتسجيل مجمل لأهم ماجاء فيها تاركين بقية التفاصيـــل لورودها فى صلب الدراسة •

١ــ كشفت هذه الدراسة عن وجوه الاختلاف التى جاءت فى المصـــادر العربية حول شخصية البكرى واتخذت موقفا مؤيدا بالأدلة فى تحديد اســم البكرى وتاريخ ميلاده ومكان ذلك الميلاد وتاريخ وفاته • ومن ثم تصحيح الترجمة لشخصية البكرى محددة وخالصة من الاضطرابات •

٢ــ أبوعبيد البكرى كواحد من العلماء الذين ظهروا فى فترة الانقســام بالأندلس رأى بعض الدارسين رد الفضل فى تكوينه العلمى الى عصر الخلافــة ولم يقبل هذا الفريق وضعه فى جو الحيرة والانقسام بين الطوائف ، وجـــاءت هذه الدراسة لتثبت ماللخلافة من فضل على البكرى وغيره من العلماء وهـــى لم تنكر فضل عصر ملوك الطوائف وأثره فى البناء العلمى لهؤلاء العلمـــاء

وقد كشفت الدراسة عن روح التنافس العلمى بين الولايات فـــى تشجيعها للعلماء وجذب أكبر عدد منهم الى بلاطها •

٣ـ اتخذ البكرى فى نشاطه الفكرى منهجا موسوعيا " انسكلوبيديا " وقد أبرزت الدراسة الأسباب التى هيأت للبكرى أن يكون من كتاب الموسوعات فبينت الصورة العامة لتعدد المراكز العلمية بالأندلس ، وانتقال البكرى بين تلك المراكز مما أدى الى تنوع ثقافته ، ومن ثم أوضحت الدراسة الخلفيات التى أهلت ابا عبيد البكرى ، وكشفت الدراسة عن الجهود التى بذلها شيخ البكرى فى مده بمعارف مختلفة نسبة لاختلاف تخصصاتهم ، فقد وجد من بينهم المؤرخ كأبى حيان والجغرافى كالعذرى ، واللغوى كأبى على القالى ، والمحدث كابن عبد البر ، وقد ساعد هذا أيضا على خلق الشخصية الموسوعية عند البكرى .

٤ـ اوردت هذه الدراسة احصاء بمؤلفات البكرى المطبوع منها والمخطوط ، وكشفت عن طبيعة كل مؤلف من مؤلفاته وأوضحت نوع الخبرات الواردة فى كل كتاب من كتبه وبينت مكان طبعه ان كان مطبوعا والامكنة التى حفظت فيها مخطوطاته مع بيان الارقام التى حفظت بها تلك المخطوطات فى المكتبات العالمية ، وقد تيسر لنا جمع عشر مخطوطات لكتاب المسالك والممالك باستثناء مخطوط المتحف البريطانى الذى نشره المستشرق الفرنسى

الأول ، وقد كشفت الدراسة عن دقة معلوماته عن هاتين الدولتين ، لأنه عاصر فترتيهما وكتب عنهما كتابة العارف بهما ، كما أوضحت الدراسة أيضا المصادر التي اعتمد عليها البكري عندما نقل لنا أخبار هاتين الدولتين ، وأوضحت دور البكري في حفظ تراث محمد بن يوسف الوراق المعروف بمحمد التاريخي ، ووجدنا في مؤلف البكري نصوصا كثيرة منقولة عن هذا العالم الذي ضاعت آثاره العلمية ، ولم تصل الينا الا من خلال كتابات البكري ، كما ابرزت الدراسة أهمية مادة البكري باعتبارها مصدرا هاما للدارسين في اثبات قدم الاسلام في غانه قبل ان يجيء اليها المرابطون .

ـ صححت هذه الدراسة ما اعتقده بعض الدارسين حين ارجع دقة معلومات البكري الى رحلات قام بها ، وأشارت الدراسة الى خطأ هذا الاعتقاد ، وعللت دقة معلومات البكري بمعاصرته للأحداث واعتماده على شهود العيان نقل عنهم ما شاهدوه في تلك البلاد او سمعوا به .

٦ـ كان تاريخ بعض دول المغرب يكتنفه الغموض لولا أن تعـــــرض البكرى لاخبارها فقد خدم تاريخ المغرب خدمة جليلة حيث نشر فى مسالكـــه وثيقة تكشف عن اخبار دولة برغواطه ولولا مادته تلك لضاع تاريخ دولة الخـــوارج من بنى المدرار التى قامت فى سجلماسه •

٧ـ قدمت الدراسة عرضا منظما لأخبار دولة برغواطه كشف لنا عن قيام تلك الدولة وفترات حكمها كما صنفت نصوص تلك الدولة بوضع كل خبر فى المكان الـذى يناسبه •

٨ـ كشف البكرى بحسه الجغرافى فى مقدمته عن مدينة سجلماسة طبيعـة دولة بنى المدرار فى اتخاذها مكانا قصيا على الصحراء واتخذت من ذلك الموقع حماية لنفسها حتى لاتصل اليها يد الخلافة التى كانت تطارد الخوارج •

٩ـ أثبتت الاستقراء والتتبع للدول التى كتب عنها البكرى المظاهـــــر والسمات التى تميز كتابته التاريخية وبذا يتضح منهجه التاريخى وقد ربطـــت الدراسة بين هذا المنهج وبين ماكتبه البكرى عن دولة الادارسة بالمغرب•

١٠ـ لم تهمل هذه الدراسة ماكتبه البكرى عن المدن فاهتمت بدراستـــه لتأسيس المدن والفتح العربى لتلك المدن ووضحنا أن مادته عن دراسة المدن تتسم بالكثرة ونذرة عناصر الخيال التى تفسد الواقع التاريخـى •وبذا هذا الاهتمـام

لصعوبة الحصول عليها فى ثنايا كتابه .

١١ـ تعرضت الدراسة ايضا لماكتبه البكرى عن ممالك السودان فتعرضت لمملكة الزنج والنوبة والبجه والحبشه فى دراسة تحليلية نقدية اتضح من خلالها تأثر البكرى بالمسعودى ،وختمت هذه الدراسة ببعض الاشارات التى تركتها البكرى عن السودان الغربى .

١٢ـ وأخيرا قدم هذا البحث ملحقا محققا عن ممالك السودان ليساهم فى نشر تراث البكرى العالم المؤرخ .

نماذج

من المخطوطات التى اعتمدت عليها فى الدراسة والتحقيق

مخطوط مكتبة كلية الطب بفاس

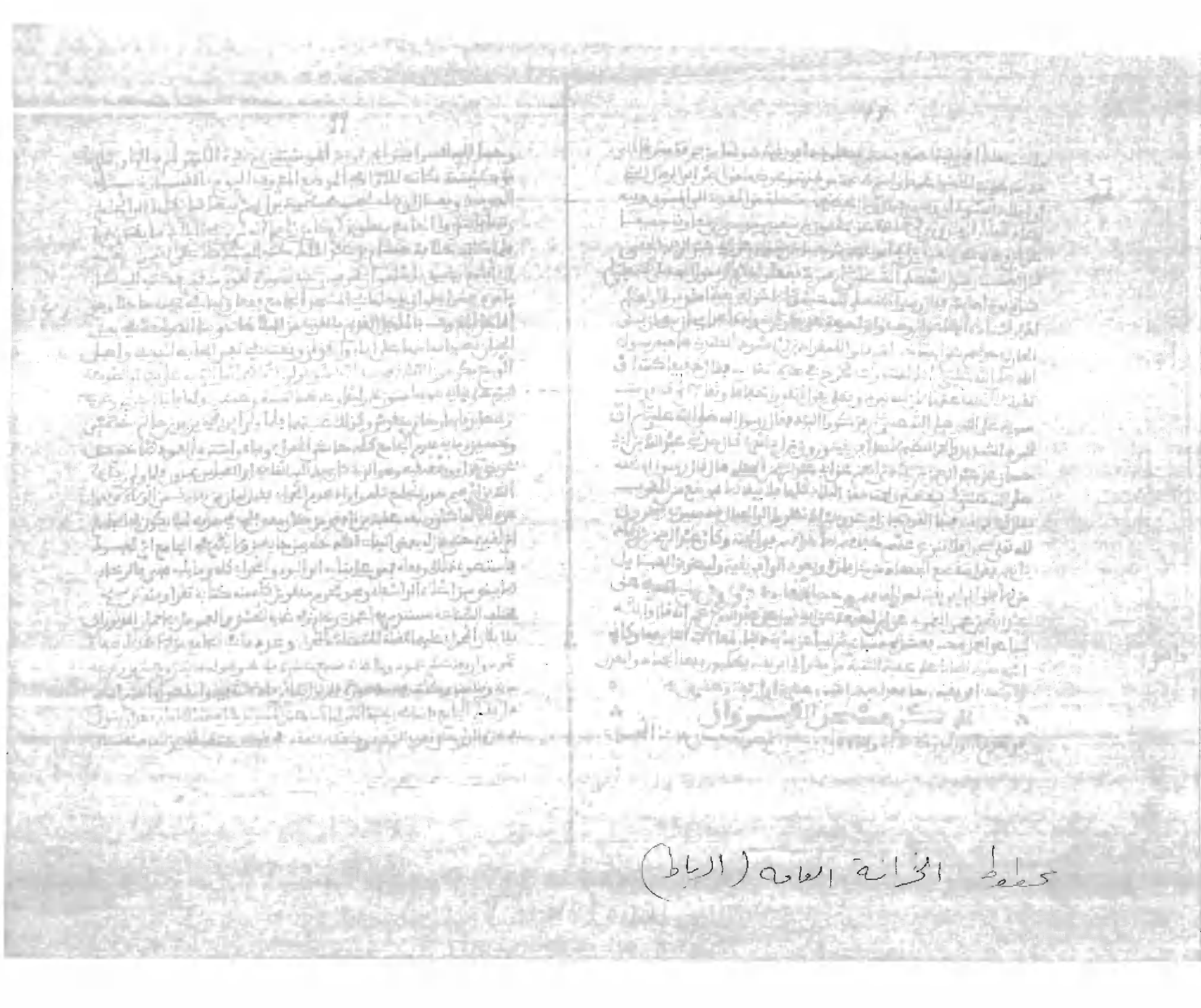

مخطوط الخزانة العامة (الرباط)

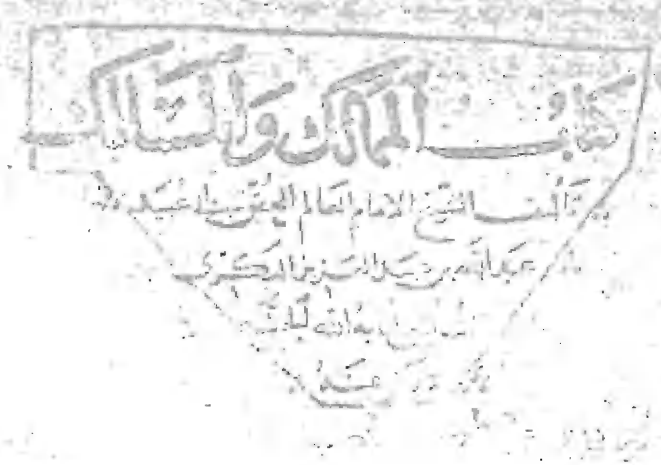
كتاب المسالك والممالك

تأليف الشيخ الامام العالم العلم

عبد الله بن عبد العزيز البكري

رحمه الله تعالى

آمين

سنة

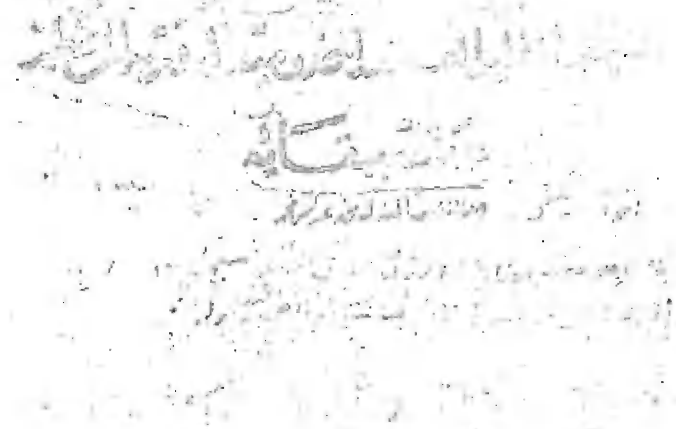

نسخة

سنة

محفوظ بمكتبة الآداب في اسطنبول

موضع يخرج منه الدم ... وقع شعار يسيل ... رأس
... من جبال دارن. وهذا الجبل يفترق من الحمراء. وهو فاصل
بين الحمراء والتي يليه. وبينه تجتمع كل نهر هناك. ثم يخلفون
في قسمة هذا الجبل، فأهل فاس وتجلاسة يسمونه دارت
والمصايدة: ونول يسمونه بنكلو. وهو ارتفاعه أول
أس، ومنه ينحدر منه نهر سبيس، ووادي أنماي. وينحدرون
وينقع في وادي وانيسين. وهو يجري إلى عراطه، وبينها
وادي وارزيز. وهو ينقع في وانسمتن. ويقعها وادي أفيدم
وهو وادي سلا. ويخرج من هذا الجبل في الشمال إلى الحمراء
تصوب زعمه. وهو عظيم. ينتصب في نهر نول في الجنوب
الجنوبي. و... هذا الجبل منعطف وادي مرين. وهو
تجلاسة الذي يعرف بوادي ورزا. وينصب في مدة الوادي
مدة أوديته. ينتهي كلها من ذلك الجبل. واجتماعها كلها في نهر

... لها وكنا وقف
... مساقه بعيدة. وبين
... فرطة. وتفرق منه
... منبعثه إلى موقعه
... ميل. وعشرة أميال. وبقي
... الفلج من جبال البيرة. و
... نفع به جميع القمرين في
... لوشة. وينفع به بين و
... ماءه. وينفع به الوادي
... وتأفل جدول من نهر
... وعلوه خمرة وكدرة. و
... تغير بعيد. وتخرج
... تاجه كثيفة. وخرير
... وتمرا تصفطه الجمال و
... سلا. بين بعيدة وضفة

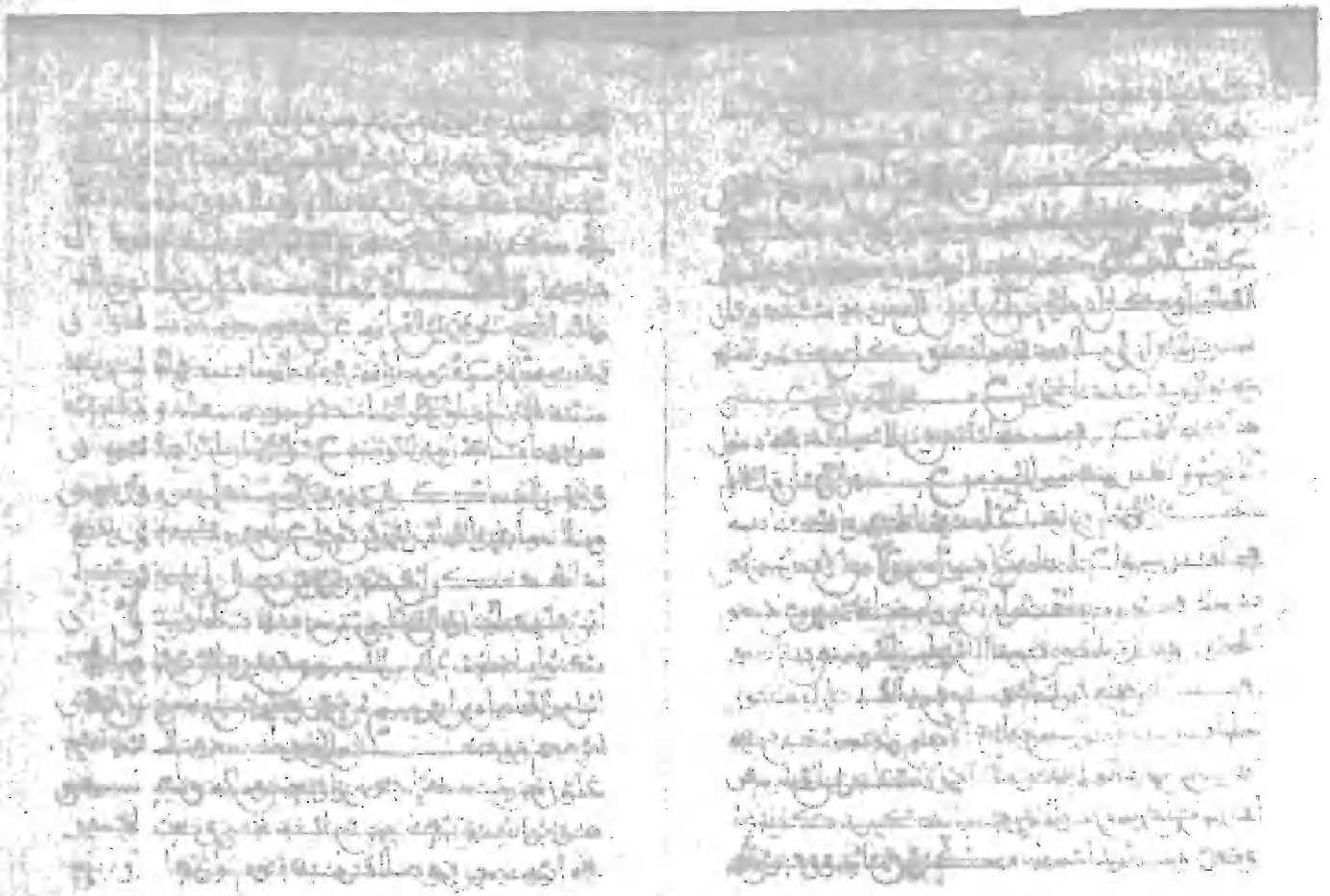

مخطوط مكتبة دير الإسكوريال (إسبانيا)

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر جمل من القول في الامصار ومساحة

المسالك ابو عبيد [illegible] لما استتم البلاد من
[illegible] والشام وحضرموت الى [illegible] والعمر كلمة عن البلاد
وما بين العريش ومصر وفي حكاية ما بنت البرامكة بالشام هذه رسم
دمشق في الزمان وحوطتها الاحتمام وبيوت الاقامة واما
[illegible] لو اختار لا وجه لها ايذ تحول الاختار ولا تستوي
الانسان ولا يوافق الطبع وبنا في الماجن والنازل التي قصدت
الاحتكام والمصير [illegible] بجلام مقاعدها حصنة واطرافها حدبة
واما الجبار فصواد جرود ولبنة ومدا تنجز العدة به بحيث
المحموم وفي اهله غدر ولحم حسن ومرتع ولدائم في اخر الزمان
ساء عظم وحصن جسم من يرتطمها واخوان يقصرها واما العراق
فمن الدور ومساكن الصور وقرار الحضارة ولاهله اعدل الاقوال
واصل الاذهان واما النبات فحسن الاحكام وقبل الاضرام
وعيش الجسم ونفيسة التم واما اخراسان فعظم الخلقان
وكثير القسم لاهله غدر وختر وزاي وتدبير وذكر
ان معونة [illegible] الختر [illegible] الحسن في اهل الحسن
[illegible] واما خبرني عن اول الكوفة قال
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

خبرني قال اخبرني عن اهل الموصل قال فلان ولد فلان
حزور قال اخبرني عن اهل الشام قال اخبرني ابن عيينة قال اول اهل
سئل اول الحول قال اطلع الثابر فخلوف واعقد اهل الحلق اخبرني
لقمان شاكر وروى ان غور من الغامر وان اهل الجبار اسرع
الناس الى الشيب واكبرهم عقلا واهل العراق اطيب الناس لحما واعظمهم
خلقا وواهل مصر اعظم الناس صغارا واجفهم كبارا واهل الشام الموع
الناس بطونا واعظمهم خلقا وقال علي ان موسى اذا كان الرجل
على حمار وحمار على حمار واعظمهم عمامة عمامته فقد تكبر وقال
[illegible] اهل الجبار اهل الجبر وتعارف ومداعبة وفاكهة واهل
لبن اهل غفلة ودعة ولين واهل العراق اهل فطر وفطنة وعقد
رخت وحبل وكثرة مكر واهل الشام اهل غفلة وسلامة صدور
وعرق الظلمة واهل مصر اهل غفلة ولين وقلة عطر واهل حوران
اهل غفلة وخرس وبخل وتحاقد واهل البلقاء اهل لين وتواضع
وحسن سمت ولين واهل البلقاء اهل اصل اصل خضعة وطيش وخبث وقال
بكر بن سليمان عن محمد بن مسلم بن رضعة قسم الخلق عشرة اجزاء
فجعل في الترك وحده في سائر الناس واحدا قسم الخلق عشرة اجزاء
فجعل في السودان وحده في سائر الناس وقسم الخلق عشرة اجزاء
فجعل في الهند وحده في سائر الناس وقسم الخلق عشرة اجزاء
[illegible] في الادب وحده
[illegible] في الروم وحده
[illegible]

محفوظ بالمكتبة الاهلية (باريس)

مصادر البحث

أولا : المصادر المخطوطة :

(١) ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام) ت ٥٤٢ هـ :

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٨ (أدب) .

(٢) ابن وصيف شاه (ابراهيم) : ٥٩٩ هـ :

مجائب الدنيا ، مخطوط بالمتحف البريطانى رقم ١٥٢٦

(٣) البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ هـ :

(أ) المسالك والممالك ـ مخطوط المتحف البريطانى رقم ٩٥٧٧ .

(ب) مخطوط المكتبة الاهلية باريس رقم ٢٢١٨ .

(جـ) مخطوط مكتبة محمد المنونى الرباط رقم ٤٩ .

(د) مخطوط المكتبة الوطنية باريس رقم ٥٩٠٥ .

(هـ) مخطوط مكتبة نور عثمانية اسطنبول رقم ٣٠٣٤ .

(و) مخطوط مكتبة لاله لى رقمها ٢١٤٤ .

(ز) مخطوط مكتبة القرويين بالمغرب رقم ل / ٨٠ / ٣٩٠ .

(ح) مخطوط مكتبة الاكاديمية التاريخية بمدريد رقم ٣ مجموعة جاينجوس .

(ط) مخطوط المكتبة الناصرية بلكهنؤ الهند رقم ٥٩ تاريخ .

(ى) مخطوط مكتبة دير الاسكوريال باسبانيا رقم ١٦٣٥ .

ثانيا : المصادر المطبوعة :

(١) ابن الشباط (محمد على بن الشباط المصرى) بدون تاريخ ، مدريد ١٩٦٧ـ١٩٦٨ تحقيق احمد مختار العبادى فصلة من صحيفة معهد الدراسات .

(٢) ابن بشكوال (خلف بن عبد الملك) ٤٩٤ ـ ٥٧٨ هـ :
كتاب الصلة القاهرة ١٩٦٦ .

(٣) ابن الابار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى) :
٥٩٥ ـ ٦٥٨هـ ، الحلة السيراء ، جزءان تحقيق حسين مؤنس الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٩٦٣م .

(٤) ابن أبى اصيبعة (على بن خليفة) ٥٧٩ بـ ٦١٦هـ :
عيون الانباء فى طبقات الاطباء ، طبعة بيروت ١٩٦٥ .

(٥) ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى) ت ٤٦٣هـ :
بيان العلم وفضله ، القاهرة ١٣٢٠ هـ .

(٦) ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) ٨٠٨ ـ ١٤٠٦م :
العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ .

(٧) (أ) ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب) ت ٧٧٦هـ :
اعمال الاعلام ، القسم الخاص بالشمال الافريقي ، تحقيق
احمد مختار العبادي ، الدار البيضاء ١٩٦٤ م .
(ب) ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب) أعمال الاعلام ،
تحقيق ليفي بروفنسال بيروت ١٩٥٦ القسم الخاص بالاندلس
(٨) ابن خير (ابو بكر محمد بن خير) ٥٠٢ ـ ٥٧٥هـ :
فهرست ما رواه شيوخه القاهرة ١٩٦٣م
(٩) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٥٧هـ ـ ٨٧١م :
فتوح مصر والمغرب ـ مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٦١م ، تحقيق
عبد المنعم عامر .
(١٠) ابن أبي دينار القيرواني ت ١٠٩٢هـ المؤنس في تاريخ افريقية
وتونس ، تونس ١٢٨٦هـ ، وكذلك طبعة المكتبة العتيقة بتونس
١٩٦٧م .
(١١) ابن عذارى المراكشي (ابو العباس احمد) ت ٦٦٥هـ :
البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، دار الثقافة بيروت
١٩٦٧م .
(١٢) ابن طباطبا (محمد علي بن طباطبا) ت ٧٠١هـ :
الفخري في الآداب السلطانية ، بيروت .

(١٤) ابن الفقيه (ابو بكر احمد بن محمد الهمذانى) :

مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن ١٨٨٥م .

(١٥) ابن حوقل (أبو القاسم النصيبى) ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى : صورة الارض ، بيروت ١٩٦٢م .

(١٦) ابن بطوطة (ابو عبد الله محمد بن عبد الله) ت ٧٧٩هـ :

تحفة الانظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٢٢هـ .

(١٧) البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ :

(أ) المسالك والممالك " جغرافية الاندلس واوربا " بيروت ١٩٦٨م تحقيق عبد الرحمن على الحجى .

(ب) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، الجزائر سنة ١٨٥٧م تحقيق دى سلان .

(جـ) التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ، القاهرة ١٩٥٤م .

(د) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا ـ القاهرة ١٩٤٥م .

(هـ) اللآلى فى شرح الامالى • تحقيق عبد العزيز الميمنى ـ القاهرة ١٩٣٦م•

(و) فصل المقال فى شرح كتاب الامثال • تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين واحسان عباس ـ الخرطوم ١٩٥٨م•

(١٨) الجزنائى (ابو الحسن على) زهرة الآس • الجزائر ١٩٢٢م•

(١٩) الحميرى (محمد بن عبد المنعم) الروض المعطار فى خبر الاقطار • تحقيق ليفى بروفنسال • القاهرة ١٩٧٣م•

(٢٠) الدمشقى (شمس الدين ابو عبد الله) كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ـ بطرسبرج ١٨٦٦م•

(٢١) السيوطى (جلال الدين بن عبد الرحمن) ٨٤٩ـ٩١١هـ :

بغية الوعاة • القاهرة ١٩٦٥م•

(٢٢) السلاوى (ابو العباس احمد بن خالد الناصرى) :

الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى • الدار البيضاء ١٩٥٤م•

(٢٣) صاعد (ابو القاسم صاعد) :

طبقات الامم • المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩١٢م•

(٢٤) الضبى (احمد بن يحيى) ت ٥٩٩هـ :

بغية الملتمس فى تاريخ رجال الاندلس ـ مدريد ١٨٨٤م•

(٢٧) القفطي (جمال الدين ابو الحسن) ت ٦٢٤ هـ :

انباه الرواة على انباه النحاة . القاهرة ١٩٥٠م .

(٢٨) القالي (ابو علي القالي) :

الامالي . القاهرة ١٩٥٣م .

(٢٩) القلقشندي (ابو العباس احمد) ت ٨٢١ هـ :

صبح الاعشى في صناعة الانشاء . القاهرة ١٩١٥ . كذلك طبعة دار الكتب ١٣٢٤ هـ .

(٣٠) المقريزي (تقي الدين احمد بن علي) ت ٨٤٥ ـ ١٤٤١م :

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ القاهرة ١٩٢٢م .

(٣١) المسعودي (ابو الحسن علي) ت ٣٤٦هـ :

مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٩٦٤ . وكذلك طبعة دي مينار ودي كورتيل باريس ١٨٦٦م .

ثانيـــا : المراجع الحديثـــة :

(١) ابراهيم العدوى ، ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العـــرب ، القاهرة ١٩٦٣م .

(٢) ابراهيم طرخان ، امبراطورية غانة الاسلاميـــــة ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

(٣) حســـن احمـــد محمود : قيـــام دولـــة العرابـــين ص ١٢٣ ، القاهرة سنة ١٩٥٧م .

(٤) خالص (صلاح خالص) :

اشبيلية فى القرن الخامس الهجرى ، بيروت ١٩٦٥م .

(٥) دوزى : ملوك الطوائف ـ ترجمة كامل كيلانى ، القاهرة ١٩٢٣م .

(٦) الزركلى (خير الدين الزركلى) :

الاعـــلام ، بـــيروت ، ١٩٦٣م .

(٧) سعد زغلول عبد الحميـــد :

المغرب العربى ، مصـــر ، ١٩٦٥م .

(١٤) (أ) مسعد (مصطفى محمد) المكتبة السودانية العربية ، مطبوعات جامعة القاهرة فرع الخرطوم ١٩٧٢م.

(ب) الاسلام والنوبة فى العصر الوسطى بحث فى تاريخ السودان وحضارته حتى اوائل القرن السادس عشر الميلادى ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٠م.

(١٥) (أ) مؤنس (حسين مؤنس) فتح العرب للمغرب ، القاهرة ١٩٤٧.

(ب) تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، مدريد ١٩٦٧م.

رابعا : المراجع الاوربية :

(١) اشباخ (يوسف اشباخ) :

تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، القاهرة ١٩٤٠ ، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر.

(٢) بالنثيا (آنخل بالنثيا) :

تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٥م.

(٣) باذل د.افدمن :

افريقية تحت اضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد احمد بيروت بدون تاريخ.

تاريخ الادب الجغرافي العربي • ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم •

القاهرة ١٩٦٣م •

(٦) ليفي بروفنسال :

الاسلام في المغرب والاندلس • ترجمة السيد عبد العزيز سالم •

نهضة مصر سنة ١٩٥٦م •

(7) Deslane M. Description De L'afrique septentrionale, ALGRER, 1857.

(8) Kunik And Rosen V : 13 vestiya Al Bakri Drugich Autoror Rusi Slavjanacb I, st. peters Burg 1878

(9) Kowalski, Thaddaeus Relatio:

IBRAHIM IBN Jakub Delt urene slavoico quae Traditure Abud Al bakri.

Polonia Historica. Cracoviae 1946.

خامسا : دوائر المعارف والمجلات :

(١) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية .

(٢) مجلة الكاتب المصرى . القاهرة ١٩٤٥م .

(٣) مجلة المجمع العلمى العربى . دمشق ١٩٧٢م .

الفصل الأول

نشأة البكرى وعصره

التعريف بالبكرى ١
عصر ملوك الطوائف ٣
امارة البكريين فى غرب الاندلس ١١
تأثر البكرى بأحداث العصر ٢٣

الفصل الثانى

حياة البكرى العلمية وآثاره

تعدد المراكز العلمية فى عصر ملوك الطوائف ٢٧
شيوخ البكرى ٣١
آثار البكرى العلمية ٣٦

الفصل الثالث

آثار البكرى التاريخية
(نماذج للدول التى عاصرها)

تحديد مصطلح المغرب عند البكرى ٦٠
ترتيب البكرى لدول المغرب ٦٢
نصوص البكرى عن دولتى غانة والمرابطين ٦٤